

اللسانيات العربية

Allisaniyat Al Ārabiyyah

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد ١١ ذو القعدة ١٤٤١هـ - يوليو ٢٠٢٠ م

مجلة اللسانيات العربية تتوج في المرتبة الأولى في تخصصي الآداب واللغة العربية ٢٠٢٠م
في معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية أرسيف (ARCIF)

- مَرَكَّب المفردِ المضافِ إلى جمعه
بين هشاشةِ المقاربةِ المَجْمَعِيَّةِ وقوةِ التفسيرِ الإدراكي
- دور المعنى الدلالي- التداولي في تأويل الخطاب النحوي
- حروف المعاني من منظور عرفاني:
نظريّة لانغاكِر أنموذجا
- فلسفةِ الذهن من مقاربة أفلاطون إلى الثورة الإدراكية
- الفعل «وجب» تركيباً ودلالة في المدوّنات الحاسوبية العامّة والمختصّة
- المعالجة الآلية للتطور الدلالي وفق لغويات المدونة المحوسبة
دراسة دلالية حاسوبية
- في المناويل المعجميّة
- تسكين اللغة: (إشكالات المنطوق والمكتوب في اللسانيات الحديثة)
- مشكلات المصطلح والترجمة في معجم «اللغويات الاجتماعية»

•



اللسان العربي

مجلة علمية فصلية محكمة
ذو القعدة ١٤٤١هـ - يوليو ٢٠٢٠ م



الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير

ص.ب. ٢٩٨٨ الرياض ١١٤٥٢

المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٧٢١٥٦٩٨ - فاكس ٤٧٥٢٣٦٩

www.kaica.org.sa

للاشتراكات السنوية

مراسلة بريد المجلة

arabiclisa@kaica.org.sa

هيئة التحرير:

أ.د. عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي

رئيس التحرير

أ.د. ناصر بن عبدالله الغالي

مدير التحرير

أ.د. عبدالرحمن بن حسن العارف

عضو هيئة التحرير

أ.د. محي الدين محسب

عضو هيئة التحرير

د. محمد لطفي الزليطني

عضو هيئة التحرير

أ. فهد بن عبدالله الهاجري

أمين المجلة

الهيئة الاستشارية

أ.د. إبراهيم بن مراد (تونس).

أ.د. بسام بركة (لبنان).

أ.د. سعد مصلوح (مصر).

أ.د. عبدالقادر الفاسي الفهري (المغرب).

أ.د. علي القاسمي (العراق).

أ.د. محمد صلاح الدين الشريف (تونس).

أ.د. محمد غاليم (المغرب).

أ.د. محمود إسماعيل صالح (السعودية).

أ.د. نهاد الموسى (الأردن).

- أحكام عامة:

الآراء والمعلومات الواردة في البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي مركز الملك عبد الله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية أو المجلة، ويتحمل مؤلفوها المسؤولية كاملةً عن صحة المعلومات والاستنتاجات ودقتها.

يراعى في أولية النشر في المجلة تاريخ تسلم البحث وتاريخ قرار التحكيم وتنوع موضوع المشاركات.

ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة مع بحثه سيرته الذاتية والعلمية مختصرةً وعنوان مراسلته.

تُرسل إلى الباحث (5 نسخ) من العدد الذي شارك فيه، و(20 مستلة) من بحثه أو دراسته.

لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد إرساله إلى لجنة التحكيم إلا لأسباب تقتنع بها إدارة التحرير، وللمجلة مطالبة الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التحكيم إذا أصرَّ الباحث على طلبه بسحب مشاركته وعدم متابعة إجراءات نشرها، ولم تقتنع إدارة التحرير بمبررات طلبه.

خطوات النشر في المجلة:

تكون المراسلة موجهة لإدارة تحرير المجلة بالأمانة العامة للمركز على البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة أو على صندوق بريدها.

يقوم رئيس التحرير بإشعار صاحب المشاركة بوصولها.

تعرض المشاركات في اجتماع هيئة التحرير بعد حذف أسماء المشاركين وعناوينهم وكل ما يدل عليهم؛ توخياً للحيادية والعدالة.

في حال قبولها المبدئي يتم إرسالها مع خطاب مذيّل باسم رئيس التحرير إلى الفاحص الذي قرّره هيئة التحرير، ويُنَبَّه إلى ضرورة الردّ خلال ثلاثة أسابيع من تاريخ تسلمه خطاب التحكيم.

تعرض النتيجة على هيئة التحرير في اللقاء الدوري، ثم يُبلّغ صاحب المشاركة بالنتيجة قبلاً أو اعتذاراً عن عدم القبول مرفقاً معها تعديلات الفاحص.

بعد وصول المشاركة المعدلة تُعرض على هيئة التحرير، وفي حال الإقرار يرسل للباحث خطاب الموافقة على النشر ويبلغ بالوقت المتوقع لنشر مشاركته.

صفحتها

مجلة تختص بالدراسات والبحوث التي تعنى باللسانيات العربية والمدارس اللسانية المختلفة وعلاقتها باللغة العربية وتنشر المشاركات التي تتناول اللسانيات النظرية منها والتطبيقية مثل الأصوات والتراكيب وتحليل النص وتحليل الخطاب والتداولية وكذلك علم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي وبفروعها المختلفة وجوانبهما النظرية والتطبيقية، كما تهتم بتعليم اللغات لأهلها وللناطقين بها من غير أهلها واكتساب اللغة الأولى والثانية والتخطيط اللغوي واختبارات اللغة ودراسات الترجمة والمودونات اللغوية.

قواعد النشر بالمجلة:

تنشر المجلة البحوث الرصينة المتعلقة بقضايا اللغة العربية واللسانيات العربية باللغة العربية، مع إمكان النشر باللغتين الإنجليزية والفرنسية وإحدى اللغات العالمية الأخرى؛ إذا رأت هيئة التحرير أهمية ذلك في خدمة اللغة العربية.

تنشر البحوث في المجلة بعد أن تخضع لفحص لجنة تحكيم من ذوي الاختصاص؛ للتقييم وإبداء الرأي في صلاحيتها للنشر أو عدمها.

لا تلزم المجلة برّد ما يصلها من مشاركات إلى أصحابها، سواء نُشرت أم لم تُنشر.

يُشترط في المشاركات المعوّدة للنشر في المجلة أن تُرسل مطبوعةً ومصححةً على أقراص حاسوبية (CD)، أو من خلال البريد الإلكتروني للمجلة.

أن لا تقل صفحات المشاركة عن عشرين صفحة، ولا تزيد عن أربعين صفحة من الحجم العادي (A4).

يراعى في تنسيق خط المشاركات المرسلة إلى المجلة الالتزام بالآتي:

في متن النص يُستخدم الخط (Traditional Arabic) عادي (حجم 16).

في الهوامش يُستخدم الخط (Traditional Arabic) عادي (حجم 12).

في العناوين الرئيسية يُستخدم الخط (Traditional Arabic) غامق (حجم 18).

في العناوين الفرعية يُستخدم الخط (Traditional Arabic) غامق (حجم 16)

تُكتب الإحالات العلمية والتعليقات جميعها بعد المشاركة مباشرةً، وفق تسلسل ورودها في المشاركة، مع التزام وضع أرقام الصفحات.

تُكتب معلومات المصادر والمراجع مفصلة في آخر المشاركة في قائمة خاصة بها، وفق الهيئة الآتية: المؤلف (الاسم الأخير، الاسم الأول ثم الثاني)، عنوان المصدر أو المرجع، اسم المحقق أو المترجم، الطبعة، معلومات النشر (بلد النشر: اسم الناشر، سنة النشر).

يُرفق الباحث ملخصاً لبحثه في حدود (200 كلمة) باللغة العربية واللغة الإنجليزية، وإن كانت المشاركة مكتوبةً بالإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها، فعليه إرفاق ملخص مشاركته باللغة العربية فقط.

يشترط في المشاركة المقدّمة ألا تكون منشورةً أو قدّمت للنشر في أي وسيلة نشر أخرى، كما يلتزم الباحث بعدم إرسال مشاركته إلى أي جهة أخرى للنشر حتى يصله رد المجلة.

يحق للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر بعد نشره في (مجلة اللسانيات العربية) بعد مرور سنة بشرط أن يشير إلى ذلك.

يخبر أصحاب المشاركات الواردة بوصولها إلى المجلة خلال أسبوع من تسلمها.

يخبر أصحاب المشاركات بقرار لجنة التحكيم بصلاحيته للنشر أو عدمها خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر من تاريخ وصولها لإدارة التحرير.

قرارات هيئة التحرير بشأن المشاركة المقدمة إلى المجلة نهائية، وتحتفظ الهيئة بحقها في عدم الإفصاح عن مبررات قراراتها.

أن يلتزم الباحث تعديل البحث في ضوء ملحوظات المحكمين وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز 30 يوماً من تاريخ إرسالها إليه.

فهرس الموضوعات

الفعل «وجب» تركيباً ودلالة في
المدونات الحاسوبية العامة والمختصة
د. رضا الطيّب الكشو

129

المعالجة الآلية للتطور الدلالي وفق لغويات
المدونة المحوسبة
دراسة دلالية حاسوبية
د. بدرية بنت براك العنزي

185

في المناويل المعجمية
أ.د. عبدالعزيز المسعودي

251

تسكين اللغة: (إشكالات المنطوق والمكتوب
في اللسانيات الحديثة)
د. عزمي محمد عيال سلمان

279

321

مشكلات المصطلح والترجمة في معجم «اللغويات الاجتماعية»
د. منتصر أمين عبد الرحيم

13

مَرَكَّب المفرد المضاف إلى جمعه:
بين هشاشة المقاربة المَجْمَعِيَّة وقوة
التفسير الإدراكي
أ.د. محي الدين محسب

51

دور المعنى الدلالي-التداولي في
تأويل الخطاب النحوي
أ.د. ناصر بن فرحان الحريص

77

حروف المعاني من منظار عرفاني:
نظريّة لانغاكِر أنموذجا
د. إيمان الشّرفي

97

فلسفة الذهن من مقاربة أفلاطون
إلى الثورة الإدراكية
أ.د. الخامس مفيد

المقدمة

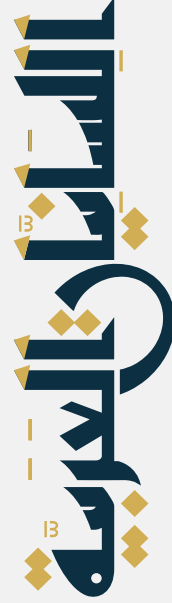
مجلة اللسانيات العربية تتوج بالمركز الأول في مجال الآداب

في معامِل التأثير العربي لسنة ٢٠٢٠

بين يديك، أيها القارئ، العدد الحادي عشر من مجلة اللسانيات العربية، جامعا كالأعداد التي سبقته بين المقاربات النظرية والمعالجات التطبيقية، في تناول القضايا الأصيلة للغتنا العربية من خلال منهجيات معاصرة تنهل من النظرية اللسانية المعاصرة. وهو النهج الذي التزمت به المجلة منذ صدورها وحافظت عليه في كل أعدادها، يطرح القضايا اللغوية العربية بمنظور العصر.

هذا النهج الذي التزمته مجلة اللسانيات العربية منذ عددها الأول وفي جميع أعدادها اللاحقة قاد إلى حصولها على اعتماد معامِل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (أرسيف) (ARCIF) ونجاحها في معايير البالغ عددها (٣١) معيارا بمعامِل تأثير (٠,٢٣٥٣)، وقد حصلت المجلة على المرتبة الأولى في تخصص الآداب ضمن (٩١) مجلة على المستوى العربي، وصنفت في هذا التخصص ضمن فئة الـ (Q1) وهي الفئة الأعلى. وأحرزت المجلة المرتبة الأولى في تخصص اللغة العربية من بين (٣٦) مجلة على المستوى العربي، وصنفت في هذا التخصص ضمن الفئة الأولى (Q1) أيضا.

إنَّ التتويج المشرف الذي حصلت عليه مجلة اللسانيات العربية بحلولها في المركز الأول في مجال الآداب متقدمة على جميع مجلات العالم



العربي في التقرير الخامس للمجلات لمعامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (أرسييف ARCIF) للعام ٢٠٢٠م يعني لنا في هيئة التحرير الكثير. فهو دلالة على تقدير الجهة العلمية المعنية التي أصدرت التقرير لاحترافية هيئة التحرير ووضوح الخطّ التحريري للمجلة والتزامها بمعايير نشر دقيقة على مستوى شمولي. فعلى مستوى معايير النشر، يأتي هذا التنويع تقديراً للالتزام هيئة تحرير مجلة اللسانيات العربية بمعايير الاتفاقيات والأعراف الدولية للتحرير في المقالات المنشورة فيها والتي تهدف إلى تحسين قابلية استرجاع مقالات المصدر، والعناصر الأساسية للنشر مثل عناوين المجلة، وعناوين المقالات الوصفية الكاملة، والبيانات البيبليوغرافية لجميع المراجع المستشهد بها، وملخصات المقالات من المؤلفين، والبيانات الأساسية لكل مؤلف.

وهو كذلك دليل على التزام المجلة بالمعايير الأساسية الفنية والعلمية المتعارف عليها مثل كونها مجلة علمية بحثية محكمة منتظمة الصدور ولها هيئة تحريرية وهيئة استشارية ذات سمعة علمية مرموقة ولديها ردم ISSN للنشر الورقي والإلكتروني، مثلما هو تقدير من الجهة التي أصدرت التقرير للالتزام المجلة بقواعد محددة للنشر وأخلاقياته، وباستقرار شكل النشر، والتزامها باستمرارية توقيت الصدور. ويشير اعتماد المجلة أيضاً إلى التزامها بالإطار التحريري الذي انتهجته من حيث كونها مجلة متخصصة في الدراسات اللسانية العربية الحديثة وهو مجال متداخل التخصصات مع العديد من مجالات العلوم الإنسانية، مثلما يشير إلى إقرار جهة الاعتماد بنهج المجلة التحريري في التزامها الأصول العلمية المتعارف عليها في الأبحاث والتوثيق، وتناول القضايا والمواضيع بشكل جاد ورصين، والتركيز على نشر الدراسات العلمية الجادة واستبعاد الأنشطة الإخبارية والثقافية العامة.

لقد حرصت مجلة اللسانيات العربية على الالتزام بمعيار التنوع العربي والدولي فاستهدفت في مواضيعها البحثية اللغة العربية والمجتمع العربي، فكانت اللغة العربية لغة النشر الأساسية فيها (مع إمكانية النشر باللغتين الإنجليزية والفرنسية). ونوّعت على مستوى المساهمين فيها من حيث المؤلفون، وعضوية هيئة التحرير، والهيئة الاستشارية، وراعت أيضاً تنوع جمهور المستفيدين عربياً، مثلما راعت هذا التنوع أيضاً في اختيار محكمي أبحاثها الذين ينتمون إلى اتجاهات بحثية متنوعة وينتسبون إلى جامعات متعددة في أقطار عديدة..

وقد دأبت المجلة على وضع الاقتباسات والاستشهادات المرجعية لبحوثها التي تنشرها في الاعتبار إيماناً منها بأن تحليل الاقتباسات والاستشهادات المرجعية يلعب دوراً هاماً في تحديد مدى تأثير المجلة في البيئة العلمية والبحثية المحيطة، ولذلك

تنظر هيئة التحرير عند إدراجها للبحوث التي تحيلها إلى التحكيم إلى مستوى اقتباس المقالات المدرجة من مقالات المجلات المعتمدة في معامل التأثير العربية والعالمية ومستوى اقتباسها من مقالات المجلات غير المعتمدة.

وتدرك المجلة بفخر أن التزامها الدقيق بتلك المعايير المنهجية هو الذي قادها إلى أن تتبوأ هذه المكانة الرائدة بالحصول على المركز الأول لمعامل التأثير العربي، وهي مكانة تقودنا إلى الإصرار على المحافظة على هذا المستوى الذي وصلت إليه وتجعلنا أشد التزاماً بتلك المعايير في البحوث التي ستنشر مستقبلاً.

ويأتي هذا العدد الحادي عشر متضمناً تسع دراسات، نستهل بدراسة عن «مركب المفرد المضاف إلى جمعه: بين هشاشة المقاربة الجمعية وقوة التفسير الإدراكي»، يتلوها بحث في «دور المعنى الدلالي التداولي في تأويل الخطاب النحوي»، ثم دراسة «حروف المعاني من منظار عرفاني: نظرية لانغاكر أنموذجاً»، تتلوها دراسة عن «فلسفة الذهن من مقاربة أفلاطون إلى الثورة الإدراكية»، وتتعقبها دراسة عن «الفعل «وجب» تركيباً ودلالة في المدونات الحاسوبية العامة والمختصة»، تتلوها دراسة عن «المعالجة الآلية للتطور الدلالي وفق لغويات المدونة المحوسبة: دراسة دلالية حاسوبية»، وتأتي بعدها دراسة في «المناويل المعجمية» فبحث بعنوان «تسكين اللغة: إشكالات المنطوق والمكتوب في اللسانيات الحديثة، ويختتم العدد ببحث تحت عنوان «مشكلات المصطلح والترجمة في «معجم اللغويات الاجتماعية»».

ولا بدّ أن يلاحظ القارئ تميز العدد بتنوع موضوعاته تنوع مشارب اللسانيات العربية بفرعها النظري والتطبيقي، فتراوحت بين اللسانيات النظرية والتداولية والعرفانية والمدونات الحاسوبية والمعجمية واللسانيات الاجتماعية، وترتبت ترتيباً منطقياً يتفق مع تنوع فروع اللسانيات وأهميتها.

إنّ هيئة التحرير إذ تشكر الزملاء الباحثين الذين أسهموا في كتابة دراسات هذا العدد، فإنها تأمل في أن يستمر عطاؤهم وأن يسهم آخرون في الأعداد القادمة خدمة للغة العربية ومساهمة في تيسير فهمها ونشرها في كل مكان، كما تشكر الأساتذة الذين تفضلوا بتحكيم مقالات هذا العدد مؤملة استمرارهم في تحكيم القادم من موضوعات المجلة، وتدعو هيئة التحرير الباحثين في العالم العربي وشتى أنحاء العالم لنشر دراساتهم وبحوثهم اللسانية في هذه المجلة المتميزة المعتمدة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

رئيس التحرير

أ.د. عبدالعزيز بن ابراهيم العصيلي



معامل التكرار والتأثيرات المرجعية العربية
Arab Citation & Impact Factor
Arab Online Database

Arcif
Analytics

التاريخ: 2020-10-25

الرقم: L20/065 ARCIF

سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة التاليفات العربية المحترم
مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض/ السعودية
تحية طيبة وبعد...

يسر معامل التأثير والاستشادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (Arcif - ARCIF)، أحد مبادرات قاعدة بيانات 'معرفة' للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد أطلق التقرير السنوي الخامس للمجلات للعام 2020.

يخضع معامل التأثير Arcif 'إرشاف' مجلس الإرشاف والتنسيق الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب آسيا (الإسكوا)، مكتبة الإسكندرية، قاعدة بيانات معرفة جمعية المكتبات المتخصصة العالمية/ فرع الخليج)، بالإضافة لجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وإيريشيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل 'Arcif' قام بالعمل على فحص ودراسة بيانات ما يزيد عن (5100) عنوان مجلة عربية علمية أجنبية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من (1400) هيئة علمية أو بحثية في (20) دولة عربية، (استثناء دولة جيبوتي وحجز القمر لعدم توفر البيانات)، ونجح منها (681) مجلة علمية فقط لتكون مستعدة ضمن المعايير العالمية لمعامل 'Arcif' في تقرير عام 2020 .

ويسرنا تهنئكم وإعلامكم بأن **مجلة التاليفات العربية** الصادرة عن **مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية** قد نهجت بالحصول على معايير اعتماد معامل 'Arcif' المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (31) معياراً، وللتخلاق على هذه المعايير يمكنكم التحويل إلى الرابط التالي: <http://e-marefa.net/arcif/criteria>

و كان معامل 'Arcif' لمؤشركم لسنة 2020 (0.2353)، وانهنكم بحصول المجلة على:

- **المرتبة الأولى** في تخصص الآداب من إجمالي عدد المجلات (91) على المستوى العربي، مع العلم أن متوسط معامل 'Arcif' لهذا التخصص كان (0.044)، وصنفت في هذا التخصص ضمن الفئة (الأولى Q1)، وهي الفئة الأعلى.
- **المرتبة الأولى** في تخصص اللغة العربية من إجمالي عدد المجلات (36) على المستوى العربي، مع العلم أن متوسط معامل 'Arcif' لهذا التخصص كان (0.056)، وصنفت في هذا التخصص ضمن الفئة (الأولى Q1)، وهي الفئة الأعلى.

و بإمكانكم الإعلان عن هذه النتيجة سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإشارة في النسخة الورقية لمؤشركم إلى معامل 'Arcif' الخاص بمؤشركم.

وتفضلوا بقبول لائق الاحترام والتقدير

أ. د. سامي الشرايدار

رئيس مبادرة معامل التأثير

"Arcif"



+962 6 5548225 - 9
+ 962 6 55 19 19 2



info@e-marefa.net
www.e-marefa.net



Amman - Jordan
2061 Amman, 11963 Jordan

إنا لله وإنا إليه راجعون

في غضون الأسابيع القليلة الماضية، فقدت أسرة مجلة «اللسانيات العربية» اثنين من أعمدتها: رئيس هيئة تحريرها الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي الذي وافته المنية في الرياض يوم ٢٩/٣/١٤٤٢هـ، بعد صراع مع المرض، وعضو هيئة تحريرها الأستاذ الدكتور محيي الدين محاسب (١٩٥٤ - ٢٠٢٠ م) الذي وافته المنية في مصر قبل ذلك ببضعة أسابيع، بعد صراع مع المرض هو الآخر. فالحمد لله على قضائه وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والدكتور العصيلي، أستاذ اللسانيات التطبيقية وعلم اللغة النفسي ونظريات اكتساب اللغة، حصل على الماجستير عام ١٤٠٥ هـ، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، برسالة تناول فيها بالوصف والتحليل «الأخطاء الشائعة في الكلام لدى طلاب اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى». وحصل على الدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية برسالة في مجال علم اللغة النفسي، قبل أن يلتحق بسلك أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض. عمل وكيلاً ثم عميداً لمعهد تعليم اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتركزت دراساته حول قضايا اكتساب اللغة وتعليم اللغة الثانية. من أهم مؤلفاته كتاب «أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى» (منشورات جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، وكتاب «علم اللغة النفسي» (منشورات عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، وكتاب النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية (مطابع التقنية، الرياض)، وكتاب «مناهج البحث في اللغة المرحلية لمتعلمي اللغات الأجنبية» (عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٠م). وله عدد كبير من البحوث العلمية في المجال نفسه، منشورة في دوريات البحث العلمي. ومنذ إنشاء مجلتنا، مجلة «اللسانيات العربية»، قبل خمسة أعوام أو تزيد، عمل الدكتور العصيلي جاهداً رحمه الله على إدارتها بحزم ومثابرة، وكان حريصاً على أن تكون المجلة على درجة عالية من العمق والجديّة فيما تتلقى وتنشر من

البحوث، بحيث يكون لها طابعها العلمي المميز. وكان - بحكم موقعه على رأس هيئة التحرير - يواجه من أجل ذلك نقداً واتهاماً بالتشدد. وكم كانت سعادته يوم جاء الخبر بحصول المجلة على المركز الأول ضمن تصنيف معامل التأثير العربية (أرسيف) لهذا العام ٢٠٢٠، فكانت وصيته أن «علينا التمسك بهذا المبدأ العلمي الرصين» للحفاظ على هذا المستوى. رحم الله أبا عبد الله، الأستاذ الدكتور عبد العزيز العصيلي، وغفر له وأسكنه فسيح جناته.

وأما الدكتور محيي الدين محاسب، أستاذ علوم اللغة والدراسات الأسلوبية منذ عام ١٩٩٨م، فقد درّس في عدد من الجامعات المصرية. وكان رئيساً لقسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية بكلية دار العلوم، جامعة المنيا، وكان عميداً لها أيضاً لوضع سنوات. كما عمل أستاذاً للنقد واللسانيات والأسلوبية في جامعة الملك سعود وعدد من الجامعات السعودية.

رحل الأستاذ الدكتور محاسب بعد سنين من العطاء البحثي والتدريسي في اللسانيات وتاريخ الفكر اللغوي عند العرب، ويعدّ من أبرز الدارسين العرب في هذا المجال خلال العقدين الأخيرين. من أبرز إسهاماته العلمية: كتاب «فطرية اللغة بين الأساس البيولوجي والنظرية اللسانية» (المنيا، ١٩٩٢م)، وكتاب «اللغة والفكر والعالم» (القاهرة، ١٩٩٨م)، وكتاب «انفتاح النسق اللساني: دراسة في التداخل الاختصاصي» (٢٠٠٣)، وكتاب «الثقافة المنطقية في الفكر النحوي: نحاة القرن الرابع أنموذجاً» (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ٢٠٠٧)، وكتاب «علم الدلالة عند العرب: فخر الدين الرازي نموذجاً» (٢٠٠٨).

وللدكتور محاسب أيضاً إسهامات في الترجمة، لعل من أبرزها «ستيفن أولمان: الأسلوبية وعلم الدلالة، ترجمة وتعليق» (القاهرة، ١٩٩٣م)، وكتاب «كيس فريستيغ، ترجمة وتعليق» (المنيا، ١٩٩٧). وله في الإبداع الشعري ديوان «عند قوس الانقسام» (١٩٨٨)، وديوان «مراودة الماء» (١٩٩٨).

وكان الأكاديمي الراحل صديقا ظريفا لكل من عرفوه، ومجادلا عالما. وله مشاركات في مشروعات ثقافية مهمة في مجاله، وكان له حضور بارز في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية على صعيد مصر والمملكة العربية السعودية والبلاد العربية عموماً. وكان يرحمه الله عضواً نشطاً في رحاب «المجلس الأعلى

للثقافة» بمصر، حيث شارك في عضوية «لجنة الدراسات الأدبية واللغوية» بالمجلس منذ عام ٢٠١٤، وعمل عضواً في هيئة تحرير مجلتنا هذه، «مجلة اللسانيات العربية» منذ صدور عددها الأول في يناير/ كانون الثاني ٢٠١٥، وكان يقول عنها إنها «إحدى الثمار اليانعة التي طرحها مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية ... وواحدة من بين عطاءات متعددة في مجال رعاية اللغة العربية والعمل على نشرها وتعزيز مكانتها الدولية، وتنمية دورها في المجتمعات العربية». وكان يعدّ هذه المجلة «إسهاماً متميزاً بوصفها عملاً رائداً ومؤسساً، في مجال دقيق ذي أهمية علمية، وله أبعاد ومقتضيات حضارية، وهو مجال اللسانيات العربية».

وتندرج هذه النظرة التي صدر عنها الزميل الراحل ضمن ما عرف عنه من سعي إلى تعزيز الاهتمامات المعرفية الرصينة باللغة العربية، ودراسة ظواهرها المختلفة، وتعزيز حضورها في المؤسسات التعليمية باعتبار هذا المطلب أمراً ذا قيمة حضارية، وإسهاماً في تحقيق الاندماج والمواطنة، وأن هذا هو المدخل الصحيح لتعزيز مكانة اللغة العربية في أي بيئة من بيئات العالم المعاصر وربط محتواها التعليمي بالقيم الإنسانية المشتركة، وقيم الدولة المدنية الحديثة مع مراعاة التنوع الثقافي في مختلف بيئات العالم العربي.

وقد شاء الله أن يكون آخر أعماله هذا البحث الرصين بعنوان «إضافة المفرد إلى جمعه: بين هشاشة المقاربة المجمعية ونجاعة التحليل الإدراكي»، الذي يتصدر بحوث هذا العدد الحادي عشر من مجلتنا.

رحم الله الفقيدين الكبيرين الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي، والأستاذ الدكتور محيي الدين محسب، وغفر لهما وأسكنهما فسيح جناته وعوضنا عنهما خيراً، وتتعهد هيئة التحرير باستكمال المستوى الرصين الذي وصلت إليه المجلة في حياتهما وبفضل جهودهما.

هيئة تحرير مجلة اللسانيات العربية

مُرَكَّبُ المفردِ المضافِ إلى جمعه بين هشاشةِ المقاربةِ المَجْمَعِيَّةِ وقوةِ التفسيرِ الإدراكي

أ.د. محي الدين محسب^١

ملخص المقالة^١:

في هذه المقالة محاولة لبيان أوجه القصور التي تبدّت في مقاربة مجمع اللغة العربية بالقاهرة لظاهرة المركب اللغوي المتكون من (المفرد المضاف إلى جمعه) في العربية. ومن ثمة تتجه المقالة إلى تقديم تفسير لهذا المركب مبنيّ على معطيات اللسانيات الإدراكية، وبخاصة معطيات نظرية التراتب الطرازي؛ ليكون في ذلك ما نأمل منه أن يكون مساهمة في مبادرة الأخذ بمنجزات النظر اللساني الحديث والمعاصر من أجل إحداث تطوير حقيقي في الفكر اللساني لدى هذه المؤسسة اللغوية.

الكلمات المفتاحية: مجمع اللغة العربية - قرار اللجنة المجمعية - التفضيل - المركب الإضافي - المبالغة - نفي المثل - الإدراك - التراتب الطرازي

مدخل:

لم يعد أمر اللغة العربية شأنًا يعني العرب بدواعي الحب والهيام في جملها وأسرارها؛ فتلك أسبابٌ تدخل تحت بند (الميول اللغوية العربية) التي أصابها كثيرٌ من التشوهات والتجريف في العقود الأخيرة بدرجة جعلتها على الأقل غير ناجعة للتعويل عليها في حمل عبء النهوض بالمسؤولية اللغوية؛ وأصبح اللازم لتحميل

١ - أستاذ العلوم اللغوية - مصر

أعباء شأن العربية أن يكون ثمة تخطيطٌ لغوي وسياسة لغوية معدّان إعداداً علمياً دقيقاً، ومؤهلان في الاستجابة للأغراض القومية والحضارية والاستثمارية المعرفية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بشأن العربية في ظرفها الراهن وأمرها المستقبلي.

ولا شك أن المجامع اللغوية تعد إحدى الوسائل المهمة بالنسبة إلى مؤسسات التخطيط اللغوي. وهذه هي العين التي ننظر بها إلى مؤسسة مجمع اللغة العربية المصري. ومن ثم فكلُّ ما يصدر عن هذا المجمع لا بد أن يكون صادراً عن وعي عميق برسالة أهدافه، وبكيفية تجسيدها وإنجازها. وهذا النظر التقديري هو ما يؤسس لهذه المداخلة العلمية التي رأيتُ جدوى بسطها إزاء مسألة لغوية صدر بشأنها قرار من المجمع ومؤتمره في دورته رقم ٨٣ لسنة ٢٠١٦م. فعلى الرغم من أن الأمر يبدو قضية ليست بذات خطرٍ أو أهمية كبيرة تستدعي كل هذا الحشد في هذه المداخلة، فإنني أرى أن ما وراء تصرف المجمع في تلك المسألة اللغوية من دلالات هو الأشد خطراً، وقد يتلقفها من يجعل منها مؤشراً لما لا نرغب جميعاً أن تُؤطر به صورة الممارسة العلمية اللغوية لدى هذا المجمع العريق، كما أن الخشية كل الخشية أن يكون لتلك المسألة أخواتٌ شبيهاتٌ في كيفية مسار اتخاذ القرار المجمعى اللغوي.

على أن ما دفع إلى هذه المداخلة ليس هو فقط الرغبة في محاجة مقارنة المجمع، من أجل تفنيدها، وإنما هو استثمار هذه المقاربة بوصفها ساحة للكشف عن إمكانيات ما تقدمه الإدراكات من كفاية تفسيرية في معالجة القضايا التركيبية. فإن استطاعت هذه المقاربة أن تقدم تفسيراً ذا نجاعة ظاهرة فإن ذلك يمكن من طرح السؤال الكبير: إلى متى تظل ثمة إمكانية، أو مساحة، لقبول مجمع اللغة العربية معالجاتٍ تتناول قضايا اللغة العربية دون أن تكون هذه المعالجات آخذةً بأسباب الأنظار اللسانية الحديثة؟

ولندخل في الموضوع..

في يوم ٨ مايو؛ من عامنا الحالي (٢٠٢٠م)، اطلّعتُ على تدوينة منشورة على صفحة الفيسبوك للأخ الفاضل الأستاذ الدكتور محمد الوزير عضو المجمع، ويعود نشرها إلى ٨ مايو ٢٠١٧م؛ أي إلى الفترة التي كان فيها الدكتور الوزير (خبيراً) بالمجمع، وسبقت الوضع الحالي لتحوّله إلى أن يكون (عضواً) بالمجمع. ونص

التدوينية يقول:

”قرر مجمعُ مؤتمر اللغة العربية أمس قاعدةً نحويةً جديدةً اكتشفها الدكتور محمد رجب الوزير الخبيرُ بالمجمع وهي إضافةُ الاسم المفرد إلى جمعه للدلالة على معنى التفضيل والتفرد أو مطلق الزيادة مثل: سر الأسرار، وملك الملوك وبدر البدور وشيخ مشايخ (الطرق الصوفية) وكأس الكؤوس (الأوروبية)، ونجم النجوم، وأسَد الأسود، وفتح الفتوح، وقاضي القضاة“.

وبمجرد اطلاعي على هذه التدوينية كتبتُ مباشرةً تعليقاً وجيزاً عليها فقلتُ: ”أظن أن هذا النمط من التراكيب قد أشار إليه، وقال إنه للمبالغة، صاحبُ (تاج العروس) في مادة (أ ح د). سأحاول توثيق ذلك“.

ورَدَّ الدكتور محمد الوزير بقوله:

”الإضافة هنا [يقصد في تركيب: ملك الملوك] بمعنى الملك الأعلى وهو الله، وفتح الفتوح بمعنى أعظم فتح، وبدر البدور أي أجمل امرأة... وغير ذلك، ففيها معنى التفضيل والتفرد أو مطلق الزيادة وليس مجرد المبالغة“.

وبعد سويحات من هذا الحوار وافاني الأخُ الفاضلُ الأستاذ الدكتور محمد الوزير بمستندٍ مقترحٍ الذي قدمه للمجمع، وفي ذيل المقترح قرارُ اللجنة المجمعية؛ (لجنة أصول اللغة والألفاظ والأساليب). وجاء نص قرار اللجنة على النحو الآتي:

”ترى اللجنة أنه لا مانع من إضافة الاسم المفرد إلى جمعه للدلالة على معنى التفضيل والتفرد أو مطلق الزيادة؛ توسعةً في اللغة ولشيوحه“.

وبطبيعة الحال فقد رجعتُ إلى قراءة الصفحات الأربع التي حملت مقترح الأستاذ الفاضل الذي انبنى عليه قرار اللجنة، أو بالأحرى توصيتها التي اعتمدها مؤتمر المجمع. وأول ما استلفت نظري هو أنني لم أجد ذكراً أو إشارة لرأي يذهب إلى (المنع) أو (التضييق) الذي يتطلب (توسعة) تمكّن من استعمال هذا المركب؛ وذلك لكي يقال لهذا المانع أو المَضَيِّق إن المجمع يرى أنه (لا مانع)؛ ثم: كيف يتسق أن تكون إجازة استعمال المركب (توسعة) في اللغة وأن يوصف المركب نفسه بـ (الشيوع) في اللغة؟! فإذا قيل هنا إن (الشيوع) وصف لحال الاستعمال الحديث نقول إننا سنثبت أن المركب مستعمل بشيوع منذ القدم. كذلك استلفت نظري أنني لم أجد في المقترح المقدّم تمثيلاً لأيٍّ من هذه المفاهيم الثلاثة؛ بمعنى أن المقترح خلا من التفريق بين الحالة التي يكون فيها هذا المركب يدل على (التفصيل) والحالة التي يدل فيها على (التفرد)، والحالة التي يدل فيها على (مطلق الجمع). ثم استلفت نظري ثالثاً ذلك الغموض البادي في وضع كلٍّ من (التفصيل والتفرد) و(مطلق الجمع) جهتين دلالتين مفصولتين بـ (أو)؛ بما يعني أن الدالتين الأوليين تقعان معاً، أو تتلازمان، والدلالة الثانية تقع وحدها. ويزداد هذا الغموض غموضاً حين نعرف أن المصطلح (مطلق الجمع) له استخدام شهير في النحو العربي؛ وهو تلك الوظيفة الدلالية التي تقوم بها (واو العطف)؛ إذ لا تدل على الترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما على مطلق الجمع بينهما. فهل المقصود في حالة إضافة المفرد إلى جمعه أنه يكون أحياناً بهدف (مطلق الجمع) بين المضاف والمضاف إليه؛ فلا قصدية لـ (تفصيل) الأول على الثاني؟! كل ذلك في الحقيقة، وفي غياب التمثيل الشارح، يظل تساؤلات معلقة.

ولما كان أمر المجمع يهمننا جميعاً بقدرٍ يصل إلى الغيرة عليه وعلى تاريخه الناصع، وعلى القامات الراسخة التي تعمل فيه وتقوم بخدمات جليلة للغة العربية،

ولما كان أخي الدكتور محمد الوزير من الأساتذة الذين يُكَنُّ لهم كل الاحترام والتقدير، وأرى أن لنا في خلقه العلمي مساحةً واسعة جداً لإثارة حوار علمي لا يستهدف، ولا ينشد، إلا الوصول إلى حقائق المعرفة والعلم، فقد رأيتُ أن أدوّن هنا على هذا المقترح، وعلى القرار الآخذ به، جملةً من الملاحظات قبل الانتقال إلى محاولة تقديم مقارنة إدراكية تفسيرية لهذا المركب اللغوي. فإن أدّت هذه المقاربة إلى نجاعة تفسيرية فإن ذلك يكون مسوغاً لتأكيد ضرورة أن يأخذ القرار المجمع بما تقدمه التطورات المستجدة في اللسانيات من أجل فهم ظواهر العربية وإبداء الرأي فيها.

وعلى ضوء كل ما سبق فإن هيكل هذه المداخلة يتكون من ثلاثة أجزاء هي:

أولاً: رصيد الظاهرة في الاستعمال.

ثانياً: الظاهرة في معالجة علماء العربية.

ثالثاً: التفسير الإدراكي لإضافة المفرد إلى جمعه.

أولاً: رصيد الظاهرة في الاستعمال:

في مستهل مقترح الدكتور الوزير نجد العبارة الآتية:

”شاع حديثاً إضافة الاسم المفرد إلى جمعه للدلالة على معنى التفضيل والتفرد أو مطلق الزيادة“.

وما يُفهم من هذه العبارة هو أن هذه ظاهرة طارئٌ شيعُها في استعمال العربية حديثاً. وهذا الشيوع إما أن يكون معناه أننا إزاء مُرْكَب لغوي جديد لم يُستعمل من قبل، أو أننا إزاء مُرْكَب قديم نادر الاستعمال أو قليل الاستعمال، ولكنه فشا وانتشر في الاستعمال الحديث. والسؤال هنا هو: هل هي فعلاً ظاهرة حديثة على أي وجه من الوجهين؟ والجواب قطعاً: لا. وبطبيعة الحال فإن هذا الجواب الحاسم يتطلب سوق الدليل عليه. ولأن القلب المجرد (مضاف مفرد + مضاف إليه هو جمع لهذا المفرد) يمكن أن يملأه ما لا نهاية له من الأمثلة فسأكتفي بنتيجة استقراءٍ أوليٍّ خرجنا

منه بهذه الأمثلة الآتية هي قليلٌ من كثيرٍ في رصيد هذه الظاهرة. ولقد كان ثمة حرصٌ على أن تكون الأمثلة المذكورة منتسبةً إلى عصور مختلفة من تاريخ اللغة العربية، وإلى مجالات مختلفة من أوعية استعمالها.

١- في الشعر^(٢):

- قال الشاعر الجاهلي مهلهل بن ربيعة (٩٤ ق.هـ)^(٣):
أَعَيْنِي جُودًا بِالذُّمِّوعِ السَّوَافِحِ عَلَى فَارِسِ الْفُرْسَانِ فِي كُلِّ صَافِحِ
- وقال أبو زيد الطائي (شاعر مخضرم بين الجاهلية والإسلام، توفي ٦٢ هـ)^(٤):
لَيْثُ اللَّيْثِ فِي الصِّدَامِ مِصْدَمٌ وَكَهْمَسِ اللَّيْلِ مِصَكٌ مِلْدَمٌ
قالت حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي (٨٥ هـ):
لَيْثُ اللَّيْثِ عَلَيْنَا بَاسِلٌ شَرِسٌ وَفِي الْحُرُوبِ هَيُوبُ الصِّدْرِ جِيَّاضٌ
- وقال جرير (ت. ١١٠ هـ):
مِنَّا فَتَى الْفِتْيَانِ وَالْجُودِ مَعْقِلٌ وَمِنَّا الَّذِي لَاقَى بِدِجْلَةٍ مَعْقِلًا
- وقال ابن مطير الأسدي (توفي ١٦٩ هـ):
وَلَيْسَ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى لَشْرِبِ صَبُوحٍ أَوْ لَشْرِبِ غَبُوقٍ
وَلَكِنْ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى لَصَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ
- وقال أبو نواس (ت. ١٩٨ هـ):
وَلَدَيْنَا الْمُهَذَّبُ ابْنُ رَبَابٍ عِصْمَةُ الْمُعْتَفِينَ بَحْرُ الْبُحُورِ
- وقال أبو تمام (ت. ٢٣١ هـ):
وَيَا أَسَدَ الْمَنُونِ فَرَسَتْ مِنْهُ غَدَاةٌ فَرَسَتْهُ أَسَدُ الْأَسُودِ

كما قال أبو تمام أيضاً في بائيته الشهيرة عن فتح عمورية:
فَتَحَ الْفُتُوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ تُثَرِّمَ مِنَ الْخُطْبِ

- وقال المتنبي (ت. ٣٥٤ هـ) ^(٥):

فِيَا بَحَرَ الْبُحُورِ وَلَا أُورِّي وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أُحَاشِي
ويروى: فيا بدرَ البدور...

- ويقول أبو الحسن الششتري (ت ٦٦٨ هـ):

يَا رُوحَ الْأَرْوَاحِ أَنْتَ مَرَادِي وَمَالِي
ويتكرر المَرْكَبُ الإِضَافِي (ملك الملوك) عشرات المرات عند شعراء (الموسوعة الشعرية)، وحتى المَرْكَبُ الذي نظنه مَرْكَبًا مستحدثًا؛ وهو (نجم النجوم)، نجده مستعملًا منذ القرن الثالث الهجري؛ عند ابن الرومي (ت. ٢٨٣ هـ):
أَنْتَ نَجْمُ النُّجُومِ وَالْدَّهْرُ لَيْلٌ مَا لِنَجْمٍ سِوَاكَ فِيهِ ثُقُوبٌ
وعند ابن الرومي يتكرر تركيب (ليث الليوث) مرات عدة. ويستخدم التركيب (رب الأرباب):

وكان أولى بأن يهذب ما يخلق ربُّ الأرباب لا البشرُ
وهذا المركب نفسه يرد عند أبي العتاهية، وأبي حامد الغزالي. وعلى غرارهِ يُسْتَخْدَمُ تركيب (إله الآلهة) كما في (نفح الطيب) للمقري.
وإذا كان صاحب المقترح يسوق مركب (بدر البدور) على أنه مما «شاع حديثًا»، وأنه يعني «أجمل امرأة»، فإن مراجعة التراث تفيد أن المركب قديم؛ حيث نجده عند أكثر من شاعر، وبدلالة ليس فيها معنى التفضيل لأجمل امرأة، وإنما فيها الدلالة على حسن الممدوح، وبخاصة الرسول (ص). وقد مرَّ الإشارة إلى رواية لبيِّتٍ للمتنبي تتضمن مركب (بدر البدور) مجاورًا للمركب (ملك الملوك). ومن الشائق أن نجد مجاورة ماثلة عند ابن الرومي ^(٦) في قوله:

وكان أهلاً لما يُؤلاه من حسنٍ بدرُ البدور وصنديدُ الصناديد
وهذه المجاورة نفسها بين تركيبين إضافيين من النمط نفسه الذي نحن صده
نجدها في قول ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ):

فتحُ الفتوحِ بلا مَينٍ وصاحبُه مَلِكُ الملوكِ ومَولاهُ بلا كَذِبِ
ومن الشائق أن ابن رشيق في هذه القصيدة نفسها يستخدم المركب الإضافي نفسه
مكوّنًا من اسمين مؤنثين:

ما دارَ قطُّ عليها دورٌ دائرةٌ كلا ولا واصلتُها نوبةُ النوبِ
ويجاور ابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) أيضًا بين تركيبين في قوله:

بُشْرَاكَ بُشْرَاكَ يَا مَلِكُ الملوكِ بِهِ فتحُ الفتوحِ وبُشْرَانَا
وعند مهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ) نجد مُرَكَّبَ (أمير الأمراء):

يَمِّمُ أَمِيرَ الأمراءِ جانبًا بجانبِ الأهوازِ تلكَ الحِلَلَا
وسيلفت النظرَ البحترِيُّ (ت ٢٨٤ هـ) عندما يأتي بِمُرَكَّبٍ من هذا النوع
بصورتين مختلفتين في البيت نفسه: صورة المضاف إليه النكرة، وصورة المضاف إليه
المعرفة:

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَنَامِ سَعْدُ سَعُودٍ بَشَرِيًّا فَأَنْتَ سَعْدُ السُّعُودِ
وهذا المركب نفسه نجده قبل البحترى عند الشاعر الكميّ (ت ١٢٦ هـ) حيث
يقول:

وَلَكِنْ نَجَمَكَ سَعْدُ السُّعُودِ دِ طَبَّقَتْ أَرْضِي غَيْثًا دَرُورَا

والحقيقة هي أن مركب (سعد السعود) له حضور أسبق بكثيرٍ من البحترى
والكميت معاً؛ فهو مصطلح أطلقته العرب في أدبياتها الفلكية على أحد منازل
الكواكب، ويمكن مثلاً مراجعة كتاب (الأنوار) لابن قتيبة حيث يقول «وهي ثلاثة
كواكب أحدها نير والآخران دونه، وقيل له سعد السعود لتيمنهم به»^(٧). ويورد ابن
قتيبة أن ساجع العرب يقول «إذا طلع سعد السعود، نضر العود...»^(٨).

والمركب المقابل لمركب (سعد السعود) هو (نحس النحوس). فهما إذاً قائمان بوصفهما مصطلحان في المجال الدلالي للفلك، وقائمان لتشبيه بطوابع التفاؤل والتشاؤم. وبهذه الدلالة الأخيرة نتذكر قول حافظ إبراهيم (ت ١٩٣٢ م) وشكواه من الطالع النحس الذي اقترن بفقد عزيز:

باطالاً للشرق لجَّ به نحس النحوس فقرَّ في زحل

وعلى النمط نفسه الوارد في بيت البحري [مضاف + مضاف إليه نكرة] نجد محيي الدين بن عربي (ت ٦٤٠ هـ) يقول:

هو الوجود ولكن ما حكمت به فإنه عين أعيان بدت فيه

وإذ نصل إلى يوسف النبهاني (١٩٣٢ م) نجد هذا النمط مكرراً مرتين في البيت الواحد:

فهَيَ لِلْمُؤْمِنِينَ سَعْدُ سَعُودٍ وَعَلَى الْكَافِرِينَ نَحْسُ نُحُوسٍ

ويورد الدكتور محمد الوزير مُرَكَّبَ (سعيد السعداء) على أنه تعبير مستحدث. وهذا المُرَكَّبُ يمكن أن نعود به على الأقل إلى القرن السادس الهجري حيث نجده وقد تكرر مراراً في (التذكرة الحمدونية) لابن حمدون (أبو المعالي، بهاء الدين البغدادى ٤٩٥ هـ - ٥٦٢ هـ)^(٩). ومما يذكر هنا أن صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩ هـ) أنشأ أول خانقاه بالقاهرة عُرِفَتْ باسم (خانقاه سعيد السعداء) «وقفها على الصوفية في سنة تسع وتسعين وخمسمائة (?) وكان شيخها يلقب بشيخ الشيوخ... إلى أن كانت الحوادث عام ٨٠٦ هـ وتلاشت الرتب أو فقدت شيئاً من مدلولاتها فتلقب شيخ كل خانقاه بشيخ الشيوخ»^(١٠).

وبطبيعة الحال فإننا عندما نصل إلى العصر الحديث نجد أمثلة مماثلة، وقد أورد الدكتور الوزير في مستهل مقترحه جملة منها بلغت ثلاثة عشر تركيباً هي (سُرّ الأسرار - قدس الأقداس - جنة الجنات - ملك الملوك - بدر البدور - أميرة الأميرات - جميلة الجميلات - شمس الشموس - شيخ مشايخ (الطرق الصوفية) كأس الكؤوس - أستاذ الأساتذة - نجم النجوم - سعيد السعداء). وكما ذكرنا فإن بعض هذه المركبات يعود إلى استعمال أقدم بكثير من استعمالها (حديثاً) بحسب

تعبير الدكتور الوزير. فهو يورد مثلاً المركَّب (شمس الشموس) ويقول إن معناه (أشهر امرأة)، ولا يورد هنا دليلاً نصياً، ويبدو أن هذا المعنى جاء من شيوعه نعتاً لمطربة لبنانية شهيرة! غير أن الحقيقة هي أن هذا المركَّب مستخدمٌ بكثرة - مثله مثل مركب (قطب الأقطاب) - في الألقاب الصوفية^(١١)؛ فنجد مثلاً وقد أطلق على أحد أقطاب القرن السابع الهجري: (أبو الغيث سعيد بن سليمان بن جميل: «شيخ مشايخ اليمن في عصره يلقب بشمس الشموس»^(١٢)). كذلك نجد أحد أعيان القرن العاشر الهجري «الشيخ الكبير والعلم الشهير القطب الرباني شمس الشموس الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس»^(١٣). على أنه من المهم أن يلاحظ أيضاً أن هذا المركَّب نفسه يخرج من أن يكون وصفاً بمعنى (أشهر امرأة) ليستخدم في التصوف تعبيراً عن الحقيقة المحمدية؛ وذلك كما في قول الشاعر عمر بن محمد اليافي (ت ١٨١٨ م):

أشرقَتْ في سَمَائِي شَمْسُ الشَّمُوسِ فاضمحلَّت بها ظلماتُ النفوسِ

وهذا التعبير عن الحقيقة المحمدية نجده في تعبيرين آخرين استخدمهما البزني (ت ٦٢٢ هـ) وهما: (نور أنوار المعارف) و (سر أسرار العوارف)^(١٤). ومركَّب (شمس الشموس) نجده في العصر الحديث مجاوراً للمركب (بدر البدور) وقد مدح بهما النبي (ص)؛ كما فعل الشاعر الفلسطيني يوسف النبهاني (ت ١٩٣٢ م) وهو يتحدث عن (المدينة المنورة):

هِيَ أُمُّ الْأَنْوَارِ قَدْ حَلَّهَا الْمُخْدُ تَارُ بَدْرُ الْبُدُورِ شَمْسُ الشُّمُوسِ

وفي السياق الصوفي الرمزي نفسه نجد استعمال المركب (روح الأرواح) مقترناً مع مركب (سر الأسرار)؛ كما نجد في قول الشاعر عمر الرافعي (ولد ١٨٨١ م):

وَهِيَ رُوحُ الْأَرْوَاحِ فِي الْكَوْنِ طَرًّا وَهِيَ سِرُّ الْأَسْرَارِ فِي الْإِجْمَالِ

وفي المركب (قدس الأقداس) نجد استخداماً له يعود إلى القرن الثامن عشر الميلادي؛ إذ يقول الشاعر جرمانوس فرحات (ت ١٧٣٢ م):

يَا هَيْكَلِ الْقُدْسِ رُوحُ الْقُدْسِ حَلَّ بِهِ مِنْهُ ظَفَرَتْ بِسَرِّ قُدْسٍ أَقْدَاسِ

وبالنسبة إلى المركَّب (شيخ المشايخ) الذي رأينا إطلاقه في القرن السادس الهجري على مشايخ الصوفية في مصر، نجد المقترح يقصُرُه على ذلك فيشير إلى المركب بالصيغة

الآتية (شيخ مشايخ الطرق الصوفية). والحق أن هذا المركب لا يقتصر على المجال الصوفي. فالجبرتي مثلاً (ت ١٨٢٥ م) منذ أوائل القرن التاسع عشر استخدم تعبير (شيخ مشايخ الأزهر)^(١٥). وظل هذا المركب في الاستخدام يطلق على بعض شيوخ الأزهر؛ مثل الشيخ أحمد الرفاعي (ت ١٩٠٧)^(١٦). كذلك لا يلتفت المقترح إلى أن هذا المركب هو صيغة أخرى من المُرْكَب (شيخ الشيوخ) المتداول في كتب التراجم العربية، وأن التركيبين كليهما لا يختلفان عن مركب (فقيه الفقهاء) أو مركب (عالم العلماء) وكلاهما وردا مثلاً في كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) لابن الجوزي (٥٩٧ هـ)^(١٧) نَعْتَيْنِ لـ (سعيد بن المسيب) عالم المدينة المنورة وأحد الفقهاء السبعة التابعين. كذلك يدخل في هذه المجموعة نفسها مُرْكَب (إمام الأئمة) الذي استخدمه الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) عندما قال:

إِمَامَ الْأَئِمَّةِ مِنْ هَاشِمٍ وَأَكْرَمَهَا فِي الْمَعَالِي نِجَارًا

ومادمنّا في سياق الشعر فلنختتم بواقعة لها من الشهرة ما كان حريّاً باستلفات النظر إلى هذا المُرْكَب الإضافي لو أن العلماء وجدوا فيه أدنى عدول عن النظام النحوي في تركيب الإضافة. وهذه الواقعة تتمثل في ذلك الحوار بين الخليفة عمر بن الخطاب وابن عباس الذي يروي فيقول: «قال [يقصد عمر]: يا ابن عباس. ألسنت تشدني لشاعر الشعراء؟ قلت: يا أمير المؤمنين: ومن شاعر الشعراء؟ قال: زهير. قلت: لم صيرته شاعر الشعراء؟ قال: لأنه لا يعاظم...»^(١٨).

والنتيجة التي نرتبها على ذلك كله هي أن هذا المُرْكَب اللغوي كان شائعاً قائماً في كل عصور الاستعمالات الشعرية. ومن ثم ينتفي بهذه الأدلة الشعرية مضمون التعبير (شاع حديثاً) الذي استُهِلَّ به المقترح المقدم للمجمع. فهل ثمة أدلة من أوعية نصية أخرى. في الحقيقة لدينا وعاءان: عنوانات الكتب، والمصطلحات.

٢- في أسماء الكتب:

إذا تركنا الشعر إلى غيره من مجالات الاستعمال فإن في تسميات الكتب المؤلفة

معيناً لاستعمال هذا المركَّب الإضافي. وعلى سبيل المثال يُذكر أن لأبي بكر الرازي (٢٥٠ هـ) كتاباً عنوانه (سر الأسرار)، وأن لعبد القادر الجيلاني (٥٦١ هـ) كتاباً بالاسم (سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار)، وأن لأحمد بن أبي سعيد الأميتوي الحنفي (١١٣٠ هـ) كتاباً هو (نور الأنوار في شرح المنار)، ولمحمد بن عبد الله القادري كتاباً هو (نور الأنوار وكنز الأبرار في ذكر الصلاة على النبي المختار). فلو كان في كل هذه العنوانات دلالة غير معهودة لكان هذا بلا شك سيمثل مُستَلَفَتاً قوياً لأنظار علماء العربية وبلاغيتها ليجدوا في هذه العنوانات محرّضاً للنظر.

٣- في المصطلحات:

هناك في التراث الصوفي ذلك المصطلح الشهير (حقيقة الحقائق) وعنه يقول ابن عربي: «الحقيقة المعقولة الجامعة... فسمّه إن شئت حقيقة الحقائق أو الهوى أو المادة الأولى أو جنس الأجناس»^(١٩). ونلاحظ في هذا الاقتباس مُركَّب (جنس الأجناس)، وهو من زمرة الاستعمال نفسه. وفي الدرس المنطقي يعرف (جنس الأجناس)، بأنه «هو الجنس الذي لا يعلوه جنس آخر فوقه»^(٢٠). ويقابل هذا المصطلح مصطلح (نوع الأنواع)^(٢١)؛ وهو من نوعية المركَّب الإضافي الذي نحن صده. وتعريفه أنه النوع الذي ليس تحته نوع.

وفي مجال المصطلحات القضائية نجد مصطلح (قاضي القضاة) الذي أُطلق على منصبٍ استُحدث في الدولة العباسية يوازي تقريباً منصب (وزير العدل) في حياتنا المعاصرة، وقد شغله أعلام مشهورون مثل عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥ هـ)، والمارودي (ت ٤٥٠ هـ) الذي أنشأ ديواناً سُمّي بـ (ديوان قاضي القضاة)، وابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) صاحب وفيات الأعيان، وغيرهم^(٢٢). والمطلع على هذا الكتاب الأخير -وفيات الأعيان- وعلى غيره من المصادر التراثية، يجد كثيراً من المصطلحات التي تدل على مناصب ورتبٍ إدارية؛ وذلك مثل (رئيس الرؤساء) و (ناظر النظار)^(٢٣). ولا يبعد عن هذا المجال الدلالي مركب (أمير الأمراء)؛ وهو منصب سياسي وإداري استحدثه الخليفة الرازي عام ٣٢٤ هـ^(٢٤).

خلاصة رصد الاستعمال:

قبل أن نحاول استخلاص عدد من نتائج رصدنا لأوعية الاستعمال اللغوي هذه نود أن نشير إلى نوع من الاستعمال مغاير في طبيعته تمامًا لكل ما سبق من أمثلة الظاهرة التي نحن صدها، ولكنه مع ذلك يأخذ صورة توهم بالانضواء تحتها. ففي العبارات الآتية مثلاً:

أ. قمتُ بجمع الجموع من معجم لسان العرب

ب. سَرَّنا الكريمُ ببذل البذول

ج. ورد في كتاب (الفرقان في تدوين القرآن) لابن الخطيب^(٢٥): «نهى عثمانُ عن قراءة القراءاتِ بتاتاً»

د. نذُرُ النذور محكومٌ بالاستطاعة للوفاء به

وهذه النوعية من المركبات الإضافية تحتاج تفسيراً مغايراً تماماً للتفسير الذي تتطلبه الأمثلة التي سقناها من رصد استعمال الظاهرة؛ حيث لا يمكن الأخذ بمقولة (المبالغة) أو بمقولة (التفضيل) لتفسير هذه المركبات. ولكي يتضح ذلك فلننقد مقارنة بين المركب (ليث الليوث) مثلاً ومركب (جمع الجموع) الوارد في (أ). ولتيسير توضيح المقصود سنطلق على مقدّم المركب مصطلح (رأس)، وعلى العنصر الثاني فيه مصطلح (الذيل). فعلى حين أن العنصر الأول (= الرأس = ليث) في المركب (ليث الليوث) هو فرد من أفراد الثاني (= الذيل = الليوث)، فإن رأس المركب الثاني (= جمع) ليس فرداً من أفراد الذيل (= الجموع). وهذا فرق دلالي مهم. فـ (ليث) في المركب الأول (هوية ذات entity)؛ ومن ثم تخضع لمقولة (العدد)، في حين أن (جمع) في المركب الثاني هو (عملية process) أو (نشاط activity)؛ ومن ثم تقع إشاريته الدلالية على كثيره وقليله. ولذلك يصحُّ أن يُحوَّل المصدرُ الصريح في هذه الأمثلة إلى مصدر مؤول فنقول مثلاً:

(أ-) كَلَّفَ الأستاذُ طالبَه أن يجمعَ الجموعَ من لسان العرب

(ب-) سَرَّنا أن يبذلَ البدولَ كلَّ كريمٍ

(ج-) نهى عثمانُ عن أن يقرأَ القراءاتِ أحدُ

(د-) أن تنذرَ النذورَ محكومٌ بالاستطاعة للوفاء بها

ومن الواضح أن الظاهرة التي نحن صدها ليست من باب هذا النمط من الإضافات الذي أطلق عليه اللغويون العرب (باب إضافة المصدر إلى مفعوله). فما نحن صده هو إضافة مفردٍ من الجهة الصرفية العددية إلى جمعه الصر في العددي.

وعلى أية حال فإن ما يتضح لنا من كل الاستعمالات التي أوردناها أننا إزاء ظاهرة قارّة فاشية في الاستعمال اللغوي في أوعية نصية مختلفة في كل عصور اللغة العربية؛ ومن ثم فهي ليست ظاهرة مستجدة أو طارئة تتطلب موقفاً معاصراً منها يقضي بالجواز أو المنع. والأمر الذي يستلفت إليه النظر أن صاحب المقترح الفاضل بعد أن بدأ بالإشارة إلى شيوع حديثٍ في استعمال هذا المركّب يقول:

«ويستأنس مؤلفُ هذا الكتاب بورود هذا الاستعمال في نصوص عربية قديمة منها...»

وبصرف النظر عن اللبس القائم في تعبير (مؤلف هذا الكتاب) - إذ لا ندرى إلى أي كتابٍ يحيل؟! - فإن فكرة (الاستئناس) هنا هي الشديدة اللبس والتعمية. فإيراد ستة أمثلة من نصوص عربية قديمة يوحى - تحت تأثير مقولة (الاستئناس) - بأنها ظاهرة مغمورة الاستعمال؛ فتكون هذه الأمثلة شيئاً يتدُّ به المقترح مقترحه ليقوي ما زعم أنه «شاع حديثاً» في الاستعمال، وكأنه يواجه أمثلةً أخرى تناقض هذا الاستعمال، أو أنه إزاء رأيٍ معترضٍ على هذا الاستعمال. أما وقد رأينا فُشوَّ استعمال الظاهرة منذ القِدم، ولم نجد ثمة من يعترض على هذا الاستعمال، فالأمثلة الستة التي أورها الأستاذ الفاضل تدخل ضمن استعمالٍ لا مُعارضٍ له، وليس ثمة ما ينقضه. هذا من جهة الاستعمال، فماذا عن جهة التناول المعجمي أو الدلالي أو النحوي أو البلاغي لهذا المركّب من قِبَل علماء العربية؟

يقول الدكتور الوزير في مقترحه:

«هذا ولم يلتفت علماء العربية قديماً وحديثاً إلى إضافة المفرد إلى جمعه بهذه الدلالة».

وهو يقصد بتعبير (هذه الدلالة) أن هذا المركب يدل - كما يقول - على «التفصيل والتفرد أو مطلق الزيادة». وهنا ينهض سؤال: هل صحيح أن علماء العربية لم يلتفتوا إلى إضافة المفرد إلى جمعه؟ وإذا ثبت التفاتهم فهل كان التفاتاً إلى الظاهرة بهذه الدلالة، أم أنه كان التفاتاً إليها بدلالة أخرى؟ وإن كانوا قد قالوا بدلالة أخرى فلم لم يذكر ذلك في عرض المقترح حتى يوازن القارئ بين الدلالة التي قالوا بها والدلالة الجديدة المقترحة؟ وفي الجواب عن ذلك كله نمضي بثلاث خطوات: الأولى إثبات أنهم التفتوا. والثانية الكشف عن الدلالة التي قالوا إن استعمال إضافة المفرد إلى جمعه يقوم بها. والثالثة المقارنة بين الدلالة التي أقروها، والدلالة الجديدة التي توصل المقترح إليها وأقره المجمع عليها.

ثانياً: الظاهرة في معالجة علماء العربية:

لن أتوقف كثيراً عند معالجة هذه الظاهرة في أدبيات العصر الحديث؛ فهي فيما يبدو لي بالفعل ضئيلة الحضور. ولا أستثني من ذلك سوى وقفة ابن عاشور (ت ١٩٧٣ م) في ردّه على تفسير الزمخشري القائل بأن (إحدى الأمم) في قوله تعالى «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ» تعني (أفضل الأمم). ففي ذلك يقول ابن عاشور إن تفسير الزمخشري هذا «بناء على التنظير بما ليس له تنظير، وهو قولهم: إحدى الإحد، ولا يتم التنظير؛ لأن قولهم (إحدى الإحد) جرى مجرى المثل في استعظام الأمر في الشرّ أو الخير. وقرينة إرادة الاستعظام إضافة (إحدى) إلى اسم لفظها فلا يقتضي أنه معنى يُراد في حالة تجرد (إحدى) عن الإضافة [إلى اسم من لفظها]»^(٢٦). وما نخرج به من هذه اللفظة هو أن مركب (إحدى الإحد) يفيد «استعظام الأمر في الخير أو الشر»، وما جعله يقوم بهذه الدلالة هو إضافة المفرد إلى اسم من لفظه. فكأن ابن عاشور يريد أن يقول إن إضافة اللفظ إلى اسم من لفظه تفيد دلالة (الاستعظام). وهذا مفهوم تفسيري إدراكي يبين على هذا النمط الإضافي.

وكأننا من ثم أمام التفاتة تنطوي على تفسيرٍ لنوع من الإدراك الجمعي منعكسٍ في طريقة تعبير العربي باللغة عن العالم. ولعل مما يعزز من قيمة التفاتة ابن عاشور أن ثمة أمراً له حضور واضح في العربية؛ وهو أن العربي حين يريد أن يعبر عن قوة أمرٍ ما، أو شدة أثر أمرٍ ما، فإنه يلجأ إلى تكرير جناسيٍّ للفظ الدال على هذا الأمر. وفي هذا يمكن أن نشير إلى أن السيوطي مثلاً يعقد باباً تحت عنوان «ذكر الألفاظ التي جيء بها تأكيداً مشتقة من اسم المؤكد»^(٢٧) ومن ذلك: الجاهلية الجهلاء، ووتد واتد، ووبل وابل... إلخ. وفي هذا السياق يورد بعض المركبات الإضافية التي تنتمي إلى نمطنا موضع الدراسة؛ مثل: صلُّ أصلال، وهترُّ أهتار... إلخ.

والسؤال هنا: هل كانت تلك اللفظة من ابن عاشور مغايرةً للمقاربة التراثية لهذا المركب؟ هذا مانتوجه لبيانه الآن.

إذا ذهبنا إلى القواميس^(٢٨) العربية فإننا نجد في (لسان العرب) تحت المدخل (أح د): «إحدى الإحد: الأمر المنكر الكبير؛ قال: (بعكاظ فعلوا إحدى الإحد)»^(٢٩).

وتحت المدخل نفسه في (القاموس المحيط) للفيروز آبادي: «ويقال للأمر المتفاقم: (إحدى الإحد)، و (فلان أحد الأَحْدِين)، و (واحدُ الأَحْدِين)، و (واحدُ الآحاد)، و (إحدى الإحد)؛ أي: لا مثيل له، وهو أبلغ المدح. و (أتى بإحدى الإحد) أي: بالأمر المنكر العظيم»^(٣٠). وهذا القول الوجيه يجد تحت المدخل نفسه (أح د) عرضاً موسّعاً عند الزبيدي في (تاج العروس)^(٣١): «(الإحد) جمع (إحدى)... و (فلان أحدُ الأَحْدِين) محرّكة فيهما، و (واحدُ الأَحْدِين) هكذا في النسخ، وفي نسخة شيخنا (واحد الواحدِين)، وفي التكملة (واحدُ الإَحْدِين) بكسر ففتح، وهما جمع أحد وواحد... وسئل سفيان الثوري عن سفيان بن عيينة قال: ذاك أحدُ الأَحْدِين، قال أبو الهيثم: هذا أبلغ المدح... و (واحد الآحاد) و (إحدى الإحد) هو كالسابق... قال رجل من غطفان:

إنكم لن تتهوا عن الحسد حتى يُدَلِّيَكُم إلى إحدى الإحد

... (أي لا مثل له. وهو أبلغ المدح) لأنه جعله داهية في الدواهي ومنفرداً في المنفردين؛ ففضّله على ذوي الفضائل لا على المطلق... قال الدماميني في شرح التسهيل: الذي ثبت استعماله في المدح (أحد وإحدى) مضافين إلى جمعٍ من لفظهما،

كـ (إِحْدَ وَأَحْدَيْنِ)، أو إلى وصف، كـ (أحد العلماء)، ولم يُسمع في أسماء الأجناس، انتهى. قال ابن الأعرابي: قولهم: (ذاك أَحَدُ الْأَحْدَيْنِ) أبلغ المدح. ويقال: (فلان واحد الْأَحْدَيْنِ)، و(واحد الآحاد)، وقولهم (هذا إحدى الآحاد)، قالوا: التأنيث للمبالغة بمعنى الداهية. كذا في مجمع الأمثال. وفي المحكم: وقوله

حتى استشاروا بي إحدى الإحْدِ

ليثاً هزبراً ذا سلاحٍ معتدي

فسره ابن الأعرابي بأنه واحد لا مثل له... تقول: (أتى بإحدى الإحْدِ)؛ أي بالأمر المنكر العظيم، يقال ذلك عند تعظيم الأمر وتهويله. ويقال: (فلان إحدى الإحْدِ)؛ أي واحد لا نظير له. قاله ابن الأعرابي... فكأنه قيل: هو داهية الدواهي... وقد يقال لما يُستعظم مما لا نظير له: هو إحدى الْأَحْدَيْنِ / وإحدى الإحْدِ. والحديث هنا واضح عن دلالة التفرد.

وقد نص ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) في التسهيل على أنه «قد يقال لما يُستعظم مما لا نظير له هو أحد الْأَحْدَيْنِ، وإحدى الإحْدِ»^(٣٢). ويصعب ألا نقول إن ابن مالك غَضَّ الطرف عن وجود هذا المركب في هذا البيت الذي هو للفردق، والذي يورده ابن مالك نفسه في التسهيل أيضاً؛ وهو:

بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الْأَمْوَاتِ قَدْ ضَمِنَتْ إِيَّاهُمْ الْأَرْضُ فِي دَهْرِ الدَّهَارِ (٣٣)

ويهمنا من هذا البيت الأخير أن ابن منظور أورد في سياق تعليقه عليه قوله: «(دهورٌ دهايرٌ) مختلفة على المبالغة» ثم أورد ملحوظة للأزهري هي: «يقال ذلك في (دهر الدهاير)»^(٣٤)؛ أي أن هذا المركب الإضافي (دهر الدهاير) للمبالغة أيضاً.

وفي (المحيط في اللغة) للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) - وبالمناسبة كان يُطلق عليه لقب (كافي الكفاة) وهو مُرْكَبٌ إضافي من نمط ما نتحدث فيه! - نجد «(ونزل به إحدى الإحْدِ) أي إحدى الدواهي»^(٣٥). وإذا عدنا إلى ابن منظور ثانية فإننا نجد تحت مدخل (أ ب د): «(الأبد: الدهر، والجمع آباد وأبود)، ثم يورد قولهم «ولا أفعل ذلك أبد الأبيد وأبد الآباد وأبد الدهر».

والسؤال هنا: ما الخلاصة التي نخرج بها من كل هذا الشرح القاموسي؟ والجواب
نصوغه على النحو الآتي:

ثمة اهتمام واضح بالمركب الإضافي (أحد الأحدين) أو (إحدى الإحد). ومن
الشائق أن هذا المركب (أحد الأحدين) يصلح أن يكون قالباً مجرداً لهذا النمط من
المركبات الإضافية. ولكن على الرغم من هذا الاشتراك في الصورة المركبية لكل ما
أوردناه من أمثلة فإن ثمة ضرورة دلالية وتداولية للتفريق بين هذه المركبات التي
لا يمكن أن تؤخذ جميعاً على تفسير وظيفي واحد. وسنأتي لبيان ذلك في قادم هذا
البحث. وليبق تركيزنا هنا على توضيح التفسير التراثي وما وقف عنده علماء التراث
من أنماط هذا المركبات الإضافية.

القانون العام الذي نجده واضحاً بجلاء عند النحاة هو أن الإضافة لا تتطلب
إلا وجود علاقة ما بين (المضاف) و (المضاف إليه) حيث «يضاف الشيء لأدنى
ملازمة»^(٣٦)، ولأن الملابس لها وجوه كثيرة، فإن الوجه الذي ركز عليه الشراح
القاموسيون هو وجه (المبالغة)؛ أي إرادة المنشئ لهذا النمط المركبي الإضافي أن يبين
أمرين معاً: الاشتراك (في المجموعة) والامتياز (عن أعضاء المجموعة)؛ فالتركيز
من ثم هو على وجه الفائض الدلالي في الخاصية أو الصفة التي تزيد عند عنصر
على بقية العناصر المشتركة في الصفة أو الخاصية. وهذا التحليل يوصلنا إلى إدراك
القيمة التفسيرية التي تكمن في عبارة تاج العروس ومؤداها أن مُطلق هذا المركب
على شخص ما أو أمر ما، إنما يريد «تفضيله على أصحاب صفته لا على المطلق». لقد
أدرك أصحاب القواميس ما في هذا المركب من دلالة على أنه يطلق عندما يكون
أحد عناصر زمرة معينة فائقاً عليها في الصفة الجامعة لهذه العناصر. فهو منها، من
جهة الاشتراك في الصفة، وهو مفارق لها من جهة حجم هذه الصفة. فالمضاف غير
المضاف إليه؛ لذا فالأول يتعرف، أو يتخصص، بالثاني؛ ومن ثم فالتركيب يلبي
شرط الإضافة ووظيفتها. ونلاحظ أن القاموسيين العرب وصفوا مجال التفضيل بأنه
«الأمر المنكر الكبير - الأمر المتفاقم - الأمر المنكر العظيم - ما يُستعظم»، أو الأمر
الذي «لا مثيل له» و «لا نظير له»، وأن المقصد من وراء هذا الإطلاق هو «تعظيم
الأمر وتهويله». ولذلك فإنه «يقال للرجل إذا كان داهية: إنه لصَلِّ أصلاً، والصَلِّ:

الحية التي لا تنفع منها الرقية، وإنه لسبْد أسبادٍ، إذا كان داهية في اللوصية، وإنه لهتر أهتار، أي داهية من الدواهي، ... وفي أمالي ثعلب: يقال هو صلّ الأصلال؛ أي داهية الدواهي»^(٣٧). ومن ثمة فإننا نجد لدى الشراح القاموسيين ربطاً لهذه الظاهرة بمفهوم (المبالغة). وهذا ما يقودنا إلى وقفة لبيان هذا المفهوم، واستيضاح مدى قوته التفسيرية لهذا المركب.

مفهوم (المبالغة) وكفايته التفسيرية:

مفهوم (المبالغة) ذو ثقل إبستمولوجي يمتد إلى بلاغة أرسطو وكانتيليان وغيرهما. وبدءاً من ثمانينات القرن العشرين الماضي عاد الاهتمام مجدداً بهذه الظاهرة اللغوية، وبخاصة في إطار دراسات اللسانيات النفسية. وعلى المثال وصلت إحدى الدراسات التجريبية (الإمبريقية) - بعد دراسة ثمانية أشكال من الصور البلاغية في مدونة أدبية - إلى أن (المبالغة hyperbole) تشغل الموقع الثاني في التواتر؛ ومن ثم جاءت الدعوة القائلة بأنه «في إطار هذا التواتر المطبق فإن المبالغة تستحق اهتماماً أكثر مما تلقت حتى الآن»^(٣٨).

وفي التراث البلاغي العربي شغل هذا المفهوم مساحة واسعة^(٣٩). ومن هذه المساحة يهمننا هنا ذلك التفسير التداولي الذي يقدمه ابن قتيبة للمبالغة حيث يرى أن المبالغة يلجأ إليها العرب «في كل ما أرادوا أن يعظموه، ويستقصوا صفته»^(٤٠). وهذا تحديد بالغ الأهمية؛ لأنه يدرك أن الخصيصة الجوهرية في المبالغة هي (دلالتها وتداوليتها) وليس (نحويتها)؛ بمعنى أنها ظاهرة دلالية تداولية، وليست ظاهرة نحوية؛ فهي تتجسد في أشكال لغوية متعددة: معجمية أو مركبية أو تركيبية. كذلك هي استعمال لغوي يتضمن تقييماً إيجابياً أو سلبياً^(٤١) في المشاعر والتوجهات لدى مستعمله نحو موضوع ما. وهنا لا بد أن نفهم أن المقصود بـ (التعظيم) أو (استقصاء الصفة) ليس دلالة (المُدح) وحدها وإنما دلالة (التحقير والذم) أيضاً. فإذا كنا قد رأينا ربط هذا النمط المركبي الذي نحن صدهد بالمبالغة فإن هذا النمط إذاً يكون من باب (التعظيم) و (استقصاء الصفة)، أو من قبيل ما أسموه أحياناً بـ «الإفراط في الصفة»^(٤٢)، أو البلوغ «بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته»^(٤٣)، أو الدلالة على كبر المعنى على وجه التغيير عن أصول اللغة^(٤٤)؛ أي على وجه التغيير عن المعنى

الحرفي. على أن خصوصية المبالغة في نمط هذا المركب الإضافي تتأتى من كون هذه (الصفة) يشترك فيها المضاف والمضاف إليه مع امتياز زائد في هذه الصفة نفسها عند المضاف. وهذا هو جوهر (المبالغة) فيه؛ لأنه -كما قال الزبيدي في تاج العروس- يؤدي معنى التفضيل للمضاف في الصفة القائمة عنده وعند من يملكون الصفة نفسها؛ ف (الصفة)- بالمعنى الوجودي القائم بالموصوف- هي ميدان التفاضل بين المضاف والمضاف إليه. ومعنى (التفضيل) هذا مثل له البحري بصوغ شعري حين قال في مدح أحدهم^(٤٥):

يُبَيِّنُ بِالْفَضْلِ أَقْوَامٌ فِيْضُلُهُمْ مُوَحَّدٌ بِغَرِيبِ الذِّكْرِ مُنْفَرِدٌ
تَوَحَّدَ الْقَمَرِ السَّارِي بِشَهْرَتِهِ وَأَنْجَمُ اللَّيْلِ نَثْرٌ حَوْلَهُ نَدَدٌ

فهذا الممدوح الفاضل يقاس فضله على فضل أقوام فضلاء، ولا يقاس على غير الحائزين لهذه الصفة. وعلى هذا يمكن أن يقال في هذا الممدوح إنه (فاضل الفضلاء). ومن ثم فإننا نصل إلى نتيجة مهمة؛ وهي أن دلالة (التفرد) التي اقترحها المجمع دلالة لهذا المركب لا تُظهر دلالة (القياس) التي يعطيها هذا المركب الإضافي وما يتضمنه من خصوصية المقياس (المضاف) بالنسبة إلى المقيس عليه (المضاف إليه). فالقول بالتفرد يقضي على خصيصة الاشتراك الدلالي بين المضاف والمضاف إليه، أي على مجال المفاضلة والمقايسة بينهما. ولو كان المقصد هو فحسب إظهار (تفرد) المقيس لكان في اللجوء إلى أحد أنماط أسلوب التفضيل المعتاد عون تعبري؛ فقل مثلاً (فلان هو الأفضل أو الأشجع أو ... إلخ). وفي ذلك يمكن النظر إلى ما تقوله بينكا ستيتيفا Penka Stateva؛ وهي دراسة لسانية مهمة في تحليل صيغ التفضيل superlatives؛ حيث تذهب إلى أن «كل صفة من نوع (الأعلى the highest) و (الأغنى the richest) و (الأكثر إثارة للإعجاب the most impressive) تعني ضمناً تفرد الفرد الذي أُسندت إليه هذه الخاصية»^(٤٦). وهذا ما يقودنا إلى ضرورة عقد مقارنة بين المركبات الإضافية من النمط الذي نحن صده ومركبات صيغ التفضيل في العربية؛ وذلك ليتبين لنا وجه الاتفاق أو المغايرة الدلالية والتداولية بين الاستعمالين. ولنتأمل التركيبين الآتين:

- فلان أشعرُ الشعراء

- فلان شاعرُ الشعراء

والسؤال هو: ما وجه الاختلاف بين المقارنة في التركيب الأول والمقارنة في التركيب الثاني؟ في التركيب الأول نحن نقارن في أفضلية القيمة الشعرية، وفي التركيب الثاني نحن نقارن بين إنجاز شاعر معين وإنجاز غيره من الشعراء. ومن ثم فالمقارنة الأولى لا تتضمن معنى الصفة المستقرة الثابتة؛ ولذلك قال النحاة إن اسم التفضيل أشبه بالفعل من جهة دلالة على التجدد ومن جهة الوصف به؛ فهو «نعتٌ كما أن الفعل نعتٌ»^(٤٧). أما المقارنة الثانية فهي تتضمن التأكيد على إسناد صفة ثابتة مستمرة، فكأنها (لقب) دالٌّ على الثبوت.

أما وجه الاختلاف الآخر فهو أن كثيراً من أمثلة هذا المركب الإضافي لا يمكن صياغتها بأسلوب التفضيل: فلا يمكن مثلاً أن نصوغ اسم تفضيل من: (زيد فارس الفرسان) أو (عين الأعيان)، أو (شيخ الشيوخ)... إلخ.

وبما أن مفهوم (المقارنة) مرتبط بمفهوم (القياس)؛ فإننا نكون الآن قد وصلنا إلى أعقاب محاولتنا تقديم تفسير إدراكي لهذا المركب الإضافي الذي نعالجه.

نحو تفسير إدراكي:

في بحث بعنوان (الاستدلال القياسي بؤرة الإدراك)^(٤٨) يذهب القائمون به، وهم ثلة من العلماء الاختصاصيين في مجال دراسة القياس، إلى أن القياس analogy طالما عُدَّ جزءاً مركزياً في الذكاء والإدراك cognition البشريين. ولأنه «سدّة الإدراك ولحمته»^(٤٩)، ولأنه قدرة «فطرية»^(٥٠)، و «جزء لا يتجزأ من نظام الفرد اللغوي الدائم النمو طوال حياته»^(٥١)؛ فهو العنصر المهم في عناصر القدرات الإدراكية المتنوعة مثل التمكن من التذكر، والتكيف، والتعلم، والمنطق، والإبداع، وحل المشكلات، واتخاذ القرار، والحجاج، والإدراك الحسي، والتعميم، والتنبؤ، ووضع المفاهيم... إلخ. ولقد أشار دارسو القياس إلى نقطة مهمة وهي أن «الحجج القياسية قد تكون قوية وقد تكون ضعيفة؛ وذلك حسب وثاقة صلة الخصائص المذكورة في المقدمات بالخصيصة المنبثقة في النتيجة»^(٥٢). وبالاعتماد على هذه النقطة الأخيرة

نقول إن الحجاج على أمرٍ ما يقوَى بقوة حججه، ويضعف بضعف حججه. فإذا أردنا مثلاً أن نحاجج لصالح إثبات (شجاعة زيد) يمكننا إعطاء أحد القياسين الآتين:

القياس الأول	القياس الثاني
كل الفرسان شجعان	كل الفرسان شجعان
زيد شجاع	زيدٌ لا مثيل له في الشجاعة
إذا زيد فارس من الفرسان	إذا زيد أشجع من الفرسان

ولا شك أن القياس الثاني أقوى في إثبات شجاعة زيد من القياس الأول. وما ذلك إلا لأن الحجاج الأول هدفه تأسيسُ علاقة (انضواء في الصفة أو في الصنف)؛ أي انضواء زيد تحت مقولة (الفرسان). فهو إذن ينتمي إلى القياس التصنيفي. أما القياس الثاني فهدفه تأسيس علاقة (مقارنة في الصفة)، والمقارنة لا تقوم إلا عند وجود تفاوت في درجات امتلاك الصفة. فهو من ثم قياسٌ تناسبيّ *proportional analogy* ينظر إلى التطابقات بين الكائنات الواقعة داخل المجال نفسه. وهذا ما يجعل أحد الأنماط الرئيسة في المركّبات الإضافية التي نعالجها تنطوي ضمناً على أحكامٍ قيمية، وليس مجرد أحكام تفضيلية. ويوصلنا هذا التحليل إلى أهمية الفكرتين اللتين طرحهما تراثنا اللغوي في تحليل هذا النمط الرئيس:

- فكرة (نفي المثل) عن المضاف؛ وهو نفيٌّ يطال المثل القائم في الفئة المعروفة بطرازيته لتمثيل المقولة المتضمنة في المضاف إليه،
- وفكرة (المبالغة) في إثبات الصفة لهذا المضاف؛ وذلك بالنظر إلى ما أنتجه التركيب من تعديل لدى المتلقي يخص الممثل الطرازي *prototypical exemplar*^(٥٣) لهذه المقولة.

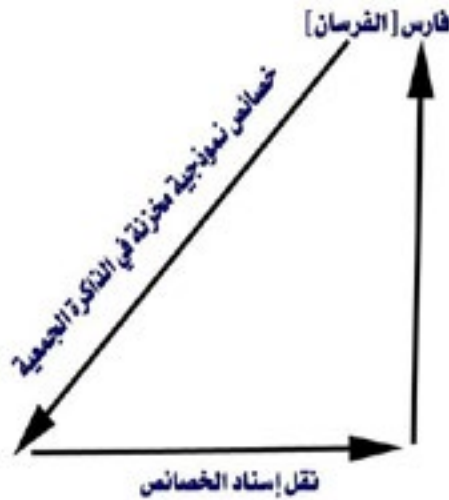
فبدون هاتين الفكرتين لا يمكن نسبة المركب إلى دلالة حكم القيمة.

وهاتان الفكرتان معاً تقتضيان منا أن نستدعي طرح السؤال الآتي: هل يتسق وجود هذا المركّب في اللغة وعملّ الذهن البشري في إجراء عملية القياس التي ذكرناها؟ ولقد أشرنا منذ قليل إلى تعبيرات إدراكية تتحلّق حول فكرة (الطرازية

Prototypicality). والمقصود من ذلك هنا هو نظرية الطراز الإدراكية Prototype Theory التي اقترحتها وطورتها إلينور روش E.Rosch منذ سبعينيات القرن الميلادي الماضي. ولقد عرّفت روش (الطُرُز) بأنه «التمثيلات الإدراكية المجردة للمفاهيم». وهذه التمثيلات للمفاهيم تتجه إلى تجميع المفاهيم المتماثلة أو المتقاربة في فئات دلالية، أو مقولات تصنيفية categories. وتتسم هذه المفاهيم التصنيفية بأن الواحد منها يضم عناصر غير متكافئة الدرجة؛ فمنها ما هو أقرب لتمثيل خصائص المفهوم، ومنها ما يبتعد نسبياً عن التمثيل الدقيق لهذه الخصائص. وبسبب من طبيعة المرونة، وقابلية إعادة التشكل العصبوني في الدماغ البشري وظيفياً وبنوياً functional and structural plasticity^(٥٤) فإنه يحدث إدخال عناصر جديدة في الفئة المفهومية، وكذلك يحدث تعديل في مراتب العناصر بالنسبة إلى نموذجية التمثيل للمفهوم المعين، أو يحدث أخيراً إخراج عنصر من فئة هذا المفهوم وانتقاله إلى فئة مفهومية أخرى. وما ذلك إلا لكون طبيعة الفئات التصنيفية في أدمغتنا «ذات طبيعة ديناميكية، وتمثيلات تتكيف مع البيئات المتغيرة»^(٥٥). ومن ثم فنحن بوصفنا بشرًا في حال تشغيل دائم لآلية دماغية أساسية تسمح لنا بإدراك العالم وتنظيمه والتكيف معه.

وبتطبيق هذه النظرية على المركبات الإضافية التي نعالجها نقول إن (المضاف إليه) (فيها هو ما يستحث الذاكرة لاستدعاء الارتباطات النموذجية الخاصة بالصفة المعينة التي يمتلكها المفهوم الذي يمثله هذا المضاف إليه. ومن ثم فعند إضافة المفرد وتبئره كرأس لهذا المركب الإضافي يقوم الذهن بإجراء قياس تفاضلي بين المضاف والمضاف إليه؛ أي بين ما يعرفه نموذجياً من قبل عن خصائص الصنف المقولي التي يمثلها المضاف إليه، وهذا الوافد الجديد (المضاف) الذي يفوق في تمثيله لهذه الخصائص تمثيل هذه الصنف. فـ (المضاف) هو المفهوم الجديد في هذا النمط الإضافي، و (المضاف إليه) هو المفهوم الطرازيّ المعلوم سلفاً لدى الموجّه إليه القول. وبصياغة جشطالتيّة أخرى نقول إن المتلقي لهذا المركب الإضافي يفهم (المضاف) على أرضية (المضاف إليه). ومن ثم فالمضاف إليه يعمل بوصفه الإطار المرجعي frame of reference الذي تقاس عليه صفة المضاف. ومن خلال هذه (القراءة) الذهنية يكتشف المتلقي قصد المرسل من تبئير (المضاف) وتكريس

أَمَامِيَّتُهُ - بالمفهوم الجشطالتي للأمامية foregrounding - في الرتبة المركّبة بما يؤسس لأماميته في الصفة الجامعة بينه وبين المضاف إليه. وكما تقول شازيا أكبر جيلزاي Shazia Akbar Ghilzai في دراستها المقارنة بين الإنجليزية واليونانية عن «أثر العوامل الإدراكية والنفسية في التنوع التركيبي للإضافة» فإنه «عندما يُدخل المتكلم المفاهيم الجديدة إلى المخاطب، فإنه [أي المخاطب] يربط المعلومات الجديدة بالمعلومات السابقة»^(٥٦). وبناء على ذلك فإن تفكيك الذهن لنمط المركب الإضافي الذي نعالجه هنا هو أنه يقوم بعملية تعديل لمثّل النموذج الطرازي الذي يعرفه من قبل والمتضمّن في المقولة التي يشير إليها (المضاف إليه). وهذا التعديل يجري لصالح تصعيد (أو نقل) نسبة التمثيل النموذجي لهذه الخصائص إلى (المضاف) ليكون هو (المثّل الطرازي الجديد للمقولة). وكما يوضح الرسم الشارح التالي فإن وضع المفهوم بين معقوفين [] يشير إلى أنه مفهوم متحصّل من قبل في الذاكرة، بخصائصه النموذجية التي تدركها الذاكرة الثقافية الجمعية. ومع إدراك المتلقي أن المرسل يريد منه أن يحصل حملاً بخصوص مفهوم (المضاف)، بدليل جعل هذا المضاف رأس المركب نحويّاً؛ ومن ثم جعله مركز الهيمنة الدلالية على الصفة المشتركة مع المضاف إليه، فإن هذا المتلقي يبدأ - خلال وقت المعالجة^(٥٧) processing time - في عملية نقل الخصائص النموذجية التي يمتلكها المضاف إليه إلى هذا الرأس (المضاف). والمثال المعطى في الرسم الآتي هو مركب (فارس الفرسان):



بيد أن أهم سؤال جاء وقت طرحه الآن في هذه المقاربة هو: هل كل أنماط هذا المركب الإضافي ذات دلالة واحدة في إقامة هذا الترتاب الطرازي؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول إن ما تحصيل لدى الباحث من تأمل استقصائه لأمثلة هذا المركب هو تقسيم أمثلته من وجهة الدلالة الإدراكية الطرازية إلى الخمسة الأنماط الآتية:

• نمط الترتاب الطرازي القيمي المباشر:

وفي هذا النمط يتم تصعيد مباشر لأحد أفراد الفئة ليكون هو الممثل الطرازي النموذجي prototypical exemplar لهذه الفئة. فنحن مع كل مركب من مركبات هذا النمط نكون - بلغة المنطق - أمام زمرة set ماصدقها عدد من العناصر المشتركة في خاصية جامعة لهذه الزمرة. وحيث إن إدراك التشابه أو الاختلاف يقوم على قاعدة معالجة التطابق في السمة a feature matching process فإن ذهن المتلقي لهذا المركب الإضافي يدرك أن المرسل يقصد إلى إعطاء رأس المركب قيمة عليا في امتلاك السمة تزيد عما لدى الجماعة الأصلية المثلة لتلك السمة. وفي هذه الحالة يمكننا أن نسمي هذا النوع من الوصف بهذا النمط من المركب: والوصف الأقصى maximative. فعندما نقول مثلاً (فارس الفرسان) ف (فارس) = (أحد) هؤلاء (الأحدين) الذين هم (الفرسان). وإذا رمزنا لمجموعة (الفرسان) بالرمز (ف)، ولعناصرها بالرموز (ف١، ف٢، ف٣...) فإننا نكون إزاء الترميز الآتي: ف = {ف١، ف٢، ف٣...}. ولكن لأن طبيعة التفكير البشري مصممة على الإدراك التدرجي وليس المعياري graded rather than criterial^(٥٨)، ولأن (الطرز) هي الأساس للتدرجية prototypes as a basis for gradability^(٥٩) التي تظهر في التركيبات المقارنة والتفضيلية حيث تدل على خاصية مشتركة بدرجات متفاوتة بين مجموعة عناصر، فإن أحد هذه العناصر يفوق - في هذه الخاصية المشتركة - غيره من العناصر الأخرى. لقد أصبح هو الممثل الطرازي لتلك الخاصية (= الفروسية هنا).

ولو أخذنا مثلاً آخر هو المركب (سر الأسرار): فإن مفهوم (الأسرار) يعني

الأمر التي يُتَكَمَّ عليها، ويمتنع البوحُ بها. فإذا وجد منها ما يكون التكتُم عليه أشدَّ وألزم؛ فيصبح هو الطراز النموذجي الذي يمثل مفهوم الأسرار. فالعناصر المضاف إذا ذو هوية معتمدة *dependent entity* من جهة الخاصية المشتركة، وذو هوية مائزة *distinguishing* من جهة حجم امتلاك الخاصية أو قدرها أو درجتها أو وظيفتها.

والأمثلة المركبة لهذا النمط هي مثل: سر الأسرار - فارس الفُرسان - فتى الفتيان - شاعر الشعراء - صُنْدِيد الصَّنَادِيد - جميلة الجميلات - سعيد السعداء - أميرة الأميرات - عين الأعيان - أستاذ الأساتذة - فتح الفتوح - نوبة النُوب - كأس الكؤوس.

● نمط التراتب الطرازيّ القيميّ المجازي:

وفي هذا النمط يتم التصعيد الطرازي عن طريق قياس مجازي تشبيهي حيث يستنتج الذهن طرازية (المشبه) بالنسبة إلى فئته من طرازية (المشبه به) بالنسبة إلى فئته. فعندما يقال مثلاً: (هذا الملاك هو أسد الأسود) فإن الذهن يستنتج الطرازية النموذجية لهذا الملاك بالنسبة إلى الملاكين عن طريق إجراء قياس على طرازية (أقوى أسدٍ تمثيلاً لمفهوم (الأسدية) بين الأسود الأخرى. وعادة ما تكون الصفة/ البؤرة في الخصائص الطرازية للمضاف إليه هي الصفة التي يتم نقلها وإسنادها إلى (المشبه) المراد نعت به المركب الإضافي. فصفة (الشجاعة) هي الصفة البؤرة في الأسود، وهي التي تنقل وتُسند إلى (المشبه)؛ فكأن (زيد أسد الأسود) = (زيد أشجع الشجعان).

والأمثلة المركبة لهذا النمط هي مثل: قمر الأقمار - شمس الشموس - بدر البدور - نجم النجوم أو نجمة النجوم - بحر البحور - زهرة الزهور - أسد الأسود - كَيْث اللُّيُوث - سَعْد السُّعُود (بالاستعمال التشبيهي وليس المصطلحيّ الفلكي) - نَحْس النُّحُوس (بالاستعمال التشبيهي وليس المصطلحيّ الفلكي).

• نمط التراتب الطرازي الوظيفي:

وفي هذا النمط يتم^(٦٠) التصعيد الطرازي ليس بقصد تفضيل أحد عناصر الفئة مبالغة أو استعظماً على حد تعبير القدماء، وإنما للدلالة على وضعية وظيفية، أو رتبة سياسية، أو مهنية، أعلى في التدرج الهرمي من الوظائف الأخرى الواقعة في مجالها. ولذلك ما يصح هو أن نُسَمِّي الوصف بهذا النمط الفرعي من المركب الإضافي بـ (الوصف السُّلَمِيّ scalar). فعندما نقول مثلاً إن (القاضي عبد الجبار كان قاضي القضاة) فهذا مجرد إخبار تقرير لا يحمل أي حكم قيمة. وإنما يحدد الموقع الإداري للموصوف بهذا الوصف؛ فهو يشغل درجة تعلو غيره من القضاة. وترد في كتاب (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) العبارة الآتية (فبعث الخليفة شيخ الشيوخ عبد الرحيم يأمر السلطان بالرحيل). ومن الواضح أن المقصد هنا هو تحديد وظيفة هذا الشيخ؛ فلا تفضيل هنا مدحاً أو ذمّاً، وإنما إيراد معلومة عن الرتبة الطرازية التصنيفية. ومع ذلك يلاحظ أن هذه المجموعة منها ما قد يُستخدَم أحياناً استخداماً مجازياً؛ فتدخل في هذه الحالة في النمط الثاني الذي ذكرناه من قبل. ففي المركب (أمير الأمراء) مثلاً - حين يراد به الدلالة غير الوظيفية التي نعرفها في النظام الإداري العباسي - قد يشبّه به شخصٌ شخصاً آخر على سبيل المدح فيقول له مثلاً (أنت أمير الأمراء في أدبك وأخلاقك).

والأمثلة المركبة لهذا النمط هي مثل: قاضي القضاة - شيخ المشايخ - إمام الأئمة - أمير الأمراء.

• نمط التراتب الطرازي الميتافيزيقي:

وفي هذا النمط يتم التصعيد الطرازي ليس بقصد المقارنة التفضيلية، وإنما لإثبات المغايرة والانفراد بخاصية معينة. فالمركب (ملك الملوك) مثلاً - عندما يستخدم في سياقات الخطاب الديني - توصف به الذات الإلهية للدلالة على امتلاك الله تعالى

السلطة المطلقة التي تعلو كل سلطة. وهو في ذلك مثل المركبين (رب الأرباب) و (إله الآلهة). وهذان المركبان في العربية يمثان المركبين الإضافيين اللذين نجدتهما مثلاً في اللغة العبرية: (נסיך הנסיכים) بمعنى (أمير الأمراء)، و אלוהי האלים بمعنى (إله الآلهة)، وهما مركبان يُطلقان على الله تعالى؛ ويُترجمان إلى الإنجليزية بـ (Prince of Princes) و (Lord of lords). وهذا الوجود المتشابه في اللغات يشير إلى أن هذا النوع من المركب الإضافي الذي يضاف فيه المفرد إلى جمعه إنما هو ظاهرة قائمة في اللغات الإنسانية استجابةً لطلب أداء وظيفة دلالية بالنسبة إلى الإدراك الإنساني.

والأمثلة المركبية لهذا النمط هي مثل: إله الآلهة - روح الأرواح - نور الأنوار - قدس الأقداس - جنة الجنات

• نمط التراتب الطرازي المصطلحي

وفي هذا النمط يتم التصعيد الطرازي أيضاً ليس بقصد المقارنة التفضيلية، وإنما لإثبات عموم المضاف لكل ما ينضوي تحت اسم (المضاف إليه). فالطرازية هنا هي طرازية (العموم). ويمكن القول هنا إن اتجاه المركب الإضافي لا يحيل إلى حكم قيمة داخل ذهن المرسل، وإنما إلى عملية ذهنية تصنيفية لعلاقات مفهومية بين أفراد مجموعة مصطلحية معينة. فمثلاً المركب (جنس الأجناس) يطلق على (جنس) هو شاملٌ لجميع الأجناس المنصوية تحته (فمثلاً: جنس (الجوهر)، يعلو جنس (الجسم)، الذي يعلو جنس (السائل)، الذي يعلو جنس (الماء)): فـ (الجوهر) هو جنس أجناس (الجسم) و (السائل) و (الماء).

والأمثلة المركبية لهذا النمط هي مثل: جنس الأجناس - نوع الأنواع - حقيقة الحقائق، سعد السعود (= منزل فلكي) (٦١).

الخلاصة:

في محصلة هذه المداخلة يمكن إيجاز ما توصلنا إليه في النقاط الآتية:

١ - إثبات أن ظاهرة إضافة المفرد إلى جمعه ظاهرة شائعة عبر تاريخ استعمالات اللغة العربية شعراً ونثراً، وفي عناوين الكتب وفي المصطلحات.

٢ - إثبات أن علماء التراث، وابن عاشور في العصر الحديث، قد التفتوا إلى مركبات الإضافة في هذه الظاهرة وقدموا مفهوم (المبالغة) تفسيراً لها.

٣ - تقديم معالجة جديدة للظاهرة باستثمار معطيات نظرية النموذج الطرازي في الإدراكيات.

٤ - الخروج بتقسيم دلالي/ تداولي غير مسبوق لأنواع مركبات الظاهرة؛ حيث بلغت أنماطها خمسة أنماط هي:

أ. نمط الترتاب الطرازي القيمي المباشر

ب. نمط الترتاب الطرازي القيمي المجازي

ج. نمط الترتاب الطرازي الميتافيزيقي

د. نمط الترتاب الطرازي الوظيفي

هـ. نمط الترتاب الطرازي المصطلحي

وعلى ضوء هذه النتائج فقد برهنت المداخلة على قصور واضح في المعالجة الجمعية للظاهرة من ثلاث جهات: جهة النظر إليها في سياق الاستعمال العربي، وجهة النظر إلى معالجة علماء التراث لها، وجهة استثمار النظر اللساني الحديث في تفسيرها.

الهوامش

١. أتقدم بكل الشكر والتقدير لأستاذنا العالم اللساني الكبير الدكتور سعد مصلوح على تجشّمه قراءة هذه المقالة، وعلى توجيهاته باستدراكاتة القيمة. وكذلك أتوجه بالعرفان والتقدير لأخي الدكتور حافظ إسماعيل علوي، وهو المبرز في جهوده اللسانية المرموقة، وقد كان له تسديداته الموجهة والمصححة. وبطبيعة الحال فإنني المسؤول الوحيد عن أي أخطاء أو قصور في المقالة.
٢. في كل أمثلة الأبيات الشعرية الآتية اعتمدنا على ورودها إما في: موسوعة الشعر العربي. الإصدار الأول ٢٠٠٩م - مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، أو في: الموسوعة الشعرية. المجمع الثقافي (أبو ظبي) (١٩٩٧-٢٠٠٣م). وفي حال الاعتماد على مصدر آخر فسيُنصّ على ذلك.
٣. ديوان مهلهل بن ربيعة. ص ١٠١. شرح وتقديم طلال حرب. الدار العالمية (ب.ب.)
٤. في الضبط النحوي لنص هذه القصيدة ما يحتاج إلى إعادة نظر وتدقيق.
٥. عبد الرحمن الرقوقي: شرح ديوان المتنبي. ص ٧٠٨. مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م. ويقول العكبري (ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالبيان في شرح الديوان. تحقيق مصطفى السقا +خ- دار المعرفة- بيروت) ٢/ ٢١١: «يقول: أنت بحر البحور وملك ملوك الأرض، ولا أوري أي أستر قولي، ولا أستشي من الملوك ملكًا، ويروى: بدر البدور».
٦. وهنا يمكن القول إن هذه المجاورة قد تعدّ ظاهرة أسلوبية محايدة لهذا النمط من الإضافة. وتستحق هذه المسألة دراسة مستقلة، وبخاصة ما يتعلق منها بما أسميه الإضافة المحوّلة كتلك التي نجدها عند ابن الرومي؛ في البيت الآتي:
يا شمسَ زُهرِ الشموسِ يا قمرَ الـ أقمارِ حسنًا يا زهرة الزُّهرِ
حيث إننا إذا أدركنا أن التركيب محوّل عن (يا شمسَ الشموسِ الزُّهرِ) فإننا نكون إزاء ثلاثة مُركّبات إضافية في البيت الواحد. وتلك الملاحظة تستحق

وقول ابن مالك في تحليل المركب الإضافي (كرام الناس) في البيت:

إِنَّا مُحْيُونَكَ يَا سَلَمَى فَحْيَيْنَا وَإِنْ سَقَيْتَ كِرَامَ النَّاسِ فَادْعِينَا

عندما قال إن الأصل هو «وإن سقيت الناس الكرام»، ثم قدم الصفة وجعلها نوعاً مضافاً إلى الجنس». انظر: ابن مالك: شرح التسهيل. ج ٣/ ٢٣١. تحقيق د. عبد الرحمن السيد & د. محمد بدوي المختون. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٩ م

٧. ابن قتيبة: كتاب الأنواء في مواسم العرب. حيدرآباد، ١٩٥٦ م، ص ٧٨-٧٩

٨. السابق نفسه، ص ٧٩

٩. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية. تحقيق إحسان عباس، وبكر عباس. دار صادر-بيروت-ط ١-١٩٩٦ م.

١٠. طاهر سليمان حمودة: جلال الدين السيوطي: عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي. المكتب الإسلامي-بيروت-١٩٨٩ م، ص ٦٢ ومواضع أخرى. ويلاحظ عدم دقة سنة الوقف بالنسبة إلى سنة وفاة صلاح الدين.

١١. ومن ثم هناك موقع إسلامي صوفي على الشبكة باسم (موقع شمس الشمس).

١٢. انظر: أبو العباس أحمد الهيثمي: الإجازة البالغة. تحقيق حسين حسن كريم. ص ٣١٨ (هامش رقم ٩)، دار الكتب العلمية-بيروت-٢٠٢٠ م

١٣. عبد القادر العيدروس: النور السافر في أخبار القرن العاشر. تحقيق أحمد حالو وآخرين. دار صادر-بيروت-ط ١، ٢٠٠١ م، ص ١٢٤

١٤. أحمد بن علي بن يوسف البوني: شمس المعارف الكبرى. ص ١٦٣. مكتبة جمهورية مصر-القاهرة. (ب.ت.)

١٥. انظر: حلمي النمنم: الأزهر: الشيخ والمشيخة. مكتبة مدبولي-٢٠١٢ م

١٦. محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي: الحاشية الثانية على الجواهر المنتظمت في عقود المقولات. ص ٣. دار الكتب العلمية-بيروت-٢٠١٦ م

١٧. ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. ج ٦/ ٣٢١. تحقيق محمد عبد القادر عطا & مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية-بيروت
١٨. أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب. ص ٦٨. تحقيق علي محمد البجاوي. نهضة مصر-١٩٨١م.
١٩. محيي الدين بن عربي: إنشاء الدوائر. ص ١٦. مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة ١٩٩٨ وانظر حول هذا المصطلح عند ابن عربي: محمد الصالح الضاوي: أولى الحقائق الوجودية الكبرى (أين وجد هذا العالم؟ وكيف؟ ومم؟): الفصل الثاني وعنوانه (حقيقة الحقائق). دار الكتب العلمية-بيروت-٢٠١٦م
٢٠. د. مهدي فضل الله: شرح الشمسية في القواعد المنطقية. ص ٦٣. المركز الثقافي العربي-بيروت.
٢١. السابق نفسه، ص ٢١٠
٢٢. راجع: د. محمد عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام. دار النهضة العربية. بيروت، ط ٢، ١٩٩٢م.
٢٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان. ٥/ ٢٠٧. تحقيق د. يوسف علي طويل || مريم قاسم طويل. دار الكتب العلمية-بيروت.
٢٤. هاشم يحيى الملاخ: طبيعة الدولة الإسلامية: دراسات تاريخية في المفهوم والنظم والإدارة. ص ١٦٢. دار الكتب العلمية-بيروت-٢٠٠٩م. وانظر: حسام الدين السامرائي: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، (فترة أمراء الأمراء) ٦٨-٨٠-دار الفكر العربي-١٤٠٣هـ.
٢٥. ابن الخطيب: الفرقان في تدوين القرآن. ص ٢٣٥. دار الكتب العلمية، ١٩٩٣
٢٦. يراجع تفسير الآية رقم (٤٢) من سورة فاطر في: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر مجلد ٢٢/ ٣٣٢. وقد أضفتُ هذه الزيادة بين معقوفين لأن (إحدى) في (إحدى الأمم) مضافة ومع ذلك لا تؤدي دلالة الاستعظام؛ لأن إضافتها تلك لغير اسم من لفظها.

٢٧. السيوطي: المزهري، ٢/ ٢٤٦-٢٤٩ (سبق ذكره).
٢٨. للتفرقة التي أصبحت لازمة بين (المعجم و (القاموس) انظر: د. محيي الدين محسب: نقل المصطلح اللساني. دار الهدى-القاهرة-٢٠٠١ م
٢٩. ابن منظور: لسان العرب (أحد). ط. دار المعارف-١٩٧٩ م
٣٠. الفيروزآبادي: القاموس المحيط (أحد). مؤسسة الرسالة-ط٢-١٩٨٧ م.
٣١. الزبيدي: تاج العروس ج٧/ (أحد)، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت (وزارة الإرشاد والأنباء)، طبعة ثانية مصورة، ١٩٩٤ م
٣٢. ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقصد. ص١١٨. تحقيق محمد كامل بركات. دار الكتاب العربي-١٩٦٧ م
٣٣. يقول بعضهم إن (الدهارير) جمع لا واحد له من لفظه، ولكن ان منظور يقول في لسان العرب «وواحد الدهارير دهر على غير قياس.. فكأنها جمع دهرور أو دهرار».
٣٤. ابن منظور: لسان العرب (دهر)
٣٥. ابن عباد: المحيط في اللغة. تحقيق محمد حسن آل ياسين. (أحد) ٣/ ١٨٣-عالم الكتب-بيروت-ط١-١٩٩٤ م. وهذا التفسير لمركب (أحد الأَحْدِينَ) يتسق والرواية الآتية عن الوليد بن عبد الملك: «وصلني يوماً الغداة فقرأ السُّورَةَ التي تُذكر فيها الحاقَّة فقال: يا لَيْتُهَا كانت القاضِيَّة، [أي قرأ بضمة على تاء ليتها] فبلغتَ عمرَ بن عبد العزيز فقال: أما إِنَّه إنْ كان قالها إِنَّه لأَحَدُ الْأَحْدِينَ»؛ أي داهية من الدواهي. انظر: الجاحظ: البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، ٢/ ٢٠٥-الخانجي، القاهرة-ط٧-١٩٩٨ م
٣٦. ابن مالك: تسهيل الفوائد. سبق ذكره، ص١٥٦
٣٧. السيوطي: المزهري في علوم اللغة. ٢/ ٢٤٧- تحقيق محمد أحمد جاد المولى + خ منشورات المكتبة العصرية - بيروت ١٩٨٦
٣٨. Kreuz, R.J. et al. (1996). "Figurative Language Occurrence.

and Co-occurrence in Contemporary Literature”, p. 91, in: R.J. Kreuz and M.S. MacNealy (eds.) Empirical Approaches to Literature and Aesthetics. Norwood, NJ: Ablex Publishing .97-Corporation: 83

٣٩. انظر: عالي سرحان القرشي: المبالغة في البلاغة العربية: تاريخها وصورها. (رسالة ماجستير مخطوطة) في كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - ١٩٨٢ م. وهي منشورة على الشبكة.

٤٠. ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن. ص ١٦٨. شرحه ونشره السيد أحمد صقر - ط ٢ - دار التراث - القاهرة. ١٩٧٣

٤١. الأمثلة التي سقناها حتى الآن للمركب الذي نحن صددته تصب في التقييم الإيجابي، أما أمثلة التقييم السلبي فكقول أحدهم في وصف آخر على أحد مواقع الشبكة إنه «جاهل الجاهلاء وبائس البؤساء وتعيّسُ التعساء» (انظر: <https://www.babnet.net/cadredetail-124753.asp>)، ويمكن أن يعدّ من الدلالة السلبية قول الشاعر ابن شلبون (ت ٦٣٩هـ):

خطبُ الخطوب دها العلاء مُصائبُهُ فَارَبًا بدمعكَ أن يقلَّ مَصَابُهُ

٤٢. عالي سرحان القرشي، سبق ذكره، ص ١٥

٤٣. هذا هو مفهوم (المبالغة) عند أبي هلال العسكري؛ انظر: أبو هلال العسكري: الصناعتين. ص ٣٦٥، تحقيق محمد علي البجاوي & محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ١، ١٩٥٢، دار إحياء الكتب العربية (اعيسى البابي الحلبي وشركاه)

٤٤. (٤٤) هذا هو مفهوم (المبالغة) عند الرماني؛ انظر: أبو عيسى الرماني: النكت في إعجاز القرآن. ص ١٠٤، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق محمد خلف الله أحمد & محمد زغلول سلام. دار المعارف بمصر، ط ٣، ١٩٧٦ م.

٤٥. ديوان البحري. تحقيق حسن كامل الصيرفي. ص ٦٤٦-٦٤٧. دار المعارف بمصر - ط ٣، المجلد الثاني

Penka Stateva (2004): Presuppositions in Superlatives. PDF. ٤٦
at: www.Researchgate.net

٤٧. المبرد: المقتضب. تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ٣/ ٣١١، ط ٣، القاهرة
١٩٩٤م

Helmar Gust et al (2008): Analogical Reasoning: A Core of. ٤٨
Cognition. PDF at: www.researchgate.net

٤٩. هذا هو عنوان بحث رايمو أنتيللا:

Raimo Anttila (2017): Analogy: The Warp and Woof of Cognition”
in: Brain D. Joseph & Richard D. Janda (eds.): The ,440-p. 425
.Handbook of Historical Linguistics. Blackwell Publishing Ltd
.Ibid. ٥٠.

Jim Blevins and Juliette Blevins: Introduction: Analogy. ٥١
in Grammar. In: James P. Blevins & Juliette Blevins (eds.),
Analogy in grammar. Form and acquisition. Oxford: Oxford
:University Press, 2009. At
/10/http://julietteblevins.ws.gc.cuny.edu/files/2016
.Blevins2009a-AnalogyinGrammar.pdf

Paul Thagard & Cameron Shelley (2001): “Emotional. ٥٢
Analogies and Analogical Inference”. In: D. Gentner
& K. H. Holyoak & B. K. Kokinov (Eds.), The analogical
(362-mind: Perspectives from cognitive science (pp. 335
.Cambridge, MA: MIT Press

٥٣. سنعود في موضع قادم لإعطاء نبذة عن النظرية الطرازية في اللسانيات
الإدراكية.

Bruno Will et al (2008):The Concept of Brain Plasticity—Paillard’s Systemic Analysis and Emphasis on Structure and Function. In: Behavioural Brain Research, (2008), doi:10.1016/j.bbr.2007.11.008. pdf at: www.neurotech.org.nz/publications

Lea Frermann (2017): Bayesian Models of Category.٥٥ Acquisition and Meaning Development. University of :Edinburgh. PhD, PDF at www.frermann.de/dataFiles/phd_thesis_leafrermann

Shazia Akbar Ghilzai (2017):The Influence of Cognitive and .٥٦ Psychological Factors on the Syntactic variation of Genitive Constructions: A comparison of English & Greek Language. P. 112, In: Perspectives in Language, Linguistics and Media 2 148-(2017) 111

٥٧. تتفاوت مدة وقت المعالجة بحسب بساطة المركب أو تعقيده، وجِدَّتْهُ أو قِدَمَهُ. فمثلاً لو ولَدْنَا مركباً مثل: زيد هو ممثل الممثلين) سيستغرق فهم المركب وقتاً أطول بسبب الاشتراك الدلالي في كلمة (ممثل): هل تعني تفوقه عليهم في قدرة الفن التمثيلي، أم تعني النيابة عنهم في أمر ما. وهنا يعوّل على السياق.

Vyvyan Evans, Benjamin K. Bergen and Jörg Zinken (eds.) .٥٨ (2007): The Cognitive Linguistics Reader. p. 126. Equinox .Publishing Ltd

Elena Tribushinina (2008): Cognitive Reference Points.٥٩ Semantics Beyond the Prototypes in Adjectives of Space and Colour. P. 78. Published by LOT, (Doctoral Thesis at Leiden University), PDF at: www.LOTpublications.nl

٦٠. يُغَلِّط بعض المحدثين استعمال الفعل (تم) قبل مصدرٍ آخر. ولقد رأيتُ أبا الأسود الدؤلي يقول:

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا بَحْرٍ خَلِيلِي فَنَعِمَ أَخُو الْمَوَدَّةِ وَالْحَلِيلُ
بِأَن قَدْ تَمَّ بَعْدُكُمْ بِنَائِي وَضَنَّ عَلَيَّ بِالْمَعْرُوفِ فِيلُ

٦١. دلالاته التراتبية تبدو واضحة عندما نعرف مثلاً حديث الفلكيين عن (السعود الأربعة)، وعن أن (المشتري) هو السعد الأكبر، وأن (الزهرة) تسمى السعد الأصغر... إلخ.

دور المعنى الدلالي-التداولي في تأويل الخطاب النحوي*

أ.د. ناصر بن فرحان الحريص^(١)

ملخص البحث

يهدف هذا البحث، في تبنيه لفرضيات نظرية التداولية المدججة، إلى إعادة قراءة دور المعنى في تأويل الخطاب النحوي وتحديد الموقع الإعرابي لمكوناته بناءً على تأزر نوعين من المعنى في تحقيق ذلك، أعني المعنيين الدلالي والتداولي. يعتمد الأول على المعجم الكامن في المقدرة اللغوية عند المتكلم بينما يعتمد الثاني على معنى يُستقى من الجمل فيما بينها، ومعنى يُستقى من الخطاب الضمني، اعتماداً على ما يزودها به السياق من فرضيات عن قصد المتكلم. وللتدليل على هذا التضافر بين المعنيين، يقدم البحث تحليلاً موجزاً لنماذج من التراكيب النحوية التي عولج تأويلها الإعرابي في صدر النظرية النحوية التراثية؛ مما يبرهن على أن الدلالة في بعدها المعجمي ليست، دوماً، كافية لتفسير التركيب النحوي، وتقديم تأويل يكشف عن علاقته ومكوناته؛ لأن المواقف اللغوية تؤثر في خيارات المتكلم.

الكلمات المفاتيح: نظرية التداولية المدججة، الخطاب النحوي، المعنى الدلالي،

المعنى التداولي، الخطاب الضمني، النظرية النحوية التراثية، السياق، الموقف.

١- أستاذ اللسانيات، قسم اللغة العربية وآدابها بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم.

Abstract

The Semantics-Pragmatics Interface Role in the Interpretation of Syntactic Discourse

Within the framework of integrated pragmatics, this paper aims to reread the role of meaning in the interpretation of Syntactic Discourse by examining two types of meanings: (i) the semantic meaning and (ii) the pragmatic meaning. The first one depends on the linguistic competence of the speaker while the second on the meaning derived from the implicit discourse, depending on the assumptions provided by the context about the speaker's intention. To this end, the paper analyses a number of syntactic constructions that were considered by the Arabic grammatical tradition in order to provide evidence indicating that the semantic meaning is not always enough in the interpretation of syntactic constructions because the situation affects the speaker's choices, thus giving a significant role to the pragmatic meaning in the interpretation of syntactic discourse.

Key words: Integrated pragmatics, syntactic discourse, semantic meaning, pragmatic meaning, implicit discourse, the Arabic grammatical tradition, context, situation.

١. المقدمة

منذ أن أدخل أنسكومبر Anscombe وديكرو Ducrot في نظريتهما، التي عُرفت بـ (التداولية المدججة Integrated Pragmatics)، المكون التداولي إلى جانب المكون الدلالي في عملية تأويل الخطاب، أصبح ينظر إلى المعنى اللغوي بوصفه خليطاً من «الاصطلاح والقصد»، وذلك عبر افتراض أن عملية تأويل الملفوظ تنطلق من التسليم بأن المتكلم يعبر عن أفعال كلامية صريحة وحرفية، أما المعاني الأخرى المتعلقة بمعنى الملفوظ فإنها تنضاف إلى المعاني الحرفية المصرّح بها دون أن تُلغى عنها. ووفقاً لهذه العلاقة التعالقية، فإن المخاطب يصل إلى مقاصد المتكلم speaker's intentions انطلاقاً من دلالة الجملة الملفوظ بها إلى معنى القول (المعنى التداولي) من منطلقات سياقية، ومعرفة مشتركة بينه وبين المتكلم، ومن العرف convention الذي يُشكّل منهل الخطاب عند المتخاطبين المنتمين إلى فئة اجتماعية معينة.

يهدف البحث الحالي إلى توظيف فرضية التعالق بين المكونين الدلالي والتداولي في الكشف عن دور هذه العلاقة في تأويل الخطاب النحوي والكشف عن العلائق الإعرابية التي تجعل من تأويله لا يقف عند حد الدلالة المعجمية للألفاظ، بل يتعدى ذلك إلى دور علاقة المقام ومقاصد المتكلم وطبيعة المظاهر الضمنية للمعنى وغيرها من المفاهيم المرتبطة بالظواهر المعتاد إسناد وصفها للمكون التداولي. وللتدليل على دور هذه العلاقة التعالقية في تأويل الخطاب النحوي وإزالة لبسه، يحلل البحث عدداً من التراكيب النحوية الواردة في كتاب سيبويه التي لا يمكن فهم تأويلها النحوي (الإعرابي) إلا في ضوء هذه العلاقة التعالقية بين المعنيين الدلالي والتداولي. وفي ذلك دلالة على إدراك النظرية النحوية التراثية في تاريخها المبكر أهمية المكون التداولي وعدم كفاية المعنى في بعده المعجمي في تفسير التركيب النحوي وتقديم تأويل يكشف عن علائقه ومكوناته، وربّما، مشكل إعرابه.

ولكي يحقق البحث الحالي أهدافه، فقد قُسمت مباحثه إلى أربعة مباحث رئيسة. يفتح تلك المباحث البحث الثاني الذي يتناول - باختصار - المعنى وتأويل الخطاب النحوي في الأدبيات العربية المعاصرة. ويناقش المبحث الثالث أسس نظرية التداولية المدججة التي تخدم هدف البحث، لا سيما فكرة تمييز «دلالة» الجملة من «معنى» القول،

ومسلمات النظرية وقوانين الخطاب. ويلقي المبحث الرابع الضوء على نماذج مختصرة من التراكيب النحوية التي عولج تأويلها الإعرابي اعتماداً على تضافر المكونين الدلالي والتداولي (في إنجاز الخطاب النحوي عبر تحديد الجمل الكامنة وراء الملفوظات القابلة للإنجاز). وأخيراً، تأتي خاتمة البحث، في المبحث الخامس، لتلخص أفكار البحث وأهم نتائجه.

٢. المعنى وتأويل الخطاب النحوي في الأدبيات العربية المعاصرة

جلُّ الدراسات التي تناولت دور المعنى في تأويل الخطاب النحوي كانت تقف عند بعده الدلالي مغفلةً بعده التداولي وتعالقه مع نظيره الدلالي. ففي نظر تلك الدراسات، يُعالج علم الدلالة معنى الجملة في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، في حين تتولى التداولية المعنى ضمن إطار المقام المحدد المعالم والمقاصد، ولا تلاقي بينهما في بنية الخطاب النحوي. وكأننا بين اتجاهين ينبثق عنهما فرضيتان:

أ. اتجاه يعتبر الخصائص المرتبطة بالمقام ظواهر تتعلق بالأداء الكلامي.

ب. اتجاه يعتبر الخصائص المستقلة عن المقام تُشكّل جزءاً من الكفاية اللغوية

للمتكلم التي هي مكون من مكونات الملكة اللغوية.

إذا أخذنا بفرضية الاتجاه الأول يصبح من الضروري وضع نظريتين منفصلتين:

أ. نظرية تختص بوصف الخصائص والعلاقات الدلالية الصرف، باعتبارها كفاية لغوية.

ب. نظرية تختص بوصف الخصائص والعلاقات المرتبطة بالمقام، باعتبارها أداءً كلامياً.

أما إذا أخذنا بفرضية الاتجاه الثاني فيصبح من مهام النظرية اللغوية أن تقوم بتنظيم النحو على الشكل الذي يجعله يسع وصف الخصائص والعلاقات المرتبطة بالمعنى سواء استقلت عن السياق أم خضعت له. ومن أبرز تلك الدراسات:

- الحموز، عبد الفتاح، القطع نحويًا والمعنى.
- بوقرومة، حكيمة، التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة والسميائية.
- نحلة، محمد أحمد، المباحث التداولية.
- بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية.
- خليل، خالد، الدلائل والتداوليات، علاقة وإشكاليات.

ما يروم إليه البحث الحالي يختلف عن تلك الدراسات الآتفة في كونه يربط بين المكون الدلالي والمكون التداولي في تأويل الخطاب النحوي وتفسيره والكشف عن علاقته الإعرابية التي تجعل من تأويله لا يقف عند الدلالة المعجمية للألفاظ بل يتعدى ذلك إلى دور علاقة المقام ومقاصد المتكلم وطبيعة مظاهر المعنى الضمنية^١. والبحث وفق هذا الهدف، ينتزل في صلب البحث الدلالي-التداولي الفلسفي ويتخطى جدلية الفصل بين علمي الدلالة والتداولية إلى التلاقي والتصافح بينهما في تأويل المعنى وتفسيره. وهذا مسار جديد بدأ يشق طريقه في الدراسات اللسانية المعاصرة، وهو مسار البحث في التداخل والتعلق بين مستويات ومكونات التمثيل في النظام اللغوي^٢

Interfaces in Linguistics

٣. التداولية المدمجة لأنسكومبر وديكرو^٣

لن ندخل، هنا، في تفاصيل نظرية التداولية المدمجة، وإنما سنركز فقط على فرضيتها التي ترى أن ثمة علاقة تعالقية بين المعنيين الدلالي والتداولي، وهي الفكرة التي يتكئ عليها البحث الحالي في سبيل تأويل الخطاب النحوي وبيان علاقته الإعرابية. وهذه العلاقة التعالقية هي محور أفكار نظرية التداولية المدمجة التي تجلت ابتداءً في أعمال ديكرو التي رأت النور في سنوات ١٩٧٢، و١٩٨٠، و١٩٨٢، ثم في العمل الرائد الذي اشترك فيه مع أنسكومبر سنة ١٩٨٣^٤. ويبدو تأثير نظرية أفعال الكلام التي جاء بها أوستن سنة ١٩٥٠م^٥ في أفكار نظرية التداولية المدمجة^٦، لا سيما في تأكيد رفض التصور القائم على الفصل بين الدلالة وموضوعها معنى الجملة، والتداولية وموضوعها استعمال الجملة في المقام (أي، معنى القول)^٧. فمجال البحث

في نظرية التداولية المدججة هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، وموضوعه هو بيان الدلالة التداولية لا الخبرية الوصفية المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن^٨؛ وذلك لأن غاية هذه النظرية هي البحث عن الجوانب التداولية داخل بنية اللغة نفسها لا خارجها بناءً على « أن اللغة تحقق أعمالاً لغوية، وليست وصفا لحالة الأشياء في الكون، وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة عن عملية القول لا عن الكون »^٩. وهي، بسبب هذه النظرة المتفردة للمعنى^{١٠}، نظرية بنائية ترفض المقابلة التقليدية بين المعنى المعجمي والمعنى غير المعجمي، بل تمثل الإشارة إلى إلقاء القول خاصية مميزة للشفرة اللغوية مسجلة في بنية اللغة. أما فهم القول فيعتمد مسارات استدلالية خاصة بكل لغة معينة، وهي في طبيعتها استدلالات حجاجية غير استنتاجية وذات طبيعة تدريجية. كما أنها لا تقوم على شروط الصدق، إذ تهدف إلى إبراز الفرق بين اللغة الطبيعية واللغة الصورية^{١١}. وهذا يقودنا إلى أهمية التمييز بين (دلالة الجملة) و(معنى القول) و(إلقاء القول) وفق فلسفة نظرية التداولية المدججة، وهو ما يتناوله البحث الموالي.

٣-١. الجملة والقول

يرى ديكر و أن ضرورة تمييز معنى الجملة من معنى القول يعد أهم مبادئ نظرية التداولية المدججة. فالجملة، حسب اصطلاح ديكر و، كيان مجرد تكونه مجموعة من المفردات مركبة وفق قواعد النحو. وأما القول فهو عبارة عن إلقاء (تلفظ) قوليّ مخصوص للجملة. كما ينظر ديكر و في الحالة التي يستحيل فيها أن نستخلص من دلالة الجملة على نحو ما تصوّرها اللسانيون، المعنى الذي نُعيّن للقول^{١٢}. في المقابل، دلالة الجملة في التقليد اللساني هي «المعنى الحرفي». وتدّل عبارة المعنى الحرفي على ما يبقى ثابتاً من الجملة بين تحقق وآخر^{١٣}. وهذا يعني أن دلالة الجملة لم تعد أمراً يمكن قوله ولكنها بالأحرى مجموعة من التعليقات^{١٤} تمكن، بالرجوع إلى مقام الخطاب، من النفاذ إلى معنى القول. ومن ناحية أخرى، فإن قصد المتكلم المنشئ للقول لم يعد يتمثل في الإنتاج الآلي لدلالة الجملة، ولكن في أن يُطلع مخاطبه على استنتاج معيّن هو ما يستهدفه حين ينشئ القول.

٢-٣. الجملة مقابل القول والدلالة مقابل المعنى

من الركائز الأساسية التي قام عليها التحليل البنيوي للتداولية المدمجة إجراء تقابل بين الجملة والقول وصفاتها (الدلالة مقابل المعنى)^{١٥}. ووفق هذا التقابل، تتحدد الجملة، لغوياً، أساساً ببنيته التركيبية وبدلالاتها التي تُحتسب على أساس دلالة الكلمات المكوّنة لها. وضمن هذا الفهم، فإن الجملة كيانٌ مجرد في حين أن القول كيان تفاعلي تواصل؛ لأن المتخاطبين، عند التواصل، لا ينشئون جملاً بل يتبادلون أقوالاً. ووفقاً لذلك، يصبح القول نتاج إلقاء جملة ما تتممها المعلومات التي نستخرجها من المقام الذي تُلقى فيه^{١٦}.

وإن كانت الدلالة مرتبطة بالجملة، فإن القول لا ترتبط به الدلالة بل يرتبط به المعنى. وينبغي أن تفهم دلالة الجملة هنا على أنها نتاج إرشادات لغوية تكوّنها التعليقات في مصطلحات ديكرو كما مر بنا^{١٧}. وتحتسب بواسطة المكوّن اللساني. وبالمقابل، فإن معنى القول هو دلالة الجملة مضاعفاً إليها الإرشادات السياقية والمقامية التي تحتسب انطلاقاً من المكوّن البلاغي. والالتجاء إلى قوانين الخطاب، كما سيأتي، هو من خصائص المكوّن البلاغي الذي يوافق ما ينتج عنه معنى القول^{١٨}.

٣-٣. مسلّمات التداولية المدمجة

تدافع نظرية التداولية المدمجة عن الأطروحتين التاليتين^{١٩}:

(أ) تكمن الأطروحة الأولى في الدفاع عن تصوّر لا وصفيّ للغة مفاده أن الأقوال لا تبلغ حالات أشياء في الكون (وظيفتها التمثيلية) بل تبلغ أعمالاً؛ أي أعمالاً لغوية (من قبيل الأمر والوعد والتمني والإخبار والحجاج).

(ب) أما الأطروحة الثانية فهي أطروحة الإحالة الانعكاسية (أو الإحالة الذاتية) للمعنى وهي ما يُمكن تلخيصه في الصيغة التالية: إن معنى القول ما هو إلا وصف لتلفظه^{٢٠}. وتأويل هذه الصيغة هو: أن نفهم قولاً ما هو أن نفهم دواعي إلقائه. فيكون وصف معنى قول ما وصفاً لنمط العمل الذي يُفترض أن ينجزه القول.

ومن هاتين الأطروحتين بُنيت مسلّمات التداولية المدمجة، ومن أبرزها^{٢١}:

(أ) غاية وضع النظام اللغوي هي التواصل باعتبار أن معنى القول مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية قوله؛ لأن بنية اللغة تعكس عملية إلقاء القول أو تشير إليها.

(ب) لا تمثل اللغة مجموعة من الإمكانيات النحوية داخل الجملة فحسب؛ إذ توجد شروط لغوية دقيقة تقيد تسلسل الأقوال وتعاقبها تحكمه ببنوية الخطاب المثالي التي تضبط حسن ائتلاف المتتاليات من الجمل بالاعتماد على مجموعة من القواعد.

(ج) دراسة معنى القول تشمل جانبين هما: دلالة الجملة (المجال اللغوي)، ومعنى القول (المجال البلاغي أو التداولي)؛ لأن التمييز بين الدلالة والمعنى ضروريٌّ كلما أردنا التمييز داخل عملية بناء المعنى بين دور العناصر اللغوية ودور العناصر غير اللغوية.

(د) إلقاء القول (أي، النشاط الذي يكون وراء إنتاج الأقوال) بنية معقدة من أحداث الخطاب ذات وظائف مختلفة.

٣-٤. قوانين الخطاب في التداولية المدمجة

كثيراً ما سعى ديكر^{٢٢} إلى تبرير اللجوء إلى قوانين الخطاب في إطار التداولية المدمجة. وارتبط هذا اللجوء بالمبدأ العام للتداولية المدمجة الذي يؤكد أن وصف قول ما لا يتم إلا من خلال بيان صلته بالمكوّن اللساني والمكوّن البلاغي. وتكون صلته بالمكوّن اللساني عبر دلالة الجملة من حيث هي كيان مجرد يتحقق بواسطة القول الذي يمثل في حد ذاته نتيجة الحدث التاريخي المتمثل في إلقاء القول. أما صلته بالمكوّن البلاغي فتعود إلى ملايسات إلقاء القول التي منها تعرف بلاغة معنى القول. وحينئذ يكون السبب الأول لاستعمال قوانين الخطاب ذا طابع نظري، ذلك أن تلك القوانين هي نتيجة مباشرة للتمييز بين الجملة والقول؛ أي، التمييز بين الدلالة والمعنى من جهة، وبين المكوّن اللساني والمكوّن البلاغي من جهة أخرى.

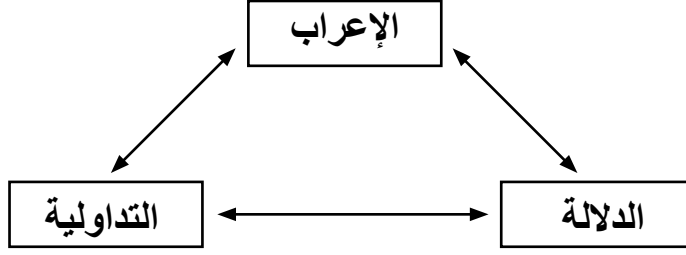
وتفهم قوانين الخطاب في التداولية المدمجة بكيفيتين مختلفتين^{٢٣}: (أ) إما على أساس أن قوانين الخطاب تقرر دلالة الجملة بمعنى القول، وهي بهذا تقوم بالدور المنهجي نفسه للتحويلات التشومسكية، أي أنها تصلح لتفسير بعض آثار المعنى (ما يقابل

الأبنية السطحية) انطلاقاً من مبادئ غير لغوية ومن الدلالة اللغوية (ما يقابل الأبنية العميقة)^{٢٤}، و(ب) إما على أساس أن قوانين الخطاب تقرر المعنى الحرفي بالتلميح الذي يقصد المتكلم إبلاغه. وفي هذه الحالة، يكون مدار قوانين الخطاب معتمداً على المكوّن البلاغي لا على المكوّن اللساني.

٤. تأويل الخطاب النحوي في ضوء تعالق المعنى الدلالي-التداولي

إن علمي الدلالة والتداولية علما يكمل بعضهما الآخر، حيث تُعنى الدلالة بتفسير الجمل وفق شروطها وقبورها النظامية، وتحدد معانيها الحرفية، والإشارة إلى أدنى مقاماتها، وتصف الكلمات ومعاني الجمل، وتربطها بالصدق والكذب أحياناً (وهي في ذلك تقدم خدمة للنظام اللغوي، وليس لمقاصد المتكلمين). في المقابل، تعنى التداولية بما وراء ذلك، فتربط مقاصد المتكلم بالبحث عن المقام المناسب، والشروط التي تضمن نجاح العبارة أو الشروط التي تسمح بنجاحها، ولا تهتم بصدقها أو كذبها؛ لأن ههما هو الربط بين النص وسياقه، متوخية نوعين من المعاني: (أ) معنى يؤخذ من الجمل فيما بينها (مجال علم الدلالة)، و (ب) معنى يؤخذ من الخطاب الضمني والمسكوت عنه، اعتماداً على ما يزودها به السياق من فرضيات حول روم المتكلم وقصده.^{٢٥}

والمتتبع لتأويل الخطاب النحوي وإشكاليات إعرابه يجده لا ينفك يعتمد على التأويل الدلالي-التداولي للمعنى في الكشف عن العلائق النحوية المنظمة لمكونات جملة. وقد كان ذلك واضحاً أتم الوضوح في البدايات المبكرة للنظرية النحوية التراثية. فسيبويه كان كثيراً ما يوظف هذا التضافر خاصة في التراكيب المشكلة الإعراب أو تلك التي تحمل أكثر من وجه إعرابي. ويقترح إدريس مقبول الخطاطة أدناه^{٢٦} التي توضح تمثيل هذه العلاقة التضافرية بين الإعراب والمستويين الدلالي والتداولي:



وسنستعرض بعضاً من تلك التراكيب في المباحث الفرعية الموالية.

١-٤. مررت برجلين مسلم وكافر/مسلم وكافر

يحلل سيويه التركيب النحوي لـ: (مررت برجلين مسلم وكافر/مسلم وكافر) من خلفية تداولية يُترك فيها الخيار للمتكلم لأن يختار بين حالة الجر موافقة للموصوف (الرجلين)، أو حالة الرفع على اعتبار «مسلم وكافر» خبرين لمبتدأ محذوف. وذلك، كما لاحظ سيويه، لأن المتكلم يحاول أن يستبق السؤال الذي من الممكن أن المخاطب سيطرحه، إما «بأي ضربٍ مررت؟ أو فها هما؟». وفي هذا الصدد نجده يقول: «مررت برجلين مسلم وكافر، جمعت الاسم وفرقت النعت. وإن شئت كان المسلم والكافر بدلاً، كأنه أجاب من قال: بأي ضرب مررت؟ وإن شاء رفع كأنه أجاب من قال: فها هما؟ فالكلام على هذا وإن لم يلفظ به المخاطب؛ لأنه إنما يجري كلامه على قدر مسألتك عنده لو سألته»^{٢٧}.

٢-٤. خيرَ مقدم

يقول سيويه^{٢٨}: «وما ينتصب على إضمار الفعل المستعمل إظهاره، أن ترى الرجل قد قدم من سفر فتقول: خيرَ مقدم، أما النصب فكأنه المتكلم بناه نحويًا على قوله (قدمت)، فقال: قدمت خيرَ مقدم، وإن لم يسمع منه هذا اللفظ، فإن قدومه ورؤيته إياه لغويًا بمنزلة قوله: قدمت». وقد سوَّغ المعنى التداولي، عبر العرف convention الذي يُشكّل منهل الخطاب عند المتخاطبين المتتمين إلى فئة اجتماعية

معينة، هذا الحذف؛ لدلالة الحال التي نابت مناب اللفظ المحذوف واستلزم منها معنى الخبر. وهذا الحذف، كما يقول السيرا في^{٢٩}، من الباب الذي يجوز إظهار الفعل فيه وإضماره لحال حاضرة ودلالة بينة^{٣٠}. وفي تأكيد أهمية تداولية المعنى، يقول كارتر^{٣١} معلقاً على توجيه سيبويه: «إذ ليس المتكلم هو وحده المنخرط في نشاط تعاوني مع المخاطب في سياق واقعي، بل إن السياق نفسه يمكن أن يصبح المكون النشط في الشكل النحوي للقول».

٣-٤. «كلمته فاه إلى في» و «بايعته يداً بيد»

ومن أوضح الأمثلة على تضافر المعنى الدلالي-التداولي في تأويل الخطاب النحوي، ما ذكره سيبويه من تأويل للتركيبين النحويين لـ «كلمته فاه إلى في» و «بايعته يداً بيد» (أي، نقداً)، حيث يجب فيهما النصب؛ لأن المعنى المعجمي هنا غير مراد، وإنما المراد أنه بايعه فوراً في موقع البيع، ولا يهم أكان المخاطب قريباً أم بعيداً (الكتاب بولاق ١/١٩٦). وهنا نلاحظ التوجيه التداولي أو (الإعراب التداولي)^{٣٢}؛ لأن المراد هنا معنى القول ومعنى إلقائه لا معنى الجملة كما عرضنا له في حديثنا عن نظرية التداولية المدججة. والكتاب مليء بمثل تعبيرات البيوع هذه من مثل: (بعت الشاء شاةً ودرهماً/ قامرته درهماً في درهم/ بعت داري ذراعاً بدرهم/ بعت البر قفيزين بدرهم/ أخذت زكاة ماله درهماً لكل أربعين درهماً/ وبينت له حسابه باباً باباً) وغيرها من التعبيرات التي توضح أن الشيء وقيمه (أي، شاةً ودرهماً) يجب أن يذكر معاً، وإلا فإن المعنى لا يصح من الناحية الفقهية والشرعية. ولأهمية تداولية معنى القول هنا ودوره في الإعراب، يعلق كارتر قائلاً: «وسيبويه يعني بهذا أن المعنى لا يصح في حالة نية العقد بدليل صحة هذه التعبيرات معنىً عند حذف «القيمة» شريطة انتفاء القصد التعاقدي، نحو: بعتُ شائي شاةً شاةً، بعت داري بذراع، ولكن عند حذف القيم سيظن المخاطب أنك بعت شياهاك دفعة واحدة، وأن الدار كلها

ذراع، وهكذا (أي أن المعنى دلالي «معجمي» ليس غير)»^{٣٣}.

وعن توجيهات سيبويه السابقة، يعلق كارتر^{٣٤}: «لا يعدو المعنى أن يكون أكثر من القصد والمراد؛ ولهذا كان الفعل (أراد) ومشتقاته الأكثر شيوعاً في الكتاب ... [مما يدل على] أن سيبويه كان مدرّكاً تماماً للفرق بين معنى القول ودلالة الجملة؛ إذ قد أشار أكثر من مرة إلى (معنى الكلام)، و(معنى الحديث) اللذين هما جزء لا يتجزأ من معنى القول، وليساً جزءاً من مجموع مفرداته. وكلمة (معنى) تستعمل في الغالب وبشكل حصري للدلالة على معنى الأفعال الكلامية، وليس على دلالة الكلمات».

وهذا الأمر يكشف لنا مدى تقاطع ذلك مع فرضيات التداولية المدججة لا سيما في تمييزها بين مكونات القول الدلالية الذي نتج عنه تمييز بين القول والجملة والمعنى والدلالة وبين المكوّن النحويّ والمكوّن البلاغيّ. وبموجب هذا التمييز، تكون الدلالة نتاجاً للجملة باعتبارها وحدة لغوية مجرّدة، ويكون المعنى نتاج القول باعتباره الإنجاز المقامي للجملة. ويدلّل هذا التمييز على أن سيبويه كان يرى أن المعنى خليط من الاصطلاح والقصد. ومن هنا، لا بد، عنده، من إدراك قصد المتكلم Speaker's intention وما يحمله الخطاب من معاني ضمنية implicit meaning. وهذا مصطلحان يكثر دورانهما في التداولية المدججة، ويرتبطان بدلالة معنى القول ودلالة طرق إلقاءه. يراد بقصد المتكلم (أو مقاصد المتكلم) المعنى الذي يريده المتكلم شريطة أن يريد إحداث تأثير على مخاطب بعينه^{٣٥}. في المقابل، المعنى الضمني هو كل فرضية نستخلصها من قول لم يقع إبلاغه لنا إبلاغاً صريحاً. وقد فصل غرايس القول فيه في نظريته القصديّة وبالتحديد عند حديثه عن التضمين التخاطبي (conversational implicature) عندما أكد أن المعاني الضمنية^{٣٦} هي التي تؤدي من دون أن يصرّح بها في الخطاب، مثل الاقتضاء واستلزامات المحادثة، وتقابلها المعاني الصريحة (الأعمال اللغوية «الفعل اللغوي»).

٥. الخاتمة

لقد حاول البحث أن يبرز، مستعيناً بفرضيات نظرية التداولية المدججة، أهمية المكون التداولي وعدم كفاية المعنى في مكونه الدلالي (المعجمي) في تفسير التركيب النحوي وتقديم تأويل يكشف عن علاقته وإشكاليات إعرابه؛ وذلك لأهمية المواقف اللغوية (كالمقام وغيره) في التأثير في خيارات المتكلم وقصده. وهذا الإدراك لهذه الأهمية هو السبب الذي جعل سيبويه يقدم لنا شروحات نفسية للخيارات التي تكون في ذهن المتكلم والمخاطب. وقد تجلت فرضيات التداولية المدججة ظاهرة في تحليل سيبويه وتفسيره لتلك التراكمات التي عرض لها البحث، ويمكن ملاحظة ذلك في تركيزه على وظيفة النظام اللغوي وهي التواصل عبر اعتبار (أ) معنى القول مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بعملية قوله و(ب) العلاقات النحوية ليست كافية؛ إذ لا بد من مراعاة أن تقيّد تسلسل الأقوال وتعاقبها يحكمهما بنيوية الخطاب المثالي وأيضاً (ج) المعنى يشتمل على جانبيين هما دلالة الجملة (باعتبارها وحدة لغوية مجردة) ومعنى القول (باعتباره الإنجاز المقامي للجملة). وهذا يعني أن تأويل معنى القول، عند سيبويه، كما في إطار التداولية المدججة، يتشكل ضمن علاقة تعالقية بين البنية النحوية وسياق التلفظ وملابسات القول؛ وذلك لأن البنية النحوية للقول ليست بمعزل عن سياقات تلفظها.

إن نهج سيبويه في التعامل مع بنية الخطاب النحوي عبر الاتكاء على الإعراب التداولي، يؤكد لنا أن ما يزودنا به التأويل الدلالي ليس كافياً، ومن ثم تبرز أهمية التأويل التداولي الذي يملأ، كما يقول فرانسوا ريكاناتي^(٣٧) الثغرات التي لم يسدها التأويل الدلالي؛ لنصل إلى قصد المتكلم التواصل الفاعل في إنجاز الخطاب وتأويله.

*أنجزَ هذا البحث بدعم من عبادة البحث العلمي بجامعة القصيم تحت رقم (٥٢٠٦) خلال السنة الأكاديمية ١٤٣٩-١٤٤٠هـ. والباحث ينتهز الفرصة هنا ليقدم للعبادة الشكر على دعمها وتفعيلها بيئة البحث العلمي في الجامعة.

This research was supported by a grant (n.5206) from Deanship of Scientific Research at Qassim University during the academic year 2019.

البريد الإلكتروني: nasser-alhorais@qu.edu.sa.

١. أشارت بعض الدراسات إلى فكرة العلاقة التعالقية بين المعنيين الدلالي والتداولي على نحو ما نجد عند فرانسوا ريكانتي في كتابه: (٢٠١٦) فلسفة اللغة والذهن، ترجمة: الحسين الزاوي، و (٢٠١٨) المعنى الحرفي، ترجمة أحمد كروم (ينظر قائمة المراجع).

٢. كثيرة هي الأبحاث اللسانية الغربية في هذا الموضوع، ولعل من أهم ما كتب فيه الكتاب الضخم الذي نشرته دار أكسفورد الشهيرة ضمن سلسلتها اللسانية الضخمة:

Interfaces in Linguistics: New Research Perspectives, 2011

وكذلك الكتاب الآخر الذي نشرته الدار نفسها وحرره جليان رامشاند وتشارلز ريس (ينظر تفاصيل المرجعين في قائمة المراجع الأجنبية):

Oxford handbook of linguistic interfaces/edited by Gillian Ramchand and Charles Reiss, 2007

٣. أود أن أشكر هنا مساعدة الباحث الأستاذة أروى مشاري الصعب؛ لمساهمتها في جمع جزء من المادة العلمية للتعريف بنظرية التداولية المدججة.

٤. ينظر قائمة المراجع الأجنبية.

٥. فحوى نظرية أفعال الكلام التي جاء بها أوستن وطورها تلميذه سيرل يتلخص في أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فهو نشاط مادي نحوي يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد، وغايات تأثيرية كالرفض والقبول، فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً ذا تأثير في المخاطب. وفي ضوء ذلك، قسّم "أوستن" الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية، وهي: (أ) فعل القول أو "الفعل اللغوي"، و(ب) الفعل المتضمن في القول، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، فهو عمل يُنجز بقول ما، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، و(ج) الفعل الناتج عن القول، وهو الأثر الذي يسببه القول في المشاعر والفكر، كالاقتناع والتضليل والإرشاد والتشبيط. ولذلك يرى "أوستن" أن الفعل الكلامي الكامل له خصائص، وهي: أنه فعل دال، وأنه فعل إنجازي، وأنه فعل تأثيري (ينظر في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مسعود صحراوي ضمن كتاب في: التداوليات: علم استعمال اللغة، تقديم وتنسيق: حافظ إسماعيلي علوي، ص ٢٥-٦٢، ولمزيد تفصيل عن هذه النظرية وملاحمها في التراث اللغوي العربي ينظر كتابه التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. هذا وقد ترجم عبد القادر قينيني سنة ١٩٩١م كتاب أوستن إلى العربية: (نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام). ونشرته دار أفريقيا الشرق. وقد ترجمت أميرة غنيم كتاب تلميذه: سورل، جون: (الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة) ونشر عام ٢٠١٥، عن المركز الوطني للترجمة في تونس. ويُنصح القارئ إذا ما أراد معرفة ضافية عن هذه النظرية بكتاب شكري المبخوت (٢٠١٠): دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات. وكذلك كتاب محمد الشيباني (٢٠١٥): من قضايا تصنيف الأعمال اللغوية (مشروع قراءة).

٦. ينظر المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ص ٣٥٠. ويرى المبخوت أن هذا التأثير غير الخفي لنظرية أفعال الكلام في المنطلقات الأساسية لنظرية انسكومبر وديكرو، لا ينفي تميز هذا التيار التداولي بمفاهيم كثيرة لعل

من أهمها فكرة القيد: أي اعتبار اللغة قيداً يضبط نسق ترتيب الأقوال في النصوص إضافة إلى كونها احتمالات في التركيب والنظم (المرجع نفسه، ص ٣٥٢).

٧. يعود التداخل الموجود بين التداولية وعلم الدلالة إلى أن كلا منهما يتناول المعنى، ولكنهما يختلفان في تحديد مستوياته، ومن الباحثين من يعدّ التداولية امتداداً لعلم الدلالة، ولعل الفضل الكبير في التمييز بين هذين العلمين يعود إلى المحاضرات التي ألقاها أوستين، وفيها ميّز بينهما من خلال فكرة المقدرة اللغوية والأداء، حيث يصنف علماء اللغة، علم الدلالة ضمن المقدرة اللغوية، أما التداولية فتصنف ضمن الأداء (الإنجاز)، وبناءً على ذلك تقوم التداولية على التبعية لعلم الدلالة الذي يعرف شروط المعنى وحقيقتها، وتهتم التداولية بدراسة هذه الشروط بربط المعنى بالاستخدام، وتحديد ما يسمح بنجاح الملفوظ أو إخفاقه. وعليه، فإنّ المقولات التداولية تُبنى على المقولات الدلالية، كما أننا لا يمكن أن نحصر علم الدلالة في دراسة المعنى بعيداً عن المقام؛ فعلم الدلالة يُعالج معنى الجملة في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، بينما تتولى التداولية المعنى ضمن إطار المقام المحدد المعالم والمقاصد. (بتصرف من كتاب: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، لفان دايك، ص ١١٤-١١٦). وللمزيد، ينظر كتاب جيوفري ليتش: مبادئ التداولية، الذي نقله للعربية عبد القادر قنيني، ٢٠١٣. وينظر التداولية اليوم، علم جديد في التواصل. ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، (٢٠٠٣). وكذلك كتاب جورج يول: التداولية، ترجمة: قصي العتّاي، ٢٠١٠. ولتطور الأعمال التداولية ينظر الكتاب الذي ترجمه هشام إبراهيم عبد الله الخليفة (٢٠١٦): نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك ل: دان سيربر، وديدري ولسون.

٨. ينظر ديكرو، القول والمقول، ص ١٧٠.

٩. ينظر المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ص ٣٥٤.

١٠. "من نتائج التصور البنيوي للغة أن أُخرجت الظواهر المتعلقة بالقول والخطاب

من ميدان اللسانيات عبر المقابلة بين اللغة والكلام. ذلك أن المقابلة بين اللغة والكلام تقتضي من ناحية أن كل واقعة من وقائع القول أو مرتبطة بإلقائه لا تتعلق باللغة وإنما بالكلام بما أن المقابلة بين اللغة والكلام توافق المقابلة بين النظام والاستعمال. ومن جهة ثانية يفترض الخطاب باعتباره تحييناً لوحداث لغوية داخل عملية التواصل أن يأخذ المرء بعين الاعتبار برامترات أو مقاييس خارجة عن اللسان تتفاعل معها الوحدات اللغوية؛ إذ إن الخطاب يقتضي أن يُقدّم الجانب غير اللغوي (أو الخارجي) على الجانب اللغوي (أو الداخلي) " (ينظر القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٨٦).

١١. ينظر القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٨٤. وفي رفضها للمقابلة التقليدية بين المعنى المعجمي (الدلالي) والمعنى غير المعجمي (التداولي) تدعو نظرية التداولية المدججة، في دراسة المعنى، إلى تبني "التداولية الدلالية" التي تفسر، وفق الملفوظ ما تم إنجازَه بالكلام، أي على النظرية أن تصف وصفاً نسقياً صور التلفظ المنقولة عبر الملفوظ (ديكرو، القول والمقول، ص ١٧٠-١٧١).
١٢. ينظر ديكرو، القول والمقول، ص ١٧٠-١٧٥.

١٣. ينظر المرجع السابق، ص ١٠٠، والقاموس الموسوعي للتداولية، ص ٣٥٠.

١٤. مفهوم التعليقات من مصطلحات ديكرو، وهو جانب تداولي من التأويل مخصوص من المعلومات التداولية المشفرة لغوياً: وهي المعلومة الإجرائية. وللمعلومة الإجرائية خاصيتان: إنها غير صدقية (لا تؤثر في قيمة صدق الجملة) وتتعلق بالكيفية التي ينبغي أن تعالج بها المعلومة حتى تؤوّل (ينظر القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٣٢).

١٥. ينظر ديكرو، القول والمقول، ص ١٧٤-١٧٥. وفي هذا الصدد، يوضح كوهي كيدا هذا التفريق بقوله: الجملة وحدة تركيبية مجردة، تشكل ملفوظاً بحدوثها المتفرد في لحظة معينة ومكان معين. وعليه، تكون الدلالة *signification* هي القيمة الدلالية للجملة والمعنى *sense* للملفوظ (القول) (ينظر بحثه: تسجيل الحجاج في اللغة: حالة نظرية الكتل الدلالية في الرابط المثبت في قائمة

المراجع العربية)).

١٦. ينظر ديكر، القول والمقول، ص ٩٧.

١٧. ينظر هامش ١٤.

١٨. ينظر ديكر، القول والمقول، ص ٨٥.

١٩. ينظر القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٣٥.

٢٠. ينظر ديكر، القول والمقول، ص ١٨٧، وينظر ديكر، ١٩٧٢ في قائمة المراجع الأجنبية.

٢١. ينظر القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٩٣ (بتصرف).

٢٢. لمناقشة مستفيضة عن قوانين الخطاب في التداولية المدججة ينظر الفصل الذي ترجمه محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس بعنوان "قوانين الخطاب" لديكر. ونشر في كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص ص ٥٦١-٥٨٢.

٢٣. ينظر ديكر، القول والمقول، ص ٦٧، ١٠٥، والقاموس الموسوعي للتداولية، ص ٢٣١.

٢٤. مصطلحا البنية العميقة والبيئة السطحية من أهم مبادئ نظرية النحو التوليدي في بداياتها ويشكلان أهم أسس المكون النحوي الذي يتألف من المكون الأساسي والمكون التحويلي. ويحتوي الأول على مجموعة قواعد بناء أو قواعد تكوين، بها تتخلق البنى العميقة التي تدخل المكون الدلالي، وتتلقى التفسير الدلالي منه، ومن ثم تحول إلى بنية سطحية بواسطة المكون التحويلي عندما تلتقي والتفسير الفونولوجي بواسطة قواعد المكون الفونولوجي. وعلى هذا، نجد أن البنية العميقة هي المسؤولة عن التفسير الدلالي للجملة، بينما البنية السطحية هي المسؤولة عن التفسير الصوتي. وبذلك يكون للبنية العميقة ربط مزدوج؛ إذ هي مدخل لقواعد التحويل التي تنشئ البنية السطحية، ومدخل لقواعد الإسقاط التي يحصل المرء عند تطبيقها على التمثيل الدلالي (ينظر الحريص، ناصر، الخاصة النظامية للغة ودورها في فهم كيف يبدع العقل

- اللغة، ص ٩١٢-٩١٣).
٢٥. ينظر بوجادي، خليفة، اللسانيات التداولية، ص ١٢٩-٣٠.
٢٦. ينظر مقبول، إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، ص ٢٥٠.
٢٧. الكتاب، بولاق ١/ ٢١٤.
٢٨. الكتاب، بولاق، ١/ ١٣٦.
٢٩. ينظر شرح السّيرافي، ٥/ ٢٤.
٣٠. لمزيد من دراسة التراكيب الخاصة بدلالة الحال في كتاب سيبويه، ينظر العوادي، أسعد خلف، سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة.
٣١. ينظر كارتر ٢٠٠٢، ص ٧، و ٢٠٠٧، ص ٣٠ (ينظر قائمة المراجع الأجنبية).
٣٢. هذا المصطلح استعمله إدريس مقبول في بحثه البعد التداولي عند سيبويه. ص ٢٤٩.
٣٣. كارتر، ٢٠٠٧، ص ٣١، ٣٢. يقول سيبويه (بولاق. ١: ١٩٦): "ولا يجوز أن تقول: بعت داري ذراعاً، وأنت تريد بدرهم، فيرى المخاطب أن الدار كلها ذراع. ولا يجوز أن تقول: بعت شائي شاة شاة، وأنت تريد بدرهم، فيرى المخاطب أنك بعتها الأول فالأول على الولاء".
٣٤. كارتر ٢٠٠٧، ص ٣٨.
٣٥. والاهتمام بالمقاصد يعني الاهتمام بالمتكلم؛ لأنه صاحب الدور الفاعل في تشكيل المعنى في الخطاب وفق الاستعمال اللساني التواصل. وما يقصده المتكلم بقوله ما هو أمرٌ مقرون بمقاصده. وفي الوقت نفسه، يفترض المتكلم مسبقاً (Presupposition) أن المخاطب على وعي كافٍ بمقاصده؛ ليفهم القول إبان التلفظ به. ويقع كل هذا في إطار خلفية مشتركة بينهما.
٣٦. قَسَمَ غرايس دلالة المعنى الضمني المفهوم من الخطاب قسمين (ينظر

حمادي، عبده سيد، الاقتضاء العرفي والتخاطبي، ص ٥٩):

أ. تضمين عرفي conventional implicature، وهو ما يتضمنه الخطاب من معانٍ صرفية ونحوية ومعجمية متحصلة من تعالق المفردات، ولا تندرج في النسبة الخارجية التي تشير إليها حتى تحسب من المقول لأنه المعنى الذي يدركه المتكلم بـ(الكفاية اللغوية) دون أن يكون للعقل أو لإعمال الفكر دور في ذلك، فهو الوقوف عند ظاهر النص في فهم دلالات مستخدمي اللغة والتي تكون مطابقةً لألفاظها أو متضمنةً فيها، ويتميّز هذا النوع من المعنى بعدم انصياعه لشروط الصدق ولا يتمخض عن معطيات تداولية، بل إنه يعود إلى المفردات المعجمية للعرف.

ب. وتضمين تخاطبي conversational implicature، وينقسم نوعين: (١) التضمين التخاطبي المتعارف أو النموذجي وهو القصد/ المعنى الضمني الذي يصدر نتيجة لالتزام المتكلم بقواعد التخاطب، و (٢) التضمين التخاطبي المجازي وهو المعنى الضمني الذي يحصل نتيجة خرم المتكلم لإحدى قواعد التخاطب أو استغلالها.

٣٧. ينظر ريكاناتي، فرانسوا، المعنى الحرفي، ص ١٠٠.

المراجع العربية:

- أرمينكو، فرانسواز. (١٩٨٦). المقاربة التداولية. ترجمة: سعيد علوش، الرباط: مركز الإنماء القومي.
- أوستين، جون. (١٩٩١). نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام. ترجمة: عبد القادر قينيني، الدار البيضاء - المغرب: أفريقيا الشرق.
- بوجادي، خليفة. (٢٠٠٩). في اللسانيات التداولية. مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. الجزائر: بيت الحكمة.
- بوقرومة، حكيمة. (٢٠١٢). التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة والسميائية. مجلة الممارسات اللغوية، ع ١٠، ص ص ٥٩-٦٩.
- الحباشة، صابر. (٢٠١١). أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب، مقاربات عرفانية تداولية. عمان: دار زهران.
- الحريص، ناصر. (٢٠١٤). الخاصية النظامية للغة ودورها في فهم كيف يبدع العقل اللغة. مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، ع ٣ مج ٧، ص ص ٨٨٣-٩٤٠.
- حمادي، عبده سيد. (١٩٩٧). الاقتضاء العرفي والتخاطبي: دراسة مقارنة بين جرايس وبين المدرسة الشافعية. رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة الكويت.
- الحموز، عبدالفتاح. (٢٠٠٩). القطع نحويًا والمعنى. عمان: دار عمار للنشر والتوزيع.
- خليل، خالد. (٢٠١٣). الدلالات والتداوليات، علاقة وإشكاليات. (ضمن كتاب: التداولية في البحث اللغوي والنقدي). لندن: مؤسسة السياب.
- ديكرو، أوزوالد-جان-شافار، ماري. (٢٠١٠). المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة. ترجمة: عبد القادر المهيري - حمادي صمود. تونس:

دار سيناترا-المركز الوطني للترجمة.

- ديكرو، أوزوالد. (٢٠١٢). قوانين الخطاب. ترجمة: الشيباني، محمد. دغفوس، سيف الدين. ص ٥٦١-٥٨٢. في: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين. تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون.
- (٢٠١٩). القول والمقول. ترجمة: بسمة بلحاج الشكلي. تونس: معهد تونس للترجمة/ صفاقس: دار محمد علي للنشر.
- روبول، آن وموشلار، جاك. (٢٠١٠). القاموس الموسوعي للتداولية. ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب. تونس: دار سيناترا - المركز الوطني للترجمة.
- (٢٠٠٣). التداولية اليوم، علم جديد في التواصل. ترجمة: دغفوس، سيف الدين، ومحمد الشيباني، بيروت: دار الطليعة.
- ريكاناتي، فرانسوا. (٢٠١٦). فلسفة اللغة والذهن. ترجمة: الحسين الزاوي، بيروت: دار الروافد الثقافية.
- (٢٠١٨). المعنى الحرفي. ترجمة: أحمد كروم. بيروت: الكتاب الجديد المتحدة.
- سورل، جون ر. (٢٠١٥). الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة. ترجمة: أميرة غنيم، تونس: المركز الوطني للترجمة.
- سيربر، دان. ولسون، ديدري. (٢٠١٦). نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك. ترجمة: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- السيرافي، أبو سعيد، الحسن بن عبد الله بن المرزبان. (ت. ٣٦٨هـ، ط. ٢٠٠٨). شرح كتاب سيويه. تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

- سيوييه، عثمان بن قنبر. (ت. ١٧٥هـ، ط. ١٩٨٨). الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الشيباني، محمد. (٢٠١٥). من قضايا تصنيف الأعمال اللغوية (مشروع قراءة). صفاقس: مكتبة دار علاء الدين.
- صحراوي، مسعود. (٢٠٠٥). التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. بيروت: دار الطليعة.
- صحراوي، مسعود. (٢٠١٠). في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر. ضمن كتاب: التداوليات: علم استعمال اللغة، تقديم وتنسيق: حافظ إسماعيلي علوي، ص ص ٢٥-٦٢. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- العوادي، أسعد خلف. (٢٠١١). سياق الحال في كتاب سيوييه دراسة في النحو والدلالة. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.
- فان دايك، تيون. (٢٠١٣). النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي. ترجمة: صابر الحباشة، الدار البيضاء-المغرب: إفريقيا الشرق.
- كيدا، كوهي. (٢٠١٩). تسجيل الحجاج في اللغة: حالة نظرية الكتل الدلالية. ترجمة: إبراهيم أمغار. متاح على الرابط التالي: <https://afkaar.center/2019/11/03> بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠١٩.
- ليتش، جيوفري. (٢٠١٣). مبادئ التداولية، ترجمة: عبد القادر قنيني، الدار البيضاء-المغرب: أفريقيا الشرق.
- المبخوت، شكري. (١٩٩٨). نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس: كلية الآداب، منوبة.

- (٢٠١٠). دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- مقبول، إدريس. (٢٠٠٤). البعد التداولي عند سيبويه. مجلة عالم الفكر، ع ١ مج ٣٣، يوليو- سبتمبر، ص ص ٢٤٥-٢٨٠.
- نحلة، محمد أحمد. (٢٠١٦). المباحث التداولية. مجلة دياي للبحوث الانسانية، ع ٧٠، ص ص: ٢٨٩-٣٠٩.
- يول، جورج. (٢٠١٠). التداولية. ترجمة: د. قصي العتّاي، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

المراجع الأجنبية

- Anscombre, Jean-Claude & Oswald Ducrot. (1983). L'argumentation dans la langue, Mardaga, Liège (collection Philosophie et Langage).
- Carter, Michael G. (2002). "Patterns of reasoning: Sibawayhi's analysis of the hāl", Proceedings of the 20th Congress of the Union of European Arabists and Islamicists, Part One, Linguistics, Literature, History [= The Arabist, vol. 24-25]. K. Devenyi, ed. Budapest.3-15.
- Carter, M. G. (2007). 'Pragmatics and Contractual Language in Early Arabic Grammar and Legal Theory', in E. Ditters and H. Motzki (eds.). Approaches to Arabic Linguistics. Presented to Kees Versteegh on The Occasion of His Sixtieth Birthday, 25-44. Leiden and Boston: Brill.

ترجم هذا البحث ناصر الحريص في دراسته عن: «مايكل كارتر وجهوده في درس النظرية النحوية التراثية مع ترجمة بحثه: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات

الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية»، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع ١٩، شعبان ١٤٣٨ هـ - مايو ٢٠١٧ م.

- Ducrot, Oswald. (1972). Dire et ne pas dire (Paris: Hermann) 2ème édition, corrigée et augmentée, 1979. 3ème édition, augmentée, 1991.
- Folli, Raffaella & Christiane Ulbrich. (2011). Interfaces in linguistics: new research perspectives. Oxford: Oxford University Press.
- Ducrot, Oswald. (1980). Les Echelles argumentatives, Paris: Éditions de Minuit.
- Ducrot, Oswald. (1982). «Note sur T argumentation», Cahiers de linguistique française, 4, p.143–153.
- Ramchand, Gillian and Charles Reiss The Oxford handbook of linguistic interfaces. edited by and. Oxford; New York: Oxford University Press, 2007.

حروف المعاني من منظار عرفاني: نظرية لانغاكز أنموذجا

د. إيمان الشرفي^١

الملخص

هذا البحث محاولة لاستثمار ما أسسه رونالد لانغاكز في مقارنة كل من حروف التعدية وحروف العطف في كتابه: Cognitive grammar: a basic introduction. وقد تطلب منا ذلك إبراز المبادئ والأسس التي بنى عليها لانغاكز مشروعه العرفاني فجعلت من مقاربتة حروف التعدية مختلفة عما سبقها من مقاربات. وذكرنا كيف قوّض المقولة التقليدية لأقسام الكلم، وألغى الحدود الثابتة بين المقولات النحوية الكونية. وبينّا تصنيفه المستند إلى مقاييس جديدة. وبينّا أيضاً كيف استطاع لانغاكز، استناداً إلى منهج النحو العرفاني وتوصيفاته المفهومية، أن يدرّس ظاهرة العطف دراسةً تتجاوز قصور النحو التقليدي والنظريات اللسانية غير العرفانية عن تفسير وضعيات الربط بالحرف التي يخرق إنجازها اللغوي القواعد. فتطرّقنا إلى ثلاث من تلك الوضعيات المشكّلة وقدّمنا مقترح لانغاكز في معالجتها. وقد اتّضح لنا من كلّ ذلك أنّ الحرف، وإنّ بدا في ظاهره مجرد أداة تركيبية، فإنّه وحدة رمزية تختزل عمليات ذهنية عرفانية معقدة تنشأ في ذهن المتكلم ويؤوّلها المتقبل.

الكلمات المفاتيح: حروف التعدية، حروف العطف، النحو العرفاني

١- كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة صفاقس، تونس.

Abstract

In this paper, we aimed to examine Ronald W. Langacker's approach to prepositions and coordination conjunctions through his book "Cognitive grammar: a basic introduction". We highlighted the principles and fundamentals of Langacker's approach that make it different from the previous approaches. We mentioned how he demolished the traditional categorization of grammatical classes, and removed the fixed boundaries between the universal grammatical categories. We have also presented Langacker's classification based on new parameters as well as the solutions that he proposed for some problematic cases of coordination with conjunction. We concluded that conjunction, even if it looks as a synthetic tool, is a symbolic unit implying complex mental processes. This arises in the speaker's mind and is interpreted by the receiver.

Keywords : prepositions, coordination conjunctions, cognitive grammar

مقدمة

قد يبدو أنّ لحروف المعاني العربيّة مكانة عالية في الدّرس النّحويّ القديم، إذ خصّص لها كثيرٌ من النّحاة القدامى أبواباً من كتبهم^١، وأفردها غيرهم، وخاصّة المتأخرون منهم، بكتاب كامل^٢. ولقد اختلفت التّوجّهات في ذلك نتيجة تنوّع المنطلقات وزوايا النّظر، فمن النّحاة من درّس الحرف إعرابياً، ومنهم من قاربه دلالياً، ومنهم من نظر في خصائصه التركيبيّة.

ولقد توصّل بعضهم إلى أنّه يمكن تقسيم حروف المعاني في العربيّة بحسب مواضع ورودها في التّركيب النّحويّ، إلى ثلاثة أصناف^٣:

- صنف أوّل يرد في موضع الصّدارة فيتصدّر الاسم أو الفعل أو الجملة (أي الإسناد).
- وصنف ثان يقع في موضع التّعدية إذ يُعدّي الفعل الذي لا يتعدّى بنفسه إلى الاسم.
- وصنف ثالث، تُمثّله حروف العطف، ويُعتمد للرّبط بين المفردات أو ما يحلّ محلّها أو بين الجمل المستغنية.

فأمّا الصّنف الأوّل، فهو مظهر تركيبّي سطحيّ نجده في اللّغة العربيّة ولا نجده في اللّغة الإنجليزيّة، وتتحقّق فيها دلّالته ببنى تركيبية أخرى مختلفة عن حرف الصّدارة العربيّ. وأمّا الصّنف الثّاني، فهو شبيه بمجموعة من الأدوات النّحويّة تُعرّف في اللّغة الإنجليزيّة بـ «prepositions». وأمّا الصّنف الثّالث، فهو قريب ممّا يُسمّيه الإنجليز «coordination conjunctions».

وعلى الرّغم من وجود ما يقابل حرف التّعدية وحرف العطف في اللّغات الأجنبيّة، فإنّ سعي المحدثين من أهل النّحو العربيّ كان موجّهاً أساساً إلى تقصّي دلالات حروف المعاني عبر وضع معاجم الحروف والأدوات النّحويّة. ولا حظنا، مقابل ذلك، تقصيرهم في استثمار الدّراسات النّحويّة العرفانيّة في مقارنة هذا الصّنف من الكلم. والواقع أنّ إنجاز العرفانيّين في مبحث الحرف، سواء كان حرف تعدية أو حرف عطف، على قدر عالٍ من الأهميّة، إذ تمكّنوا من تجاوز قصور النّحو التقليديّ

والنظريات اللسانية السابقة للعرفانية عن تفسير كثير من الظواهر المشكّلة التي يطرحها الإنجاز اللغوي^٥، ويعود ذلك إلى ما يتسم به النحو العرفاني من شمول وما يقوم عليه من إلمام بمختلف الجوانب المشكّلة للمعنى. ولعلّ ندرة تطبيق المنهج العرفاني في الدراسات المهتمة بظاهرتي التعدية بالحرف والربط بالحرف في العربية^٦ راجعة إلى جدّة البحوث العرفانية وقلة الدراسات العربية التي تُعرّف بها.

ومن هنا، رأينا أن نهتمّ بحروف التعدية وحروف العطف في العربية انطلاقاً من زاوية نظرٍ عرفانية تستند أساساً إلى ما بناه رونالد لانغاك (Roland W. Langacker) في كتابه Cognitive grammar : a basic introduction^٧.

فما المنطلقات والمبادئ التي بنى عليها لانغاك مشروعه العرفاني؟ وبم تميّزت مقاربتة حروف التعدية عن النظريات اللسانية التي سبقته؟ وما خصائص ظاهرة العطف وحروفها من منظاره؟ ثمّ كيف استطاع النحو العرفاني تجاوزَ قصور النحو التقليدي والنظريات اللسانية غير العرفانية عن تفسير وضعيات الربط بالحرف التي يخرج إنجازها اللغوي القواعد؟ وإلى أيّ مدى يمكن استثمار الإضافة التي أتى بها لانغاك في دراسة حرف التعدية وحرف الربط العربيّين؟

وفي إطار محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة، رأينا أن نقسّم هذا البحث إلى مرحلة أولى نهتمّ على امتدادها بخصائص التعدية بالحرف من منظار النحو العرفاني، ومرحلة ثانية نخصّصها لتبيين مقارنة لانغاك لظاهرة الربط بالحرف.

١- التعدية بالحرف

١- النحو العرفاني والأقسام النحوية

عرّف النحو العرفاني بتمرّده على ما ساد قبله من نظريات لغوية تُسند المنزلة الأولى إلى التركيب والجوانب الشكليّة على حساب المعنى والدلالة. ولعلّ أهمّ تلك النظريات نظرية النحو التوليديّ التحويليّ، فعلى خلاف التوليديّين الذين فصلوا بين مستويات تشكّل المعنى وفصلوا أيضاً بين المعنى اللغويّ (linguistic meaning) والمعنى غير اللغويّ (extralinguistic meaning)^٨، اتّسم النحو

العرفاني بكونه نظرية دلالية شاملة لمختلف المستويات التي تسهم في بناء المعنى.^٩ ولقد دعا لانغاكز، كغيره من العرفانيين، إلى أن تُدرّس المعاني اللغوية باعتبارها قائمة على مجموعة من العمليات الذهنية التصورية، لا باعتبارها موافقة أو مخالفة لحقيقة أو لمجموعة من الحقائق القائمة في العالم الخارجي كما ذهب إلى ذلك التداوليون. فالنحو العرفاني يهتم بالطريقة التي يلجأ إليها المتكلم لتشكيل المعنى والمخاطب لإعادة تشكيله، أي إن الأولوية مُسنّدة للعمليات الذهنية التي تنظم المعنى وتصوغه.

إن نحو رونالد لانغاكز العرفاني، حسب ما أورد عبد الجبار بن غربية في كتابه «مدخل إلى النحو العرفاني»، قد «عُني أساساً بمعاني الأبنية اللغوية، التي تختلف عن المعاني المعجمية دون أن تكون منفصلة عنها. إنه يُعنى بالطبيعة الاصطلاحية لمجموعة المظاهر التي تُشكّل بنيتنا الذهنية، باعتبار أن البناء والتنظيم في اللغة ليسا إلا تطبيقاً لقدرات وعمليات ذهنية أعم يستعملها الإنسان في مختلف الأنشطة التي يقوم بها، وما اللغة إلا نشاط من تلك الأنشطة».^{١٠}

ونتيجة لهذه الخصائص التي ميّزت تيار النحو العرفاني، تشكّلت مقارنةً للأقسام النحوية grammatical classes (أي ما يوافق تقريباً أقسام الكلم عند العرب) مختلفة عما سبقها من مقاربات، إذ أسس العرفانيون تصنيفاً جديداً يستند إلى توصيفات ومقاييس مختلفة عما ترسّخ من تقسيم للكلم منذ النحو التقليدي وصولاً إلى النظريات اللسانية والدلالية الحديثة. وقد فندوا بذلك الفكرة القائلة إن الأقسام النحوية لا يمكن أن تُعرّف دلالياً، وسعوا إلى إثبات قابلية المقولات النحوية للتحديد على أساس المعنى.

لقد لاحظ لانغاكز أن مدلولات (مدلول Predicate) العبارات منقسمة إلى نوعين: مدلولات اسمية تعبّر عنها مقولة الاسم، ومدلولات علائقية تؤدّيها مقولات متعددة أهمّها مقولة الفعل. وأشار إلى أن الفارق بين هذين النوعين لا يكمن في المضمون كما قد يبدو في الظاهر، وإنما هو كامن في طريقة التنظيم الذهني لذلك المضمون وتشكيله عرفانياً. من ذلك مثلاً أن الاختلاف بين الاسم «خروج» والفعل «خرج» ليس ناتجاً عن تباين في المضمون الدلالي إنما هو ناتج عن انبعاث

الأول على مدلول يُبرز شيئاً ما وانبناءً الثاني على مدلول يُبرز علاقة ما.

واستناداً إلى زوجين من المفاهيم هما مفهوما: «الزّمان المتصوّر» (Conceived time) و«زمان التصوّر» (Conceptualization time)، ومفهوما: «المسح الإجمالي» (Summary Scanning) و«المسح المتتابع» (Sequential Scanning)، ميّز العرفانيّون بين صنفين من العلاقات. فقد ذكر لانغاكراً أنّ من العلاقات ما يكون مقترناً بزمان، ويقصد هنا العلاقة العملية^{١١} التي يُعبّر عنها بالفعل المصّرّف، ومنها ما لا يكون مقترناً بزمان، ويقصد العلاقة اللاّعمليّاتية^{١٢} التي يُعبّر عنها بالحرف أو الصّفة أو الظّرف أو الفعل غير المصّرّف (infinitive) أو مصدر الفاعليّة (present participle) أو مصدر المفعوليّة (past participle).

ومن ثمّ، توصّل لانغاكراً إلى أنّ المقولتين النّحويّتين الأساسيتين هما الاسم والفعل، فبين تقابل خطاطيتهما^{١٣} تقابلاً تامّاً نتيجة اختلاف القدرات العرفانية التي تتأسّس عليها كلّ منهما (التّجميع والتّشبيّه للاسم، وإدراك العلاقات وتتبّعها للفعل). وأشار أيضاً إلى تباين هاتين المقولتين في طبيعة العروض^{١٤} (يعرض الاسم شيئاً، ويعرض الفعل عمليّة (١٥)، وفي درجة البلورة فيها (تكون بسيطة مع الاسم، ومركّبة مع الفعل)، وفي نمط المسح (مسح مجمل للاسم، ومسح تتابعي للفعل). وبين هذين الطّرفين المتناقضين، تندرج حالات وسطى تُطابق مقولات تقليديّة منها الحرف (وهو في العربيّة كما ذكرنا حرف التّعدية فحسب إذ لا يشمل ذلك حرف الصّدارة وحرف الرّبط) والصّفة والظّرف والفعل غير المصّرّف ومصدر الفاعليّة ومصدر المفعوليّة.

وبذا، كان تصنيف المقولات عند لانغاكراً مستنداً إلى العمليّات الذهنيّة التّصوريّة على خلاف ما كان شائعاً في عدّة تيارات لسانیّة سبقته أو عاصرتة كانت تدّرس معاني الوحدات اللّغويّة انطلاقاً من البنية التّركيبية (كالنّحو التّوليديّ) أو عبر ربطها بالعالم الخارجيّ والنّظر في مدى موافقتها له (كالتّداوليّة).

٢- خصائص حرف التّعدية

إنّ الحرف (أي حرف التّعدية) عند لانغاكراً، كما تبيّننا في المرحلة السّابقة، في مرتبة

وسطى بين الاسم والفعل لأنه يَعْرِضُ علاقة لا عمليّة، أي إنّ معروضه مختلفٌ عن معروض الاسم، إذ يَعْرِضُ الاسمُ شيئاً ما، ومختلفٌ عن معروض الفعل، وذلك على الرّغم من أنّ الفعل أيضاً يعرض علاقة، غير أنّها علاقة عمليّة. ويتجلّى الفارق بين العلاقة التي يعرضها الفعل والعلاقة التي يعرضها الحرف في أمثلة من قبيل «يشبه» وكاف الجرّ الدّالة على التشبيه. فلهذا الحرف وذلك الفعل المضمون نفسه، ولكنّ الاختلاف يكمن في نوع عمليّة المسح التي تفرضها بنية كلّ منهما على المضمون المشترك. فأما العلاقة التي يُعبّر عنها الفعل «يشبه» فيناسبها مسح متتابع في الزّمان المتصوّر، وأما حرف الجرّ فيشير إلى علاقة يقع تصوّرها دون أيّ اعتبار للزّمان.

ولما كان الحرف في النّحو العرفانيّ مندرجا في تلك المرتبة الوسطى بين الاسم والفعل مع مقولات تقليديّة أخرى كالصفة والطّرف والفعل غير المصّرّف ومصدر الفاعليّة ومصدر المفعوليّة، ميّز لانغكر الحرف من بقيّة العبارات العلائقيّة. فكان من أهمّ المفاهيم المعتمدة لتوصيف تلك الأقسام وتصنيفها مفهوم «المشارك البؤريّ» الذي يكون «معلّماً» (Landmark) أو «مُنْتَقِلاً» (Trajector).

لقد ذكر لانغكر أنّه عندما تُعرّض علاقة ما، يُمنَح المشاركون فيها درجات متنوّعة من البروز. فأبرز المشاركين يُسمّى «المنتقل»، وهو الوحدة التي تنبني على أساس كونها متموضعة أو مقيّمة أو موصوفة. ومن زاوية انطباعيّة، يمكن أن تُوصَف بكونها البؤرة (Focus) الرّئيسيّة داخل حدود العلاقة المعروضة. وكثيراً ما يُجعل مشارك آخر بارزاً على أساس كونه بؤرة ثانويّة، ويُسمّى هذا المشارك «معلّماً».

فأما الصّفات والطّروف، فلها مشارك بؤريّ واحد، هو المنتقل، وليس لها معلم مبالٍ. وهي مختلفة في ما بينها في طبيعة المعلم في كلّ منها: هو في الصّفات شيء، وهو في الطّروف علاقة.

وأما الحرف، فله مشاركان بؤريّان اثنان، ويكون معلّمه شيئاً؛ بل إنّ الخصيصة المميّزة لقسم الحروف هي منح البروز البؤريّ لشيء ما. ويكون التّعبير عن هذا المعلم بمفعول الحرف مثل: (في الصّيف) و(على الشّاطئ) و(بالسيّارة).

إذن، أجرى لانغكر تصنيفاً للمقولات النّحويّة استناداً إلى مقاييس جديدة

تمثّلت في العمليّات الذّهنيّة العرفانيّة التي يعتمدها المتكلّم لإنشاء خطاب والعمليّات الذّهنيّة التي يستند إليها المتقبّل لتأويل ذلك الخطاب، ولقد أدّى ذلك إلى إلغاء الحدود الثابتة بين تلك المقولات فانتفت القطيعة في ما بينها وتأكّد الاسترسال.

ومن مظاهر ذلك الاسترسال أنّ الحرف نفسه يجري، بشكل طبيعيّ، في آن واحد، مجرى «الصفة» حيث يكون منتقله شيئاً من قبيل ما يحصل في: (نهاية الأسبوع الأخير من الصيف) و(الأطفال على الشاطئ) و(مسافر بسيارة)، ومجرى «الظرف» حيث يكون منتقله علاقة كما في: (تزوّجا في الصيف) و(الرياح قويّة على الشاطئ) و(سافر بالسيارة). ومن ثمة، اعتبر لانغاكّر هذا التراكّب واحداً من الأسباب المقوّضة للمقولة التقليديّة التي تجعل الصفات والظروف والحروف أقساماً متنافية، وشدّد على ألاّ وجود لأيّ مسرد نهائيّ ثابت في المقولات النحويّة الكونيّة. وكان ذلك من أهمّ نتائج هذه المقاربة العرفانيّة للمقولات النحويّة عموماً ولحرف التعدية بوجه خاصّ. فما خصائص مقاربتة حرف الرّبط؟

٢- الرّبط بالحرف

١- العطف ظاهرة عرفانيّة

العطف (Coordination) عند لانغاكّر مبحث فرعيّ لم يشغل إلاّ صفحات قليلة من كتابه، إذ امتدّ على سبع صفحات من مؤلّفه في نسخته الإنجليزيّة (من الصفحة ٤٠٦ إلى الصفحة ٤١٢). وقد اهتمّ لانغاكّر به في إطار دراسته المركّبات الجُمليّة (المركّب الجُمليّ Clause) المكوّنيّة. فهو عنده، كالتبعية، أسلوب للتعلّق يتحقّق عبره ترابط تلك المركّبات، ولذلك، تطرّق إليه في إطار دراسته الجمل المركّبة.

وقبل إثارة ضروب الإشكال المتعلّقة بالعطف، قدّم لانغاكّر تفسيراً عرفانياً لهذه الظاهرة اللّغويّة ولما قامت عليه من قواعد تواتر ذكرها عند النّحاة. فقد عرّف في النّحو التقليديّ أنّ المتعاطفات متساوية في المنزلة. لم يُنكر لانغاكّر هذه القاعدة، ولكنّه فسرها تفسيراً مختلفاً عمّا شاع في التيارات النّحويّة والدّلاليّة التي سبقته، فقد استند في ذلك إلى التّوصيفات المفهوميّة العرفانيّة.

إنّ تساوي المتعاطفين في المنزلة يعني، حسب ما أورد لانغاكّر:

- أن يشارك كل واحد منها مستقلاً عن الآخر وبنفس المدى في نفس المجموعة من العلاقات النحوية (كأن يُحدّد كل واحد منهما معلّم الفعل).
- توازيهما دلاليًا وتشابههما تشابها تجريديًا في المضمون (كأن يكون كل واحد منهما إسائيًا^{١٦} (nominal) تامًا ويعرض عينة مجذرة^{١٧} من شيء).
- تشابههما في البروز داخل المركّب الجمليّ الذي يحتويهما (كأن يكون لكل واحد من الشئيين اللذين يعرضانها منزلة المعلّم المركبيّ الجمليّ).
- ولإثبات نجاعة النحو العرفانيّ، لم يكتف لانغاكز بمجرّد تفسير الظاهرة اللغوية، إنّما قدّم حالات من العطف تبدو لدارسها مشكلة إن نُظر إليها في ضوء النحو التقليديّ، وسعى إلى إثبات أنّ الحلّ يكمن في الاستناد في مقاربتها إلى المبادئ والمفاهيم العرفانية.

٢- قضايا العطف

تتمثّل أهمّ أوجه الإشكال التي ذكرها لانغاكز في:

- أولاً: الإشكال الذي يثيره شرط التوازي

شاع في النحو التقليديّ وفي النظريّات اللسانية التي تولي الجوانب الشكلية التركيبية منزلة أولى أنّ الأبنية المتعاطفة يجب أن تكون، بالضرورة، متوازية نحويًا ودلاليًا، وأنّ توازي المتعاطفات نحويًا ينبغي على تماثل مقولاتها النحوية. وذلك ما لا يتحقّق، حسب ما بيّن لانغاكز، في كثير من وضعيّات الإنجاز اللغويّ من قبيل:

١. كان [حزينا] و[شاعرا بالأسف على نفسه].
٢. أمضت على الوثائق [غصبا] و[بكثير من التردّد].

إنّ اختلاف المقولة النحوية بين المعطوف عليه والمعطوف في هاتين الجملتين يُحلّ، في الظاهر، بشرط التوازي النحويّ الذي شدّد النحو التقليديّ على ضرورة قيام العطف عليه. ولئن عجز النحو التقليديّ على تفسير هذا الاختلال، فإنّ النحو العرفانيّ كفيل بذلك. فحسب لانغاكز، تتماثل، في المثال (١)، عبارتا «حزين» و«شاعر بالأسف على نفسه» من ناحية أنّ كليهما تعرض علاقة لعملياتيّة بشيء

يكون منتقلها. ثم إنهما متوازيتان لأنّ كليهما تُسند حالة ذهنيّة إلى منتقلها الذي يُحدّد بكونه (هو) في مقام هذه العبارة. وتتماثل، في المثال (٢)، «غصبا» و«بكثير من التردّد» من ناحية أنّ كليهما تعرض علاقة لاعمليّاتية يُحدّد فيها المنتقل بعملية الإمضاء على الوثائق. ثمّ إنّ كليهما تؤدّي وظيفتها الظرفيّة بأنّ تخصّص موقف الفاعل في تأدية ذلك العمل.

وبذا، خلّص لانغاك إلى أنّ التماثل في هذه الوجوه من مستوى المضمون المفهوميّ أهمّ من الشكل النحويّ المخصوص. باختلاف المقولة النحويّة بين المتعاطفات، إنّ رافقه توازٍ دلاليّ مضمونيّ، لا يخلّ من استقامة تركيب العطف.

وفي مقابل ذلك، سعى لانغاك إلى إبراز أنّ العطف لا يستقيم كلّما كانت المتعاطفات غير منسجمة دلاليّاً، حتّى إن كانت متوازية نحويّاً. وقد أجرى في سبيل ذلك مفاضلة بين ثلاث وضعيّات إنجازيّة:

٣. ؟ هي أمضت على الوثائق [غصبا] و[بقلم جاف].

في جملة المثال (٣)، اختلف الشكل النحويّ بين المتعاطفين، وعلى الرّغم من ذلك، كان التّركيب بالعطف فيها أفضل من جملة المثال (٤) التي ورد فيها كلّ من المعطوف عليه والمعطوف مركّباً حرفيّاً:

٤. ؟؟ هي أمضت على الوثائق [بالغصب] و[بقلم جاف].

بل قد يتماثل المتعاطفان من ناحية المقولة النحويّة ولا يستقيم التّركيب، من ذلك المثال التّالي الذي ورد فيه كلّ من المعطوف عليه والمعطوف إسمائياً:

٥. *هي أمضت على الوثائق بـ[الغصب] و[قلم جاف].

- ثانياً: الإشكالات المتعلّقة بمسألة انفصال المتعاطفات أو اجتماعها في التّصوّر

لقد تساءل لانغاك: هل يُشارك الواحد من المتعاطفات في علاقاته بسائر العناصر بصفة مستقلة أم لا؟ يتّضح الفارق بين الوضعيّتين، في هاتين الجملتين اللّتين يبرّز اختلاف العطف بينهما من وجهة النّظر تلك:

٦. أحمد وخالد طويلا.

٧. أحمد وخالد متوافقان.

في (٦)، يبدو كل من أحمد وخالد طويلا وهو منفصل عن الآخر، ولكنهما لا يكونان متوافقين، في (٧)، إلا من حيث هما زوج من الناس. ومن ثم، يبين لانغكر أن التأويل الجماعي يقتضي أن تنبثق انبثاقا مفهوميًا وحدة من درجة أعلى تتضمن العناصر التي تعرضها الوحدات المتعاطفة. وذكر أن العطف، بحكم طبيعته، يساهم بقدر كبير في هذه البلورة. فمجرد ذكر العناصر المكونية ذكرا تابعا، يجعلها متجاوزة تجاوزا ذهنيًا، بوجه تكون فيه الوحدة المنبثقة في الدرجة الأعلى موجودة ضمناً على الأقل. فهذه الطريقة، يُنشأ الإمكان لانبناء جماعي يُنقل فيه المعروض إلى هذه الوحدة.

ولقد خلص لانغكر إلى أن اتصال المتعاطفات وانفصالها درجات يمكن إيجازها على النحو التالي:

- تكون الأسماء المتعاطفة أحيانا كلاً مركباً يُدرك بوضوح على أنه وحدة قائمة برأسها. مثال ذلك عبارات راسخة من قبيل «قرطاس وقلم» أو «فنجان وطبق».

- نجد حالة وسطى كما في المثال (١)، إذ تمثل عبارتا «حزين» و«شاعر» بالأسف على نفسه «حالتين ذهنيّتين متمايزتين أو متواجدتين أو وجهين لهما خارجية دالة على الانكسار.

- وفي وضعيات أخرى قد يبدو، في الظاهر، أن المركبات الجُمليّة المتعاطفة ذات حظّ كبير في الحفاظ على منزلتها من حيث هي تصوّرات متوازية ينفصل الواحد منها عن الآخر. مثال ذلك:

٨. [درستُ هذا اليوم ثلاثة أقسام] و[اجتماع الأساتذة كان صعباً].

ولكن الأمر في الحقيقة على خلاف ذلك، فالعطف المركبي الجُملي لا يكون موفقاً إلا عندما يكون للمركبات الجُمليّة وشائج تربط الواحد منها بالآخر. فلا يمكن للعطف في (٨) أن يكون مقبولا إلا استنادا إلى تأويل من قبيل اعتبار كل واحد من

المرَكَّبَيْنِ الجُمْلَتَيْنِ سبباً جعل المتكلم مرهقاً في المساء.

وفي المقابل، ساق لانغاكراً مثلاً ليثبت عدم انسجام الجملة إذا كان المتعاطفان غير منسجمين تماماً:

٩. ؟؟ [القمر يدور حول الأرض] و[اجتماع الأساتذة كان صعباً].

- ثالثاً: الإشكال المتعلق بكيفية ترابط المتعاطفات

درس لانغاكراً كيفية ترابط المتعاطفات من منطلق المقارنة بين ثلاثة روابط هي: (and) «و» (or) «أو» (but) «بل» / «لكن».

فأما العطف بـ (and) «و»، فهو نوع بسيط أساسي، إذ إنّ المضمون الأساسي لهذا الرباط هو التجاور الذهني بين عناصر متساوية، أي إنه حرف يجعل العناصر المتساوية متجاورة ذهنيًا. والتجاور، كما هو معلوم، علاقة تناظر. ومن خصائص العطف بالواو أن تتوالف المتعاطفات في مستوى مفرد من التنضيد.

ولعل أهم ما أضاف لانغاكراً في شأن العطف بالواو كسرُه فكرةً مترسّخة تتمثل في قيام هذا الصنف من العطف، بالضرورة، على التناظر، إذ ذكر نماذج لا تناظر فيها بين المعطوف عليه والمعطوف. من ذلك، نزوع المتعاطفات، عندما تصف أحداثاً، إلى أن تؤوّل على أنّها واقعة حسب الترتيب الوارد في العبارة أو أنّ الحدث الأول سببٌ للثاني كما في المثال (١٠)، أو أنّ منزلة الحدث الأول مختلفة عن منزلة الثاني فيكون أحدهما فرعياً أو تمهيدياً ويكون الثاني رئيسياً كما في المثال (١١).

١٠. ختم دراسته الجامعية وحصل على وظيفة.

١١. اجلس واحك.

وأما العطف بـ (or) «أو» (but) «بل» / «لكن»، فهو يُحدث علاقات أكثر

تبلورا مفهوميًا. فدائما ما يَحْمِلُ مضمونُ هذينِ الرَّابطينِ الإضافيَّ بعضَ الخللِ في التَّنَاطُرِ بينِ العناصرِ المتجاورةِ أو يؤثرُ على دورها في المستويات العليا من التَّنْصِيدِ.

ولإبراز كيف يكون التَّجاورُ الدَّهْنِيّ، في حالة العطف بـ«أو»، مضمَّنًا في تصوُّرٍ أَشَدَّ تعقيدا، ساق لانغاكر مثال البيئزا مقارنا بين العطف بالواو والعطف بـ«أو».

فتصوُّرُ «قطعة بيتزا بالنَّقانق والفلفل»، يقوم على حضور مكوّنات الحشو معا في صورة واحدة، أي تخيُّلِ قطعٍ من النَّقانق متناثرة تُخالطها قطعٌ من الفلفل على سطح البيئزا. وليس الأمر كذلك عندما نتحدّث عن «بيئزا بالنَّقانق أو بيتزا بالفلفل»، إذ لا تنبثق هنا صورةٌ واحدةٌ منسجمةٌ مطلقا. والمستحَصَّر، بدل ذلك، صورتان متناوبتان للبيئزا، يظهر في الواحدة منهما حشوٌ واحدٌ يتنفى له الآخر. وفي هذا التَّنَافِي تناقُضٌ مع التَّجاورِ الدَّهْنِيّ الذي يُمثِّلُ أساسَ العطف.

وبناءً على هذا المثال، أَقَرَّ لانغاكر أَنَّ العطف بـ«أو» هو عطف انفصال لا اتِّصالٍ. وسعى من ثمّ، إلى تفسيرِ تَأَهُّلِ هذا الصَّنْفِ من العطف لأنَّ يكون عطفًا، مستندا في ذلك إلى التَّصَوُّراتِ المفهوميَّةِ التي يُتيحها النَّحوُ العرفانيّ. ففي المركَّبِ الجُمْلِيّ «بيئزا بالنَّقانق أو بالفلفل»، يتساوى مرجع «النَّقانق» ومرجع «الفلفل» في البروز، ويشاركان في العلاقة النَّحْوِيَّةِ نفسها مع كلمة «بيئزا». وبذا، كان من الممكن توصيف العطف باعتِهادِ بُنْيَتَيْنِ متساويتَيْنِ مقترنَتَيْنِ بمعروضَيْنِ متواجدينِ.

إذن، على الرَّغْمِ من التَّعَقُّدِ الدَّلَالِيّ في «or» (أو) (فإنَّ العطف بها يظلُّ قائما على التَّنَاطُرِ، على خلاف العطف بـ «but») «بل» / «لكن» (إذ يَحْمِلُ مضمونها الإضافيَّ وجهًا من وجوه عدم التَّنَاطُرِ. ذلك أَنَّ هذا الرَّابِطَ شبيهُ بالرَّابِطِ «and») «و» (من جهة انطباق المعطوف والمعطوف عليه على الوضعية الموصوفة، ولكنَّ «but» تتضمن معنى إضافيًا يتمثِّلُ في مخالفة المعطوف التَّوَقَّعاتِ التي يُولِّدها المعطوف عليه.

خاتمة

إنّ لمشروع لانغاكر في النحو العرفانيّ أهميّة بارزة تبيّناها انطلاقاً من مبحثين فرعيّين ومنفصلين عنده هما مقولة الحرف وظاهرة الرّبط، وقد جمعنا بينهما في بحثنا هذا بناءً على اندراجهما ضمن مبحث واحد في اللّغة العربيّة هو حروف المعاني. إنّ مشروع بديل للنظريّات اللّغويّة التي سادت قبل العرفانيّات، وهي نظريّات أسند بعضها المنزلة الأولى إلى التّركيب والجوانب الشّكليّة في اللّغة فأهمل في المقابل المعنى وأسند إليه منزلة ثانية (من أهمّ تلك النظريّات التي شكّلت المقاربة العرفانيّة قطيعة معها ذكرنا النحو التّوليديّ)، واهتمّ بعضها الآخر بعلاقة اللّغة بالعالم الخارجيّ ومدى مطابقتها للحقائق الموجودة فيه (ذكرنا من هذا القبيل النظريّة التّداوليّة أساساً).

ولقد تبيّنا في المرحلة الأولى من هذا البحث خصوصيّة مقارنة لانغاكر لحروف التّعديّة إذ تمكّن، استناداً إلى منهجه العرفانيّ والجهاز المفاهيميّ الذي بناه، من إنشاء تعريفٍ جديد لمقولة الحرف وتحديد منزلته بين أقسام الكلم، وذلك بعد إلغاء الحدود الثّابتة بين المقولات النّحويّة ونفي القطيعة الثّامّة بينها كما كان شائعاً منذ النحو التّقليديّ.

ورأينا في المرحلة الثّانية من بحثنا كيف كانت التّوصيفات المفهوميّة العرفانيّة التي أنشأها لانغاكر كفيلة بإنشاء تصوّر جديد لظاهرة العطف يولي المعنى المكانة المركزيّة التي يرضيها له النحو العرفانيّ. ومن ثمّ، حلّت إشكالات كثيرة متعلّقة بظاهرة العطف وحروفه عجز النّحو التّقليديّ والتّيّارات اللّسانية التي سبقت العرفانيّين عن حلّها. وذكرنا من تلك الإشكالات شرط التّوازي بين المتعاطفات، وتراوحها بين الانفصال والاجتماع في التّصوّر، وكيفيّة ترابطها.

والحاصل لدينا من كلّ ما أوردنا أنّ الحرف، سواءً كان حرف تعدية أو حرف ربط، وإنّ بدا في ظاهره أداةً تركيبية لا يشوبها من المعنى إلا شيء قليل، فإنّه في حقيقة الأمر غير ذلك. إنّ وحدة رمزية تختزل عمليات ذهنية عرفانية معقدة تنشأ في ذهن المتكلّم ويؤوّلها المتقبّل.

ومن ثمّ، فإنّ نتائج هذا البحث تدعونا إلى تطبيق المنهج العرفاني على مختلف حروف التعدية وحروف الربط في العربية. بل إنّ من الضروريّ في نظرنا محاولة تطبيق هذا المنهج على صنف من حروف المعاني العربية لا نجد له نظيراً في اللغة الفرنسية ولا الإنجليزية، هو حروف الصدارة. فمن شأن ذلك أن يُتيح فهمًا أعمق لنظام حروف المعاني العربية، وأن يخدمنا في اختبار صرامة نظرية النّحاة العرب القدامى في الحرف. وإنّ ذلك لَمِنْ أهمّ ما نسعى إليه اليوم.

الهوامش

١. من ذلك مثلاً: شرح ابن يعيش على مفصل الرّخشيّ، وشرح الرّضيّ الأستراباذيّ على كافية ابن الحاجب.
٢. من ذلك مثلاً: معاني الحروف للرّمانيّ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقيّ، والجنّى الدّاني في حروف المعاني للمراذيّ.
٣. استندنا في هذا التّصنيف الذي أجريناه إلى ما أسّسه عبد القاهر الجرجانيّ، مع شيء من التّعديل. فقد تطرّق إمام البلاغة، في إطار نظريّته في النّظم، إلى أشكال تعلّق حروف المعاني وضروب التّركيب التي تميّزها. فذكر أنّ تعلّق الحرف بالاسم وبالفعل يكون على ثلاثة أضرب: أحدها أن يتوسّط بين الفعل والاسم، وثانيها أن يدخل الثّاني في عمل العامل الأوّل، وثالثها تعلّق بمجموع الجملة. انظر: عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص ص ٥٩-٦٠.
٤. من البحوث الغربيّة التي استثمرت نتائج النّحو العرفانيّ في دراسة حروف التّعددية الإنجليزيّة نذكر:

Lapaire (Jean-Rémi) : Grammaire cognitive des prépositions : épistémologie et applications, Corela, [En ligne], HS-22 | 2017, mis en ligne le 31 août 2017, consulté le 05 septembre 2017. URL : <http://corela.revues.org/5003>

٥. من مظاهر قصور النّحو التّقليديّ العربيّ في مقارنة الظّواهر المُشكلة نذكر مثلاً اختلاف النّحاة في تصنيف بعض الكلمات ضمن أقسام الكلم التي وضعوها، ومن ذلك أيضاً عجز النّحاة والبلاغيّين (كعبد القاهر الجرجانيّ والسّكاكي) عن وضع قواعد صارمة تميّز مواطن الفصل من الوصل تمييزاً قاطعاً.
٦. أهمّ ما وجدنا من دراسات عرفانيّة لظاهرة العطف في العربيّة القسم الذي ختم به عبد الجبّار بن غربيّة كتابه: «مدخل إلى النّحو العرفانيّ»، حيث قدّم مقترحاً تطبيقياً يتعلّق بحرف العطف «الواو» ونظر في تراوحه بين العطف والتّعليق. انظر: عبد الجبّار بن غربيّة، مدخل إلى النّحو العرفانيّ، ص ص ١٢٧-١٣٨.

٧. استندنا إلى هذا الكتاب في نسخته باللغة الأصلية الإنجليزية ومترجما بالعربية (ترجمة الأزهر الزّناد).

٨. شاع تصوّر قبل النّحو العرفانيّ أنّ المستويات التي تساهم في بناء المعنى منفصلة. ففصلوا بنية الكلمة عن بنية الجملة وعن المعجم وعن الدّلالة، بل إنهم قد فصلوا أيضا بين هذه المستويات وما للمتكلم والمخاطب من رصيد ثقافيّ ومعرفيّ. ومن ثمّ اعتبروا المعنى اللّغويّ منفصلا عن المعنى غير اللّغويّ.

٩. نشير في هذا السّياق إلى أنّ لانغاكز نفسه كان في بداية مسيرته العلميّة توليديّا ثمّ انقلب على مبادئ النّحو التّوليديّ. انظر:

Fortis Jean-Michel. De la grammaire générative à la Grammaire Cognitive : origines et formation de la théorie de Ronald Langacker. In: Histoire Épistémologie Langage, tome 32, fascicule 2, 2010. Sciences du langage et psychologie à la 149-charnière des 19e et 20e siècles. pp. 109

١٠. عبد الجبار بن غربيّة، مدخل إلى النّحو العرفانيّ، ص ٣٧.

١١. العلاقة العمليّة: هي علاقة تتطوّر خلال الزّمن، وهي مركّبة، بمعنى أنّ تجلّيها في كلّ مقطع زمنيّ هو في حدّ ذاته علاقة.

١٢. العلاقة اللاّعمليّة: هي علاقة بسيطة إذ تكمن في تشكّل يتجلّى كلّها في لحظة مفردة. وحتىّ إن استمرّت خلال الزّمن، فإنّ تطوّرها الزّمنيّ لا يكون أساسيّاً في توصيفها أو في التّعريف عليها. إنّها علاقة لازمنيّة، أي إنّ تطوّرها خلال الزّمن ليس مركز تبثير.

١٣. استند لانغاكز في تصنيف المقولات إلى مفهوم الصّورة المجردة أو الخطاطة، والخطاطة عبارة عن مثال مجرّد أو متصوّر يشتمل على عدد محدود جدّا من الخصائص والتّفاصيل.

١٤. المعروض: معروض عبارة ما هو ما يبرز من حيث كان بؤرة الانتباه المخصوصة ضمن حدود المدى المباشر. ويمكن توصيف المعروض كذلك بكونه ما تُصوّر عبارة ما على أنّها مشيرة إليه أو دالّة عليه ضمن حدود أساسها (أي مرجعها المفهوميّ)

١٥. عملية: يُعتمد مصطلح عملية للعلاقة المركبة التي تتطور خلال الزمن المتصور وتكون ممسوحة تنابعياً على امتداد هذا المحور. ويمكن للمضمون نفسه أن ينبنى إما على أنه عملية أو علاقة لا عملياً، حسب طريقة الاهتمام إليه من مسح تنابعي أو مسح مجمل.

١٦. الإسمائي: تُشبه الإسمائيات الأسماء في أنها كونية وأساسية من زاوية نحوية. فالإسمائي، كالاسم، يعرض شيئاً. وتتميز الإسمائيات من الأسماء بخصائص دلالية أخرى تتعلق بوظيفتها الخطائية والعرفانية. فالوظيفة الرئيسية للعناصر المعجمية (والمقصود هنا هو الأسماء) وظيفة تصنيفية: إنها توفر، باعتبارها عبارات ثابتة، مخططاً قائماً لفهم العالم في ضوء مقولات قد أجزت ثقافياً على أنها ذات فائدة ومناسبة مجربتين. وفي مقابل ذلك، تكون الوظيفة الرئيسية للإسمائي وظيفة إحالية، فهو يوجه الانتباه إلى شيء مخصوص. (ترسم همزة لفظ «إسمائي» قطعية نسبة إلى عملية الإسماء (nominalization))

١٧. العينة المجذرة: هي عينة لغوية خضعت إلى التجذير (Grounding). والتجذير مصطلح يُستعمل في النحو العرفاني للإشارة إلى حدث الكلام وإلى المشاركين فيه (أي المتكلم والمتقبل) وإلى التفاعل الحاصل بينهما، وإلى كل ملاسبات الحدث المباشرة (خاصة منها زمان الكلام ومكانه). وعبر التجذير، تتحدد منزلة الشيء الذي يعرضه إسمائي ما (في حالة التجذير الاسمي) أو منزلة العملية التي يعرضها مركب جُمليّ منتهٍ (في حالة التجذير الجُمليّ). ففي الحالة الأولى، يُوجه المتكلم انتباه السامع إلى المرجع المقصود في الخطاب الذي قد يطابق فرداً حقيقياً وقد لا يطابقه. وفي الحالة الثانية، يُوضع التجذير الجُمليّ العلاقة المعروضة باعتبار التصور الجاري عند المتكلم للواقع. وهكذا، يُقيم التجذير رابطاً أساسياً بين المتحاورين والمضمون المُستحضر بإسمائي ما أو بمركب جُمليّ منتهٍ. فإذا لم يُجذّر هذا المضمون، لم يكن له موضع قابل للتمييز في عالمها الذهني وانعدم اتصاله بوضعيتها.

إذن، فالتجذير من مميزات أبنية كالإسمائيات والمركبات الجمالية المنتهية. أي إنّ الإسمائي يعرض أنموذجاً متجذراً من نوع الأشياء ويعرض المركب الجُمليّ المنتهي أنموذجاً متجذراً من نوع العمليات.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

- الأستراباذي، رضي الدين، شرح الكافية، بنغازي، جامعة قاريونس، ١٩٩٦، ط٢.
- بن غريبة، عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيلياني للنشر وكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، ٢٠١٠.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٧.
- الرمائي، أبو الحسن، معاني الحروف، صيدا- بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٥.
- لانقار، رونالد، مدخل في النحو العرفاني، ترجمة الأزهر الزناد، دار سيناترا للنشر ومعهد تونس للترجمة.
- المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د.ت.
- المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢.
- ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية، د.ت.
- Fortis, Jean-Michel : De la grammaire générative à la Grammaire Cognitive : origines et formation de la théorie de Ronald Langacker. In : Histoire Épistémologie Langage, tome 32, fascicule 2, 2010. Sciences du langage et psychologie à la charnière des 19e et 20e siècles. pp. 109-149.
- Langacker, Roland W: Cognitive grammar: a basic introduction, Oxford university press, 2008.

- Lapaire, Jean-Rémi : Grammaire cognitive des prépositions : épistémologie et applications, Corela [En ligne], HS-22 | 2017, mis en ligne le 31 août 2017, consulté le 05 septembre 2017. URL : <http://corela.revues.org/5003>.

فلسفة الذهن من مقاربة أفلاطون إلى الثورة الإدراكية

أ.د. الخامس مفيد^(١)

ملخص

نسعى من خلال هذا العمل إلى معالجة إشكال قديم/ حديث، يرتبط بطبيعة وكيفية بناء المعرفة عموماً والمعرفة اللغوية خاصة، إذ نتطرق إلى التصور الأفلاطوني للمعرفة والقاضي أن الماهيات أفكار، ومن ثم فإنه يفترض أن الفكر واحد واللغات متعددة، ونعرج على المقاربة الأرسطية القائلة إن الأفكار ماهيات. ونشير إلى أن الفكر اللغوي العربي القديم، انقسم إلى موقفين: موقف السيرافي المنكر لوحدة الفكر، فالفكر بالنسبة له متعدد بتعدد اللغات، وموقف ابن متي الرامي إلى وحدة الفكر وتعدد اللغات. وننتقل لمقاربة الموضوع من وجهة نظر العلوم الإدراكية التي أضحت معها بالإمكان اكتشاف ما كان يعد صندوقاً أسود حسب زعم السلوكيين. وفي هذا السياق، يعتبر تشومسكي Chomsky وفودور Fodor أن الذهن يتألف من مجموعة من القوالب المستقلة والمتخصصة والمتفاعلة في إطار بنية عام، ويختلف جاكندوف Jackendoff عن رفيقته، فبحسبه كل الأنساق قالبية. وقد أدى تداخل العلوم الإدراكية (اللسانيات والفلسفة والذكاء الاصطناعي والإناسة والحاسوب وعلم النفس) إلى ميلاد ثورة إدراكية سعت عن طريق تحالفها إلى تفسير طبيعة المعرفة البشرية والعمليات الحاسوبية التي يقوم بها الذهن/ الدماغ.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الجسد، المعرفة، العلوم المعرفية، القالبية، الدماغ، الذهن.

١- أستاذ اللسانيات، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب، الجديدة، المغرب.

Abstract

The objective of this paper is to answer a current/old problem related to the nature of human knowledge. Firstly, Plato's vision of unity of thought and multilingualism will be discussed. Then, al-Sirafi's concept which denies unity of thought and calls for the multiplicity of thought in multilingualism will be discussed. Afterwards, the topic will be approached from the perspective of cognitive sciences that made it possible to discover what behaviorists consider to be a black box. In this context, Chomsky and Fodor argue that the mind consists of a set of independent, specialized and interacting modularity among them, under what Jackendoff calls the conceptual structure. It will be shown that the alliance between cognitive sciences (e.g. linguistics, philosophy, artificial intelligence, anthropology, and computer) has contributed to a knowledge revolution which aims at explaining how the human brain/mind works.

Keywords: Body, knowledge, Cognitive Sciences, Modularity, Mind.

تقديم

نهدف من خلال هذا العمل مقارنة إشكال معرفي قديم طُرح في سياق الفلسفة الهلينية أساسه طبيعة المعرفة البشرية، فمنذ أفلاطون بدأ التساؤل عن الكيفية التي يتم بها بناء المعرفة البشرية/ اللغوية خلال تجربة قصيرة، وأكمل الموضوع تلميذه أرسطو الذي لم يختلف معه سوى في بعض التصورات من قبيل أن الأفكار ماهيات وأن العالم يتشكل من الأفكار. ونتيجة ذبوع المنطق الأرسطي في جميع الأقطار العربية، تولّد جدل فكري حول علاقة النحو بالمنطق، وتجسدت هذه العلاقة من خلال المناظرة التي جرت بين السيرافي وابن متى والواردة في إمتاع التوحيدي. وخلافاً لذلك، نلاحظ أن الفلسفة الديكارتية كان لها تصور آخر للإنسان من خلال نظرية الميكانيكا الرامية إلى أن الإنسان: عقل/ جسد.

وفي سياق الثورة الإدراكية، وبفعل التطور الذي عرفه علم النفس والذكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب واللسانيات والإناسة والفلسفة، سعى تشومسكي منذ أعماله الأولى إلى إعادة صياغة سؤال المعرفة الأفلاطوني متأثراً بالفكر الديكارتية في مسألة الإبداعية، لكنه لم يتبنّ التقسيم الثنائي، بل دافع عن النزعة الأحادية من خلال تفكيكه لمقاربة أفلاطون الإدراكية إلى مقارنة منطقية ونفسية.

ويذهب فودور (١٩٨٣) إلى أن الذهن/ الدماغ البشري قوالب مستقلة ومتفاعلة فيما بينها، بمعنى أن كل قالب من قوالب الذهن مخصص لمعالجة معلومات محددة، ويرى أن هناك قوالب دخل قلبية وأخرى مركزية غير قلبية. أما جاكندوف، فيعتبر أن كل الأنساق الإدراكية قلبية. ونتيجة الازدهار الذي شهده علم النفس وعلم الأعصاب واللسانيات وتراجع مكانة الذكاء الاصطناعي لصالح علم الأعصاب، برز إلى الوجود علم إدراكي يحوي جملة من العلوم، تسعى جلها إلى البحث في السيرورات المعرفية لاشتغال الذهن/ الدماغ.

ولمعالجة هذا الموضوع، ننطلق من الأسئلة والإشكالات التالية:

- ما معنى المعرفة وطبيعتها وهندستها؟

- هل يمكن رد الأنشطة التي يقوم بها الذهن / الدماغ إلى الخصائص الفيزيائية للدماغ؟
- هل يمكن أن ننسب إلى آلة تحكمها قوانين فيزيائية حالات ذهنية؟
- إلى أي حد أسهمت وحدة العلوم الإدراكية في فهم طبيعة الذهن / الدماغ؟

١. التصور الأفلاطوني للمعرفة: الماهيات أفكار تُشكل العالم

لن ندخل في تفاصيل نظرية المعرفة عند أفلاطون، فالمقام لا يتسع لذلك. لهذا سنتوقف عند نقطة أساسية عرض لها أفلاطون في محاوره مبنون لها علاقة بالموضوع قيد المعالجة. فأفلاطون يرى أن المعرفة عبارة عن ملكة من الملكات البشرية، يحدد موضوعها في الوجود، فبالنسبة إليه هي القوى التي تتيح للفرد فعل ما يمكن فعله، وقد عدّ البصر والسمع ملكتين^(١). ويربط سقراط في محاوره مبنون المعرفة بالتذكر، وهذا ما جعله ينتفض رافضاً هذا المذهب، معتبراً أن ربطها بالتذكر مجرد سفسطة كلامية.

ولكي يحسم أفلاطون الجدل الفلسفي المرتبط بطبيعة المعرفة، أقدم على تجربة بُعدها إدراكي / نفسي، تتعلق بطرح أسئلة لها علاقة بالهندسة على العبد. فما حصل هو أن العبد أجاب عن جميع الأسئلة التي طُرحت عليه علماً أنه لم يسبق له أن تلقى أي معرفة سابقة عن هذا العلم، فسقراط لم يكن يقدم معلومات إلى العبد، لكنه كان يثير ملكاته الذهنية الداخلية التي كانت تقود إلى تعرف المبرهنات الهندسية^(٢). ويمكن طرح جملة من الأسئلة والإشكالات المتصلة بمقاربة أفلاطون الإدراكية، نوردها على النحو التالي:

- لماذا يعرف الفرد هذا الكم الهائل من المعرفة رغم قصر تجربته؟
- كيف يستطيع الطفل أن ينتج عدداً لا متناهاً من الجمل لم يسبق له أن سمعها من قبل؟
- هل مصدر المعرفة / اللغوية الذهن أم العالم الخارجي؟

يُجيب تشومسكي عن مقارنة أفلاطون من خلال تقسيمها إلى مقاربتين: الأولى منطقية تهم اكتساب المعرفة، والثانية نفسية تخص اكتساب اللغة. وتبلورت المقاربة الأولى من خلال التساؤل عن الكيفية التي يكتسب بها الطفل هذا النظام المعقد والغني في تجربة قصيرة، سُميت في الأدبيات اللسانية الحديثة بفقر المنبه؛ أما المقاربة النفسية، فتبحث في المراحل الزمنية لاكتساب اللغوي عند الطفل، أي كيف يستطيع الطفل اكتساب لغته الأم؟

يبدو لنا من خلال مقارنة أفلاطون الإدراكية أنه ينظر إلى علاقة اللغة بالفكر على أن الفكر واحد واللغات متعددة، وقد تبعه تلميذه أرسطو الذي ستطرق فيما يلي إلى تصوره الرامي إلى أن الأفكار ماهيات يتشكل منها العالم.

٢. التصور الأرسطي للمعرفة: الأفكار ماهيات لتشكيل العالم

أقام أرسطو المعرفة على الملاحظة وفهم علة وجود الأشياء كما توجد، وقد اهتم اهتماماً بالغاً بطبيعة الوجود وفق تصور نسقي لم يسبقه مثيل. ولتفسير وجوده، عمل على تبني النظريات العامة التي استخدمها أفلاطون والفلاسفة قبل أرسطو، ونعني بها نظريات قابلية إدراك العالم ومعرفته. ويسلم أرسطو بأن جميع الموجودات عبارة عن أمثلة لأنواع أعم من الأشياء، تقع في درجة مقولة الوجود الشاملة لكل شيء. وبهذا تكون نظريته إلى العالم كبنية مقولية تخضع لسلمية رأسها مقولة الوجود.

يذهب أرسطو مذهب أفلاطون إلى أن كل شيء له ماهية تجعل منه ذلك الشيء، وهذه علة سلوكه الطبيعي، ويفترض أن كل مقولة في سلمية الوجود لها ماهية، ويؤكد أن الماهيات أشياء خاصة في العالم تشكل مقولة الماهيات، وهذه الأخيرة لها مقولة ماهية - ماهية الماهية.

ويختلف أرسطو عن أستاذه في التصورات الفلسفية التالية:

- أرسطو: الأفكار ماهيات.

- أفلاطون: الماهيات أفكار.

وبهذا يكون المنظور الفلسفي لدى أرسطو وأفلاطون، هو:

- أرسطو: الأفكار ماهيات = منظور فلسفي مادي.

- أفلاطون: الماهيات أفكار = منظور فلسفي مثالي.

وبالنسبة إلى أفلاطون، تكمن الحقيقة في الأفكار التي تعد ماهيات للأشياء. أما أرسطو فيرى أن الماهيات توجد فقط في الأشياء التي تعدّ ماهيات لها. ويتفق مع أفلاطون في أنه لا يوجد أي فصل بين الذهن والعالم، لكنهما يختلفان في مسألة بناء العالم، ونصوغ هذا الاختلاف على النحو التالي:

- لدى أرسطو: العالم يتشكل من الأفكار.

- لدى أفلاطون: الأفكار تتشكل من العالم.

يرى أرسطو أن الأفكار ماهيات هي الوسيلة المثلّي لتفسير قابلية إدراك العالم وتعرفه، وأن ما يوجد في الذهن يتوقف على ما يوجد في العالم. فالمنطق بحسبه هو منطق العالم، وفي نظره ليس قضية مجردة، بل جزءاً من العالم وشاهداً في الفضاء والزمن والأشياء. وبالتالي، هناك عقل للعالم، والماهيات حسب الفهم الأرسطي جزءاً من العالم. وعليه، فإن الصور ينبغي أن تكون في العالم، أي أن الماهيات صور، وبعبارة أخرى فإدراك شيء ما هو استدماج صورته في ذهن الفرد لكي تتحقق هذه الصورة في الذهن^(٣).

وإذا كان أرسطو قد ربط الأفكار بالماهيات، وافترض أن العالم يتشكل منها، وأن المنطق هو منطق العالم، فإلى أي حد استطاع منطقُه أن ينفذ إلى الفكر العربي القديم؟ وفي هذا السياق، نتطرق إلى هذا التأثير من خلال المناظرة التي جمعت السيرا في بابل متى. ويبدو لنا بحسب المناظرة أن الفكر اللغوي العربي القديم، انشطر إلى فريقين في سياق نقاشهم لعلاقة اللغة بالمنطق، أي علاقة الفكر باللغة. فهناك فريق من النحاة والمفكرين يقول بوحدة الفكر، أمثال الفارابي وابن خلدون وابن سينا وآخرين؛ وفريق آخر يدافع عن فكرة تعدد الفكر بتعدد اللغات، بمعنى أن الفكر اليوناني يوافق اللغة اليونانية والفكر العربي يوافق اللغة العربية، وهذا موقف النحوي والفقيه السيرا في.

٣. التأثير الأرسطي في الفكر اللغوي العربي القديم

١,٣. جدل اللغة والفكر من خلال مناظرة السيرافي وابن متى

نعرض لجدل النحو والمنطق، انطلاقاً من المناظرة التي دارت بين السيرافي وابن متى في مجلس الوزير الفضل بن جعفر سنة (٣٢٦هـ)، وحضر هذه المناظرة جماعة من الأدباء والنقاد والشعراء وكبار القوم^(٤)، وأجبر السيرافي من بين آخرين على مناظرة ابن متى، فالأول فقيه ونحوي، والثاني عالم بالمنطق الأرسطي. وانصب الجدل حول علاقة النحو بالمنطق، بدليل أن المنطق يمثل الفكر. وفي هذا المقام، يقول ابن متى معرّفاً المنطق: «لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناها من المنطق»^(٥). يستفاد من كلامه هذا أن السبيل الوحيد إلى المعرفة هو المنطق، لكن هذا لا يروق السيرافي، ليرد قائلاً: «معرفة صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف»^(٦).

يرى السيرافي أن صحيح الكلام من فاسده يحدده النحو وليس المنطق كما يرى ابن متى، فمرافعته كانت منصبة على نقطة أساسية هي تأكيد المضمون المنطقي للنحو العربي، وبالتالي، إبطال ادعاء المناطق بأن النحو شيء والمنطق شيء آخر. فالأول يبحث في اللفظ والثاني منشغل بالمعنى. ولتأكيد منطقية النحو العربي يقول السيرافي: «النحو منطق مسلوخ من العربية والمنطق نحو العربية»^(٧). ومعنى كلامه أن لكل لغة منطقها الخاص بها ولا يمكن إسقاط المنطق اليوناني على المنطق العربي. بصيغة أخرى، فهو يرى أن الفكر متعدد بتعدد اللغات، فالفكر العربي تمثله اللغة العربية والفكر اليوناني يصلح للغة اليونانية، وبهذا يكون السيرافي من المنكرين لوحدة الفكر وتعدد اللغات المتبناة في الفكر الهيليني من لدن أفلاطون وأرسطو. ويؤكد هذا الكلام ما ورد في المناظرة حيث يقول: «إذا كان المنطق وضعه رجل من اليونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه من رسومها وصفاتها فمن أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضياً وحكماً لهم وعليهم»، ويدقق موقفه قائلاً: «الناس عقولهم مختلفة»^(٨).

ويواصل السيرافي هجومه على ابن متى في معقله من خلال بعض الظواهر

النحوية التي يمكن أن ينظر إليها بمنظار المنطق كحرف «الواو» ومعانيه النحوية والصيغ التي يجوز فيها استعمال «أفعل» للتفضيل. لكن ابن متى لا يرى أي فرق منطقي بين الجملتين التاليتين:

(١) أ. زيد أفضل الإخوة

ب. زيد أفضل إخوته

عد ابن متى الإضافة مقولة منطقية، أما السيرافي فميز بين القولين فالبنية (١، أ) بنية لاحنة، لأنه يفهم الإضافة فيها آخر؛ فابن متى يتصور المعنى المنطقي لمقولة الإضافة من خلال مفهوم الأخوة، أما السيرافي فيفهم منها معنى النسبة، أي نسبة زيد إلى إخوته وجعله واحدا منهم^(٩).

لقد تركت المناظرة السيرافي وابن متى نتائج معرفية امتدت لفترة زمنية معينة، مفادها عدم إخضاع المنطق اليوناني للنحو العربي، فرغم أن نتيجة المناظرة انتهت لصالح السيرافي بدليل قوله: «لونثرت أنا أيضا عليك مسائل من المنطق لكان حالك كحال»^(١٠). يبدو لنا من خلال المناظرة أن الحوار كان عنيفا ومخلًا بأداب الحوار ومدعوما من الوزير الفضل بن جعفر، فهو الفضل الإيديولوجية يتماشى وهو السيرافي بخصوص رفض المنطق اليوناني، والدليل واضح من خلال إشارات التحريض والتقيص من مكانة المنطقي ابن متى، كما في:

(٢) أ. وأنت تجهل حرفا في العربية

ب. إنها بؤدكم أن تشغلوا جاهلا

ج. خرافات وترهات

ودليل دعم وتحيز الفضل بن جعفر للسيرافي، واضح من خلال الأمثلة التالية:

(٣) أ. لقد جل علم النحو عندي

ب. سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى

ج. أيها الشيخ أجبه بالبيان

إن غايتنا ليس المناظرة في حد ذاتها، بل النتائج التي ترتبت عليها، وأكثر ما يهمنا

من هذا هو معرفة الكيفية التي فهم بها النحاة والفلاسفة والمفكرون العرب القدامى علاقة النحو بالمنطق، وقد تبين لنا أن السيرافي يتبنى فكرة تعدد المنطق بتعدد اللغات. وإذا كان هذا حال المناظرة رغم غياب المواصفات العلمية فيها، فدافعها سياسي الغاية منه دحض المنطق اليوناني لأسباب قومية وإيديولوجية. فكيف فهم الجرجاني هذه العلاقة من خلال إعجازه؟

٢،٣. الجرجاني: الفكر تابع لمعاني النحو

يؤكد الجرجاني من خلال إعجازه أن الفكر لا يمكن بيانه إلا إذا تم ربطه بمعاني النحو، إذ لا يمكن أن نتصور بأي حال من الأحوال تعلق الفكر بمعاني الكلم بمعزل عن معاني النحو، إذ لا يعقل أن يتفكر مفكر في «فعل» من غير ربطه بـ «اسم» والعكس صحيح. فالفكر لا يرتبط بمعاني الكلم المفردة، لكن قد يتصل بها مجردة من المعاني النحوية، أي أن الفكر تابع لمعاني النحو ولا ينبغي له أن ينجز أي مهمة إلا ما يمليه عليه النحو. ودليله في ذلك أن الشاعر لما يريد أن ينظم في غرض من الأغراض، يكون فكر في معاني أنفس الكلم، غير أن المعاني الكامنة في النفس لا تتحقق إلا إذا كانت الغاية منها إظهار معاني النحو، ويوضح الجرجاني تعلق الفكر بمعاني النحو من خلال بيت بشار التالي:

(٤) كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

يرى الجرجاني أن بشاراً لا يعقل أن يكون قد نظم معاني هذا البيت دون أن تخطر على باله معاني النحو، ففي نظره لا يمكن التفكير في «مثار النقع» من غير أن يكون لبشار نية إضافة الأولى إلى الثانية ومن دون أن يكون قد فكر في «فوق رؤوسنا»، أي أن يضيف «فوق» إلى «رؤوسنا»، وهكذا يتصور الجرجاني نظم الكلام.

لا يتحقق معنى الكلمة حسب نظم الجرجاني إلا إذا تعلقت بمعنى كلمة أخرى، فالمقصود أن تعلم السامع شيئاً لا يعرفه، مثل:

(٥) دخل محمد

في نظره لا يمكن أن تخبر السامع بمعنى دخل بمعزل عن معنى محمد، بل لا بد من تعالجهما لتحقيق النظم النحوي^(١١).

نستنتج من خلال ما سبق أن الجرجاني ينتصر من خلال نظمه للنحو على حساب المنطق، حيث يعدّ الفكر تابعاً للنحو، ولا يمكن تصور معاني الكلم بمعزل عن معاني النحو، فالفكر لا يظهر إلا من خلال معاني النحو وبهذا يكون قد نحا منحى السيرافي، فالفكر عندهما متعدد بتعدد اللغات، فلكل لغة منطقها الخاص بها. وعمل الفارابي العارف بالمنطق والمبرز في عدد من اللغات على تفصيل هذه العلاقة من خلال «كتاب الحروف» الذي بين فيه أن موضوع النحو يختلف عن المنطق، لكن هذا لا يعني وجود قطيعة بين العلمين.

٣،٢. الفارابي يحدد موضوع النحو والمنطق

عمل الفارابي من خلال حروفه على الإجابة عن الأسئلة التي كان يطرحها السيرافي على ابن متيّ في المناظرة، حيث دحض ما زعمه بأن المنطقيين لا يصرفون عنايتهم إلى اللغة التي يتحاورون بها ويدارسون أصحابهم بمفهوم أهلها، فأجاب عن سؤال مركزي يهّم صلة الشكل اللفظي بالمعنى العقلي^(١٢).

يعتبر الفارابي النحو خاص لكونه يرتبط باللغة واللغات متعددة. وبالتالي، فلكل لغة نحوها الخاص بها؛ أما المنطق فعامّ لأنه يرتبط بالعقل والعقل واحد لدى جميع البشر. فعلم النحو له قوانين تخص ألفاظ أمة معينة، أما المنطق فقوانينه مشتركة تعمّ ألفاظ الأمم كلها، مبمّر أن في كل لغة أحوالاً تتقاسمها مع لغات الأمم الأخرى، مثل «الفعل، الاسم، الأداة»، وهناك أحوال تخص لساناً بعينه، كرفع الفاعل في اللسان العربي. وبهذا يكون مجال اهتمام النحو أحوال ألفاظ لغة محددة كالعربية، أما المنطق فعامّ يهّم ألفاظ سائر اللغات، فالألفاظ بحسب الفارابي مجال اهتمام المنطق والنحو. وبالتالي، فهي عمل مشترك بين السيرافي وابن متيّ.

يؤكد الفارابي أن اللغة المنطقية الخاصة بالأحوال العامة لألفاظ لغة ما، لا يمكن أن تؤخذ من اللغة النحوية إذا كانت هذه اللغة قد نشأ المنطق فيها أول مرة، أما إذا كان المنطق سينتقل إليها من لغة أخرى فلا بد من التعبير عن تلك الأحوال العامة، أي المعاني المنطقية بما يناسبها من ألفاظ اللغة المنقول إليها. وبهذا يكون الفارابي قد وضح موضوع النحو والمنطق، فهو يخالف السيرافي ويتفق ضمناً مع وحدة الفكر الأفلاطونية^(١٣).

وفي السياق نفسه، يؤكد ابن سينا في النجاة على منفعة المنطق، قائلاً: «بأنه الصناعة التي نعرف بها الحد الصحيح والقياس الصحيح. وبواسطته نعرف عن أي صورة ومادة يكون الحد الفاسد، وعن أي صورة ومادة يكون القياس الفاسد، فهذه فائدة المنطق». ويواصل كلامه قائلاً: «بأنه لا شيء من الفطرة الإنسانية بمستغن في استعمال الروية عن التقدم بإعداد هذه الآلة»^(١٤).

يبدو أن معرفة الحقيقة والوصول إلى البرهان لا يتأتى في نظر ابن سينا إلا من خلال المنطق الذي نعرف به الصحيح من الفاسد، ويذكرنا هذا الكلام بتعريف ابن متى للمنطق في أثناء المناظرة، فابن سينا ينتصر للمنطق شأنه شأن الفارابي. وإذا كان هذا تصور الفكر اللغوي العربي القديم الذي مثلنا له بمناظرة السيرافي والجرجاني والفارابي لعلاقة النحو بالمنطق، فإن فلسفة ديكارت، تنظر إلى الإنسان على أنه جسد وروح.

٤. التصور الديكارتي الثنائي للإنسان: العقل مقابل الجسد

يعد ديكارت من المفكرين الأوائل الذين لاحظوا تميز الكائن البشري بالإبداع اللغوي في استعماله العادي للغة، فاللغة من المنظور الديكارتي أداة للتعبير عن الفكر، وفي إطار جوابه عن مشكل الأذهان الأخرى، أي كيف نعرف أن أفراد الجنس البشري يملكون ذهنًا مماثلًا للذي نملك؟ والجواب غير المباشر أنهم قادرون على تأويل وفهم ما نقول.

لقد واجه ديكارت حزمة من المشاكل الفلسفية، أبرزها مشكلة العقل والجسد^(١٥)، وتبعاً لميكانيكا الاتصال التي كانت بالنسبة إليه إطاراً نظرياً لتفسير كل الظواهر، أي أن القوة المحركة للأجسام تنتج عن اتصال بعضها ببعض. وفي سياق معرفة طبيعة العقل البشري، كان لزاماً عليه أن يفصل أنطولوجياً ومنهجياً دراسة العقل عن دراسة الجسد، إذ اعتبر الجسد مادة ممتدة في الفضاء، يمكن تطبيق ميكانيكا الاتصال عليها، في حين اعتبر العقل جوهرًا مستقلاً مصدره هبة إلهية. لذا، لا يمكن دراسته علمياً في إطار نظرية ميكانيكا الاتصال^(١٦).

يتصور ديكارت العقل والجسد ذاتين من نمطين مختلفين جوهرياً رغم تفاعلها، فخاصية العقل هي التفكير والوعي والانخراط في أنشطة علمية، أما الجسد فله خاصية أساس هي وجوده في المكان. وبحسبه فالإنسان كائن مركب من عقل وجسد وأن العقول مختلفة عن الأجسام، وتجدر الإشارة إلى أن الجسد والعقل بينهما تفاعل، بمعنى أن الجسد يؤثر في العقل والعكس صحيح^(١٧). فالشعور بالعطش مثلاً فعل غير ميكانيكي يتولد عنه فعل ميكانيكي هو مد اليد إلى كوب الماء^(١٨). وقد استمر المشكل الديكارتي لسنوات عديدة، لكن ميلاد علم الإدراك في سياق الثورة الإدراكية، منح قضية الجسد والعقل تصوراً آخر، نتعرف عليه من خلال ثنائية الذهن/ الدماغ التي تعد الإشكال القاعدي للنزعة الإدراكية.

٥. ثنائية الذهن/ الدماغ من خلال النزعة الإدراكية

يذهب رواد التراث الكلاسيكي الوارد في فلسفة ديكارت إلى أن الإنسان عقل وجسد، فيؤكد أن الذهن والجسد يمثلان ذاتين من طبيعة مختلفة، فالذهن كيان غير فيزيائي والجسد كيان فيزيائي، غير أن المدافعين عن النزعة الإدراكية يرفضون هذا التقسيم ويخاصمونهم. يحاجج تشومسكي تيار النزعة الثنائية قائلاً: «عندما أستعمل حدوداً بين «ذهن» و«تمثيل ذهني» و«حساب ذهني»، فإنني أكون بصدد الحديث عن التخصيص المجرد لسمات بعض الإواليات الفيزيائية التي مازالت مجهولة كلياً تقريباً». ويؤكد في موضع آخر أنه يجب دراسة الملكات الذهنية في مستوى معين من التجريد، ويواصل استدلاله على أن ملكة اللغة إلى جانب باقي الملكات الإدراكية أعضاء ذهنية تنمو وتتطور شأنها شأن باقي الأعضاء كالقلب واليد، ويبدو من خلال كلام تشومسكي أنه لا يوجد أي خط فاصل بين الأعضاء الفيزيائية والملكات الإدراكية/الذهنية.

عمل تشومسكي على إقامة تمييز بين بنيات الدماغ الفيزيائية وبنيات الذهن المجردة، إذ يرى أن معرفة اللغة/ النحو، يمكن أن تخصص في المستوى المجرد وفي المستوى الملموس، ويمكن للحالتين قبل اكتساب اللغة/ بعد اكتساب اللغة، أن تخصصاً على نحو غير مفهومي بواسطة علوم الدماغ في صيغة بنيات فيزيائية.

يتبين لنا أن النزعة الإدراكية التي قادها تشومسكي أواخر خمسينيات القرن الماضي لا تنحصر منحى التراث الكلاسيكي الذي يفصل الذهن عن الجسد، بل ترى أنهما شيء واحد. وبصيغة أخرى، فالعلاقة القائمة بين الذهن والدماغ هي نفسها العلاقة التي تربط الحاسوب من حيث إنه نسق لمعالجة المعلومات^(١٩). وعمل لاكوف Lakoff وجونسون Johnson في سياق تطور العلوم الإدراكية ومعها اللسانيات الإدراكية على إعادة إحياء الجسد وعده فلسفة جديدة من خلال منحه دوراً ريادياً في بناء المعرفة، وفق تصور استعاري للغة، ويعرف هذا بالذهن المجسد.

٦. في إحياء الجسد: نحو ذهن مُجسد

يذهب التقليد الكلاسيكي الغربي إلى أن الذهن مستقل عن الإدراك والحركة الجسدية، إذ ينظر إلى القدرة النفسية على أنها مستقلة، وبهذا المعيار يمكن تمييز الإنسان عن الحيوان، ويرى الإدراكيون أن غياب استقلال الذهن عن الجسد من شأنه أن يؤدي إلى غياب التفرد الفلسفي بين البشر وباقي الكائنات لن يكون واضحاً. وقد تبلور هذا التصور قبل ظهور النظرية التطورية التي أكدت أن القدرات البشرية تنشأ من القدرات الحيوانية.

ومنذ منتصف السبعينيات ونهايتها، بدأ يظهر بحث تجريبي حول الجسد، دعا إلى التخلي عن افتراضات التقليد الفلسفي الغربي، وذلك عن طريق تبني نوعين من الحجج والبراهين، وهما:

- الارتباط القوي للتصورات والفكر والذهن بالجسد.
- مركزية سيرورة التخيل، خاصة الاستعارة، التصوير، الكناية، الفضاء الذهنية..... الخ.

ومن النتائج التجريبية التي تم التوصل إليها من قبل الجيل الثاني من الإدراكيين، أن البنية التصورية تنشأ من خلال تجربتنا الحسية الحركية ومن البنيات العصبية التي تحدثها وأن البنيات الذهنية تُبنى داخلياً عن طريق ارتباطها بأجسادنا وتجربتنا المجسدة. بالإضافة إلى ذلك فأدْمَعْتنا مُبَيِّنَةً بطريقة تجعلها تسقط نماذج التنشيط من

المناطق الحسية الحركية على المناطق القشرية العليا، وأن الذهن / التفكير مُتجسد، أي أن أشكالنا الأساسية في الاستنتاج تبنى من خلال الشكل الاستنتاجي الحسي / الحركي، وأن أشكال الاستنتاج الأخرى مؤسسة على الجسد. وارتباطاً بهذا، يبدو أن الذهن / التفكير التخيلي يبلور أشكاله الاستنتاجية بواسطة الجسد وبالاكتفاء على صيغ مجردة للاستنتاج بواسطة الاستعارة.

تؤكد النتائج السابقة الدور المركزي لفهمنا المجسد في كل مظاهر المعنى وفي بنية الفكر ومحتواه، فالمعنى يرتبط بطرق اشتغالنا بشكل دال في العالم، وهي الوسيلة التي ينشأ من خلالها عبر بيانات الجسدنة والتخييلية^(٢٠). وإذا كان هذا تصور لا يكوف وجونسون لطبيعة المعرفة وبناء المعنى، فكيف تصور تشومسكي وفودور وجاكندوف والقائلين بالقدرة التواصلية.

٧. التصور القلبي للذهن / الدماغ: من تشومسكي إلى جاكندوف

١،٧. التصور القلبي عند تشومسكي

يُقصد بالقلبية مجموع القدرات الذهنية المستقلة والمتفاعلة، فلكل نسق من هذه الأنساق الفرعية بنيته ومبادئه الخاصة، فهي فرضية تبحث في بنية الذهن / الدماغ بأكمله متجاوزة اللغة. ويستمد التصور القلبي قوته من البيولوجيا وعلم النفس الإدراكي وتطور الحاسوب، حيث لوحظ أنه يضم خوارزمات مستقلة ومتفاعلة داخل نظام المعالجة الحاسوبية. وقد أسقط تشومسكي النموذج القلبي في بعده الشامل لبنية الذهن / الدماغ عن بنية النحو التي يعتبرها بنية إدراكية، وبهذا التصور يصبح النحو مكوناً من قوالب جزئية مستقلة ومتفاعلة في الآن نفسه، ولكل نسق من هذه الأنساق النحوية بنياته ومبادئه التي تميزه، فهناك القلب الإعرابي والقلب المحوري والقلب العاملي^(٢١).

ورغم الانتشار والقبول الذي عرفته القلبية في حقول إدراكية متعددة ومتنوعة، فإنها لم تسلم من انتقادات السلوكيين التجريبيين الذين ربطوا المعرفة بتعزيز المنبه، فهي في نظرهم يتم اكتسابها بناء على منبهات خارجية. ويرد تشومسكي عن تعزيز

المنبه بحجة فقر المنبه، فعملية اكتساب المعرفة في نظره تتحقق من خلال الاستعدادات الفطرية الكلية التي تجد أساسها في بنية الذهن/ الدماغ ودور التجربة في عملية الاكتساب منحصرًا في تحديد الشكل الذي تظهر به المبادئ الكلية، فتفاعل النحو الكلي مع تجربة معينة يحصل المتكلم على نحو خاص^(٢٢).

٢،٧. التصور القالبي لدى فودور

يذهب جيرري فودور Jerry Fodor (١٩٨٣) في أثناء حديثه عن قابلية الذهنية من خلال كتابه الرائد في هذا المجال «قابلية الذهن» إلى أن الطفل يملك لغة للفكر قبل أن يشرع في اكتساب اللغة الأم، ولكي يكتسب الطفل الكليات اللغوية، عليه أن يكون مالكا للغة الفكر التي تمكنه من تمثيل هذه الكليات، وللغة التمثيل الداخلي مبادئ تختلف عن مبادئ اللغة الطبيعية، ويؤكد فودور أن الفرد لا يمكنه أن يتعلم اللغة الأم إلا إذا كان مالكا لغة الفكر، فهذه اللغة تُعرف ولا تُتعلّم.

يرى فودور أن البنية الذهنية تتألف من أربعة حسابات ذهنية، منها ما يرتبط بالبنية الذهنية مقابل البنية الإدراكية، ثم الهندسة الوظيفية للبنية الذهنية وعلاقة هذه الهندسة بالملكات الذهنية، دون أن ننسى القدرة النفسية^(٢٣). وتستمد فرضية فودور قوتها من نتائج علم النفس الإدراكي القاضية استعاريا بأن الذهن حاسوب، فقد بينت عدة أبحاث أن للآلات الحاسبة لغة الدخل/ الخرج، أي اللغة التي تتواصل بها مع الآلات ولغة آلية تستعملها الآلات لحوسبة لغة الدخل^(٢٤).

اعتبر فودور أن الذهن قائم على نمطين مختلفين من الأنساق الإدراكية. فهناك أنساق الدخل، أي العمليات القالبية التي تهتم بنسقي الإدراك البصري والإدراك اللغوي، اللذان يعرضان العالم على الفكر؛ ثم الأنساق المركزية الممثلة في العمليات غير القالبية التي تقارن بين التمثيلات وتثبت المعتقدات العلمية. وتتميز أنساق الدخل بمجموعة من الخصائص نورد البعض منها على النحو التالي:

أ- الإلزامية: تعني أن متكلم اللغة العربية ليس حرا في أن يمتنع عن معالجة المعلومات التي تصله.

ب- السرعة: تتصف عمليات الدخل بالسرعة في مردوديتها الحسائية مقارنة بالبطء النسبي للعمليات المركزية.

ج. خصوصية المجال: بمعنى معالجة مجال منبهي معين وعدم صلاحيتها لمعالجة آخر، مثل: قالب الإدراك اللغوي.

د. المنع من حيث المعلومة: فالأصوات العربية، مثلاً، لا يمكن أن تعالجها إلا الأنساق المتخصصة في تعرف الأصوات^(٢٥).

وبتبني فرضية أن الذهن حاسوب، يبدو أن الحل الذي يصدق على الحاسوب يصدق على الذهن/ الدماغ، فإذا كان للآلات لغة آلية فإن للإنسان لغة الفكر. وسنبحث في الفقرة الآتية مدى صلاحية هذا الافتراض لتفسير اكتساب التعلم عند الطفل.

١،٢،٧. القالبية واكتساب التعلم

يتصور فودور أن التعلم لا يتم عن طريق الاكتساب كما يفهمه بياجي^(٢٦)، ففي نظره لا يتعلم الطفل إلا ما يقبل الترجمة في لغة الفكر، ومعنى هذا أن الأشياء معطاة سلفاً. فتعلم الطفل لكلمة «مريض» لا يتحقق إلا إذا كان له تمثل عن هذه الكلمة في لغة الفكر، كأن يكون مالكا للتصورات التالية عن كلمة مريض: «كئيب، شاحب اللون، ضعيف الشهية.... الخ».

وينظر فودور إلى عملية التعلم على أنها استدلال غير برهاني يقوم على بلورة الافتراضات والتحقق منها، بمعنى أن الطفل يكون له تصور سابق عن مريض ثم يتحقق منه. فلا وجود لنظريات حول التعلم، بل يوجد تثبيت الاعتقاد بدل الحديث عن التعلم، فتعلم الطفل لكلمة مريض، لا يعني أنه تعلم شيء جديد، فمحتوى هذه الكلمة موجود مسبقاً بمقتضى معرفة الطفل بلغة الفكر، وهو يقوم فقط بتثبيت ما يعرفه بمقتضى لغة الفكر ويقرنه بكلمة مريض^(٢٧). وإذا كان فودور يرى أن الملكات الإدراكية تنقسم إلى أنساق دخل قالبية وأنساق مركزية غير قالبية، فإن جاكندوف يؤكد أن كل الأنساق مركزية، إذ يعتبر أن هناك قوالب مركزية وأخرى وجاهية، ونتعرف على هذا النمط من القالبية من خلال نظرية الدلالة التصورية.

٣،٧. قالبية جاكندوف: كل الأنساق قالبية

خلافًا لما ورد في قالبية فودور بأن الذهن يتألف من أنساق دخل قالبية وأنساق

مركزية غير قلبية، تفترض نظرية الدلالة التصورية أن هناك قوالب مركزية تملك قوتها التعبيرية الخاصة وقوالب وجاهية، نوردها على النحو التالي:

أ. قالب البنية التصورية: يعد قالباً مركزياً، ومجاله ترميز الأفراد والمقولات والتأليف بينها في ورودات وأنباط وحالات وأحداث، ويتم ذلك في المجالين المجرد والمحسوس. ويعد هذا المستوى أكثر ارتباطاً باللغة، فهو الذي ترمز من خلاله الدلالة اللغوية والتركيبية والمعجمية.

ب. قالب المعرفة الفضائية: قالب مركزي، يعمل في توافق مع البنية التصورية بهدف فهم العالم الفيزيائي، إذ يتم تحويل المعلومات من طابعها الفضائي إلى طابع آخر تصوري، وهذا ما يمنحنا القدرة على التعبير عما نرى ونسمع.

ج. القوالب الوجيهة: تسهم هذه القوالب في التواصل بين مستويات الترميز عن طريق ترجمة جزئية من صورة في مستوى معين إلى صورة أخرى في مستوى آخر، من خلال إقامة تشاكل بين مستويين من المعلومات. وتتسم هذه القوالب بأنها لا تستعمل إلا جزءاً من المعلومات المتوفرة في الدخل، فالقالب الوجيه الذي يربط البنية التصورية بالنسق البصري لا يعرف خصائص البنية التصورية للقوة الإنجازية وقيم الصدق... الخ، ولا يعرف سوى خصائص الأشياء ومواقعها وحركتها وتفاعل قواها الفيزيائية^(٢٨).

يظهر أن الاختلاف الجوهرى بين القوالب التمثيلية لدى جاكندوف والقوالب عند فودور هو قيامها على أساس التمثيلات التي تحللها وليس بحسب وظيفتها بوصفها ملكات للدخل أو الخرج، فالتصور القلبي في نظرية الدلالة التصورية يصدق على الملكات المركزية كما يصدق على أنساق الدخل خلافاً للتصور القلبي عند فودور. وإذا كان هذا وضع قلبية تشومسكي وفودور وجاكندوف باعتبارهم ممثلي التيار التوليدي الرئيس، فإن هناك تصوراً آخر منافساً للتوليدية، يتعلق بالنحو الوظيفي الوارد في عمل ديك (١٩٧٨) Dick والقاضي بأن القدرة التواصلية تتألف من مجموعة من الملكات.

٤,٧. التصور القالبي في النحو الوظيفي: القدرة التواصلية ملكات

سعت نظرية النحو الوظيفي الواردة لدى ديك (١٩٧٨) إلى تحديد موضوع اللغة في القدرة التواصلية، بوصفها الآلية التي تمكن مستعملي اللغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم عن طريق اللغة. واعتبرت أن القدرة تشمل مجموعة من الملكات المتفاعلة فيما بينها في أثناء عمليتي إنتاج الخطاب وفهمه، مما يتيح التواصل بين مستعملي اللغة الطبيعية، وحسب ديك (١٩٨٩) فإن القدرة التواصلية تتألف من خمس ملكات، نوضحها من خلال المثال التالي:

(٦) هل حصلت على كتاب غاليم الأخير؟

أ. الملكة اللغوية: تُمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج وتأويل عبارات لغوية معقدة ومتباينة، ويمد هذا القالب المؤول بالمعلومات الصرف تركيبية والمعلومات الدلالية والتداولية.

ب. الملكة المعرفية: تُتيح لمستعمل اللغة الطبيعية تكوين مخزون معرفي منظم والاحتفاظ به وتوظيفه عند الحاجة، وتوفر للمؤول المعلومات التي توصله إلى التعرف على ما تحيل عليه عبارة (كتاب غاليم الأخير).

ج. الملكة المنطقية: تساعد مستعمل اللغة الطبيعية في بناء معارف إضافية عن طريق استعمال قواعد استدلالية يحكمها الاستنباط، وتسهم هذه الملكة في معرفة القوة الإنجازية المستلزمة مقامياً والتي تتجاوز السؤال إلى الالتماس.

د. الملكة الإدراكية: تُمكن مستعمل اللغة الطبيعية من توظيف معارفه المستخلصة من محيطه لإنتاج وفهم العبارات اللغوية، وتساعد المخاطب في التعرف على الكتاب المفقود انطلاقاً من الصورة التي يملكها عنه.

هـ. الملكة الاجتماعية: مجموع القواعد والمبادئ الاجتماعية التي تدفع مستعمل اللغة الطبيعية إلى اختيار العبارة اللغوية المناسبة بالنظر إلى وضع المخاطب، وتساعد المخاطب في الوصول إلى أن المراد من السؤال التماس، حيث هناك مبدأ اجتماعي يقضي بأن الطلب الصادر من شخص في وضع متساوٍ يكون التماساً لا أمراً أو دعاءً (٢٩).

تعمل مكونات هذا النموذج بشكل قالي، فكل مكون مبادئه وإلياته الخاصة وتتفاعل هذه المكونات فيما بينها، إذ يمكن أن يكون «خرج» كل مكون «دخلاً» لغيره. ويضيف المتوكل (١٩٩٥) القلب الشعري محددًا وظيفته في رصد الملكة الشعرية لدى مستعمل اللغة الطبيعية التي تمكنه من إنتاج وفهم الخطاب الشعري. ونوضح تفاعل هذه القوالب من خلال الترسمة التالية:



الشكل (١): تصور النحو الوظيفي للعلاقات الرابطة بين القوالب الذهنية

ونتيجة تطور علم النفس وظهور العلم الإدراكي في ظل الثورة الإدراكية التي جمعت ثلة من العلوم الإدراكية، بهدف تفسير كيفية اشتغال الذهن/ الدماغ، برز إلى الوجود تصورا جديدا للعقل يتجاوز الحتمية.

٨. نحو تصور جديد للعقل يتجاوز الحتمية

في ظل النقاش الدائر حول بناء تصور جديد للعقل، ظهر تصوران أحدهما عقلاني قاده ديكرت، والآخر تجريبي تبناه بيكون. يرى الأول أن العقل هو القادر على تحصيل الحقائق صادقها وكاذبها. أما الثاني، فينتصر للحس والتجربة في تحصيل الحقائق. ويتفق التصوران على مسلمة مفادها أن المعرفة موضوعية وأن الكائن البشري قادر على ضبط العالم الخارجي بشكل دقيق. وقد تولد عن النزعة الموضوعية إخضاع الإنسان للنمذجة الصورية والتسليم بأن هناك مبادئ كلية موحدة، وأن الخروج عنها ابتعاد عن العقل والتعقل. وتم التسليم كذلك بفكرة فحواها أن

الكائن البشري له القدرة على بناء حقائق حتمية لها ما يسوغها، فلا شيء في هذا الكون يسير بالصدفة، بل هناك علة لكل شيء.

ومع بداية القرن العشرين، روجعت هذه المسلمات، وبدأ العمل لإعادة النظر في طريقة تفكيرنا واستدلالاتنا، مما يعني الابتعاد عن فكرة الحتمية. فلا وجود إذن لحقائق ثابتة مطلقة عبر الزمان والمكان، فقد أعيد النظر في كثير من الحقائق التي كانت تعتبر مطلقة كدوران الشمس حول الأرض، ويعد هذا دليلاً قاطعاً على أن التفكير والاستدلال متعددان، وليس أحاديين كما كان يُعتقد. ونُحِلنا التعددية الفكرية على ضرورة التخلي عن النسق التقليدي القائم على ثنائية الصدق المطلق مقابل الكذب المطلق، فما هو صادق الآن قد يصبح كاذباً غداً، وما هو كاذب الآن قد يصبح صادقاً مستقبلاً. والحقائق ليست واحدة، بل متعددة بالنظر إلى عناصر ومتغيرات متنوعة^(٣٠).

ومنذ خمسينيات القرن الماضي، بدأت تظهر عيوب ونواقص السلوكية في مسلماتها القاضية باستحالة دراسة الصندوق الأسود، فما يستحق الدراسة بحسبهم هو السلوك البشري القابل للملاحظة والمرتبط بثنائية المثير والاستجابة، ورغم نجاح السلوكيين في تفسير العديد من مظاهر السلوك البشري، فإنهم لم يستطيعوا تفسير التفكير المجرد والإبداع.

ونتيجة تطور العلوم الإدراكية (العرفانية، العرفية، المعرفية)، أصبح بالإمكان الوصول إلى صندوق السلوكيين الأسود ودراسته وتفسير كيفية اشتغاله. حيث سيتقل البحث من المثير والاستجابة إلى تفسير طبيعة التفاعلات التي يقيمها الفرد بين المثيرات الداخلية والأفعال الخارجية. فالعلوم الإدراكية تسعى إلى استبعاد كل التفسيرات السلوكية القائمة على أن لكل مثير استجابة، وحلت المعلومة محل المثير^(٣١).

وبحكم تقاسم العلوم الإدراكية موضوع الاشتغال المتعلق بدراسة العمليات الحاسوبية التي ينجزها الذهن/ الدماغ، ولد ما سمي في الأدبيات الحديثة بالثورة الإدراكية.

٩. الذهن/ الدماغ من خلال العلوم الإدراكية

٩.١. لمحة موجزة عن العلوم الإدراكية

عرف علم النفس نهاية الخمسينيات من القرن العشرين تغيرات ثورية، إذ ظهر تصور جديد لصالح المعرفة، وكان ذلك تحديداً عام (١٩٥٦). ويعد هذا بمثابة ولادة للعلوم الإدراكية، ووافق ذلك تاريخ انعقاد الندوة الدولية التي نظمها معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وجمع فيها لأول مرة نخبة من الإدراكيين في المعلومات واللسانيات وعلم النفس، بناءً على قناعة بأن ما يجمع بين هؤلاء أمر واحد، هو دراسة الذهن/ الدماغ.

وبحلول سنة (١٩٦٠)، بادر عالما النفس برونر وميلر إلى تأسيس مركز الدراسات الإدراكية بجامعة هارفرد الذي ذاع صيته على مدى عشر سنوات على الأقل. وفي السنة نفسها، صدر مؤلف مشترك لميلر وبريغام وغلانتر بعنوان «الخطط وبنية الشعور»، أعيد فيه النظر في النزعة السلوكية الكلاسيكية التي قام عليها علم النفس، واقتُرحت المقاربة السبرنتيقية بديلاً عنها. وأصدر نيسر في سنة (١٩٦٧) كتاباً بعنوان «علم النفس الإدراكي»، دعا فيه إلى تبني مقاربة نفسية جديدة مختلفة عن المقاربة السبرنتيقية التي دافع عنها نيول وسيمون، اللذان اعتبرا أنه بإمكان الحاسوب أن يزودنا بنموذج اشتغال الذهن^(٣٢).

وتعد سبعينيات القرن الماضي سنوات ازدهار العلوم الإدراكية^(٣٣)، إذ أضحت هذه العلوم حقلاً مهماً داخل المشهد الفكري، وتبلورت في هذه الفترة حقول معرفية طرحت مجموعة من الإشكالات منها ما كان موجوداً قبل ظهور الثورة الإدراكية^(٣٤)، وهي إشكالات تقنية وافتراضات نظرية. وتشترك هذه العلوم في تفسير طبيعة الذهن/ الدماغ، لذلك طُرحت السؤال المعرفي، التالي: (ما الذي يوحد هذه العلوم)؟

تتجلى غاية العلوم الإدراكية في الانفتاح على تخصصات متعددة لتفسير طبيعة الذهن/ الدماغ، وبفعل هذا الانفتاح تم التوصل إلى نتائج ملموسة بخصوص الذهن لم تكن موجودة قبلاً تحالف هذه العلوم. وتكمن غاية العلوم الإدراكية في

تفسير العمليات الذهنية التي تتم في أثناء معالجة المعلومات، ومن هنا بات لزاماً عليها دراسة الكيفية التي يشتغل بها الذهن/ الدماغ، وعرفت هذه العلوم تطورات مهمة نتيجة تحالفها، أي تحالف: علم النفس المعرفي واللسانيات والذكاء الاصطناعي والفلسفة والإناسة وعلم الأعصاب^(٣٥).

٢,٩. نحو نظرية موحدة لفهم الذهن/ الدماغ

عرف البحث في بنية الذهن/ الدماغ تحولاً عميقاً منذ منتصف القرن العشرين، حيث بدأت تشكل ملامح ميلاد ثورة إدراكية نتيجة تحالف العلوم الإدراكية التي تتفق حول موضوع العمل، وفي هذا السياق ظهرت العلوم الإدراكية.

بدأ الاهتمام بكيفية اشتغال الذهن/ الدماغ إدراكياً منذ التقرير المعروف بـ«تقرير سلون» الذي أنجز بناء على طلب من مؤسسة «ألفريد سلون» لدراسة الحقول الموحدة التي تضم الحقول الإدراكية المتآزرة لفهم طبيعة المعرفة وتاريخ الجنس البشري، وقد ضم هذا العلم علماء نفس ولسانيين وعلماء أعصاب وفلاسفة وأنتروبولوجيين وعلماء حاسوب، ومنذ صدور التقرير انطلقت الثورة الإدراكية بخطى هائلة للاشتغال على الذهن/ الدماغ وتاريخ الفكر وتطور الإنسان. وبتراجع مكانة الذكاء الاصطناعي لصالح النتائج المبهرة التي حققها علم الأعصاب، كان لزاماً على الإدراكيين الاستفادة من نتائج هذا العلم ومعرفة موقع البنية الذهنية داخل علم الأعصاب الإدراكي^(٣٦).

٣,٩. موقع البنية الذهنية داخل علم الأعصاب الإدراكي

يذهب جاكندوف (٢٠٠٧) إلى أن للبنية التصورية دوراً مهماً في معرفة الطبيعة البشرية وعلاقتها بالتجربة والشعور البشريين، ومن هنا يمكن التساؤل عن وضع البنية الذهنية داخل العلوم العصبية؟

قاد سؤال مكانة المعرفة داخل العلوم العصبية إلى كشف سبل عمل الذهن/ الدماغ، وتحدث هنا عن طريقة تمثل الكائن البشري للعالم وقيامه بأعمال فيه. وهناك شق من العلوم العصبية يهتم بدراسة البنية الفيزيائية للدماغ وكيفية عمل الخلايا وانتظامها في مناطق، أي الدماغ. أما الشق الثاني، فإدراكي وظيفي حاسوبي

يهم النشاط الذهني، بمعنى الذهن. فالدماغ كيان مادي ملموس يمكن اعتباره موضوعاً للعلوم العصبية، أما الذهن فيرتبط بالوظيفة التي ينجزها الدماغ. وتبعاً لذلك، نعتمد ثنائية ذهن/ دماغ^(٣٧).

يرى جاكندوف أن دراسة الذهن/ الدماغ تتخذ عدة أبعاد، نوردّها، كما يلي:

البعد الأول: علم الأعصاب (الدماغ) مقابل العلوم المعرفية (الذهن/ الخصائص الوظيفية) مقابل الشعور والظاهراتية.

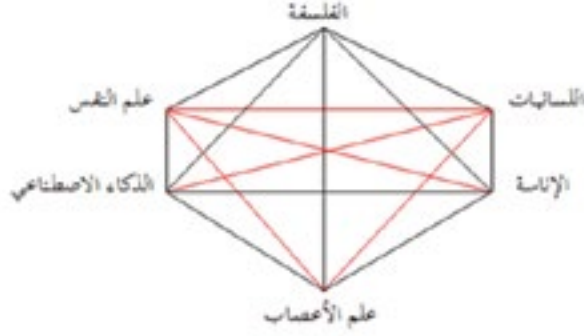
البعد الثاني: حالة قارّة مقابل نمو فردي مقابل نمو تطوري.

البعد الثالث: الإدراك مقابل اللغة مقابل التفكير التجريدي.

البعد الرابع: البنية الذهنية مقابل القدرة على المعالجة مقابل اشتغال الذاكرة مقابل الذاكرة البعيدة المدى مقابل القصد مقابل الاهتمام مقابل التعلم^(٣٨).

في وحدة العلوم الإدراكية^(٣٩)

أسهمت الفلسفة داخل وحدة العلوم الإدراكية في فهم طبيعة الذهن/ الدماغ من خلال إعادة صياغة قضايا فلسفية جدلية طُرحت منذ الفلسفة الديكارتية كمشكل الذهن/ الجسد، ومشكل العقول الأخرى وقضايا الوعي والإرادة الحرة. وسعت اللسانيات إلى بناء نماذج صورية لتفسير البنية المجردة للقدرة اللغوية لدى المتكلمين. وحاول علماء النفس كشف الميكانيزمات التي تؤدي إلى إنتاج الجمل اللغوية وفهمها. وعمل علماء الحاسوب على إنتاج نماذج تحاكي في اشتغالها عمل الذهن/ الدماغ. واهتم علماء الإناسة بالأبعاد الاجتماعية للمعرفة البشرية. وتربط بين هذه العلوم علاقات قوية وعلاقات ضعيفة، تمثل لها بسداسي المعرفة، كما جاء في تقرير سلون (١٩٧٨).



الشكل (٢) الحقول الإدراكية التي يتألف منها علم الإدراك

تشير الخطوط باللون الأحمر إلى العلاقات القوية بين العلوم المطروحة بالمخطط، وتمثل الخطوط المرسومة باللون الأسود العلاقات الضعيفة بين الحقول الإدراكية، فالأولى تهم علم النفس^(٤٠) وعلاقته باللسانيات وعلم الأعصاب والإناسة، ثم علاقة اللسانيات بعلم النفس والذكاء الاصطناعي^(٤١) وعلم الأعصاب. أما الثانية، فتخص الفلسفة والإناسة والذكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب، ويتبين لنا من خلال سداسي المعرفة أن هناك مركزية لعلم الأعصاب واللسانيات وعلم النفس ضمن هذه الصلات بمختلف درجات ترابطها.

ويبين ميلر سيرورة تشكل العلوم الإدراكية وتداخلها العلمي من خلال قوله إن علوم السيبرنتيكة^(٤٢) كانت توظف التصورات التي طورتها المعلومات لنمذجة وظائف الدماغ التي كشف عنها علم الأعصاب وبطريقة مماثلة كانت اللسانيات والمعلومات مرتبطتين من خلال اللسانيات الحاسوبية، واتصلت اللسانيات بعلم النفس عن طريق اللسانيات النفسية وارتبط علم الإناسة بعلم الأعصاب من خلال الدراسات المتعلقة بتطور الدماغ.

خلاصة

نستنتج مما سبق أن التوصل إلى إجابة شافية كافية عن طبيعة المعرفة البشرية مطمح لا يمكن تحقيقه، نظراً إلى تجدد الافتراضات والأبحاث والنتائج. فسؤال المعرفة سؤال أفلاطوني مفاده أن الفكر واحد واللغات متعددة، وقد تبعه في ذلك أرسطو ومن جاء بعده. لكن هذا لا ينطبق على ثلة من اللغويين العرب القدماء أمثال السيرافي الذي ناظر ابن متى حول علاقة النحو بالمنطق، إذ اعتبر أن الفكر متعدد بتعدد اللغات، والمنطق اليوناني في نظره لا يصلح إلا للغة اليونانية. وعمل الفارابي من خلال حروفه إلى حسم هذا الجدل من خلال تأكيده أن اللغة المنطقية الخاصة بالأحوال العامة لألفاظ «لغة ما»، لا يمكن أن تؤخذ من اللغة النحوية إذا كانت هذه اللغة قد نشأ المنطق فيها أول الأمر. أما ديكارت فقد أجاب عن سؤال المعرفة من خلال نظريته الميكانيكية الرامية إلى أن الجسد والروح جوهران مستقلان. وتحالف النزعة الإدراكية طرح ديكارت الثنائي وتبنى الأحادية، أي أن الذهن والجسد جوهر واحد. وبازدهار العلوم الإدراكية، أضحى بالإمكان اكتشاف ما كان يعتبر صندوقاً أسود حسب السلوكيين، ونتيجة تطور الذكاء الاصطناعي والحاسوب واللسانيات وعلم الأعصاب وعلم النفس المعرفي، أصبح من الممكن دراسة سيرورة اشتغال الذهن/ الدماغ.

الهوامش:

١. أفلاطون، جمهورية أفلاطون، ترجمة: فؤاد، زكرياء، ص. ١٩٠-١٩١.
٢. الحداد، مصطفى (٢٠١٣)، ص. ٥٤.
٣. جورج لا يكوف ومارك جونسون (١٩٩٩)، ترجمة: جحفة، عبد المجيد، ص. ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩.
٤. حضر المجلس: قدامة بن جعفر، والزهرى، وابن فراس، والمرزباني، وابن كعب، والخالدين، وابن الأحشاد وآخرين.
٥. أبو حيان، التوحيدى، الإمتاع والمؤانسة، ص. ٦٥.
٦. نفسه، ص. ٦٩.
٧. نفسه، ص. ٦٧.
٨. نفسه، ص. ٦٩.
٩. الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربى، ص. ٥٢.
١٠. أبو حيان، التوحيدى، الإمتاع والمؤانسة، ص. ٧٠.
١١. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص. ٢٨٠، ٢٨١.
١٢. أبو نصر، الفارابى، كتاب الحروف، ص. ٣٩.
١٣. الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربى، ص. ٤٢٧، ٤٢٨.
١٤. ابن سينا، الحسين، النجاة فى المنطق والإلهيات، ص. ١٠.
١٥. الجسد جسم الإنسان كله، أما البدن فهو ما علا من جسد الإنسان. (انظر: أبا هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. ١١٧).
١٦. الرحالى، محمد (٢٠١٨)، ص. ١٢٩. ١٣٠.
١٧. تفترض نظرية الاستعارة التصورية حسب لايكوف وجونسون، أن للجسد دوراً مهماً فى بناء المعرفة، فأجسادنا فى الفضاء تولد المعرفة. (انظر: لايكوف وجونسون، الاستعارات التى نحيا بها، ترجمة: جحفة، عبد المجيد ص. ١٠).

١٨. وحيدى، محمد (٢٠١٨)، ص. ١٧٤، ١٧٥.
١٩. الذهن جوهر موجود في الشخص، لكنه لا يحتل حيزاً ولا يمكن وزنه أو رؤيته أو لمسه، فهو كُنه مجرد ينبثق من الدماغ، وهو المسؤول عن تمثل العالم الخارجي. أما الدماغ فكيان مادي محسوس.
٢٠. الحداد، مصطفى (٢٠١٤)، ص. ٤٩، ٥٠.
٢١. جورج لا يكوف ومارك جونسون (١٩٩٩)، ص. ١٢٨، ١٢٩.
٢٢. الرحالي، محمد (١٩٩٢)، ص. ٢٣، ٢٤.
٢٣. جيري، فودور (١٩٨٣)، ص. ٣، ١٠، ١٤، ٢٤.
٢٤. الحداد، مصطفى (٢٠١٣)، ص. ٥٨، ٦٠.
٢٥. غاليم، محمد (٢٠٠٧)، ص. ٢١، ٢٢.
٢٦. يذهب بياجي في سياق رده على فودور إلى أن تطبيق نظريته على الرياضيات يوحي بأنها لم تشهد ابتكاراً طوال هذا التاريخ، إذا كان الكل محدداً سلفاً على نحو فطري. أما فودور فيرى أن الأصل هو تثبيت الاعتقاد لأن المفاهيم معطاة على نحو فطري. انظر حداد (٢٠١٣)، ص. ٦٤.
٢٧. الحداد (٢٠١٣)، ص. ٦١، ٦٣.
٢٨. غازيوي، محمد (٢٠١٩)، ص. ٨٧، ٨٨.
٢٩. المتوكل، أحمد (٢٠٠١)، ص. ٣٦، ٣٧.
٣٠. الباهي، حسان (٢٠١٢)، ص. ٤٠، ٤١.
٣١. نفسه، ص. ٤٤.
٣٢. جورج فيتو، العلوم المعرفية: قضايا جديدة لرهانات عدة، ترجمة: الخطابي، عز الدين ص. ٤٥.
٣٣. تحيل المعرفة (cognition)، على سيورة يقوم بها البشر، أو تمثيلات ذهنية تسطح في الوعي عندما ندرك أو نتعقل أو تكون صوراً ذهنية. فالجانب المعرفي عند الإنسان هو ذلك العنصر الذهني المشترك بين بني البشر. انظر لا يكوف

- وجونسون، ترجمة: جحفة (١٩٩٦)، وانظر وحيدى (٢٠١٨).
٣٤. لمزيد من التفاصيل عن العلوم المعرفية، انظر بول تكارد (٢٠٠٥)، وجونسون ليرد (١٩٨٨).
٣٥. بيرميدز (٢٠١٤) Bermudez، ص. ٥، ٦.
٣٦. طعمة (٢٠١٩)، ص. ١٩.
٣٧. راي، جاكندوف (٢٠٠٧)، ص. ٣.
٣٨. نفسه، ص. ٥.
٣٩. العلوم الإدراكية: جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن والذكاء دراسة تقوم على تداخل الاختصاصات تسهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الدماغ واللسانيات والأنثروبولوجيا، وتدرس العلوم المعرفية الذكاء عامة والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تبحث في تجلياته النفسية واللغوية والأنثروبولوجية. (لمزيد من التفاصيل، انظر، الزناد، نظريات لسانية عرفية، ص. ١٥).
٤٠. علم النفس: يعد قلب العلوم المعرفية، ويهتم بدراسة عمليات المعرفة وأبنيتها من قبيل: الإدراك والانتباه والذاكرة واللغة والقصد والنشاط الفكري واللغوي.
٤١. الذكاء الاصطناعي: العلم الذي يسعى إلى جعل الآلة تؤدي ما يؤديه البشر من الأعمال عن طريق تمكينها من مهارة ذهنية ذكية لها قدرات الذكاء التي للذهن البشري، ويقوم على ركيزتين هما البرمجيات الحوسبية والآلة، فالبرمجيات تمثل الذهن البشري، والآلة بأدواتها تمثل الجسم البشري بأعضائه.
٤٢. السيبرنتيقة: علم الترابط بين الإنسان والآلة، موضوعه دراسة السيطرة والاتصال بين الإنسان والآلة، وقد وجهت السيبرنتيقة العلم والعالم، وقضت على المنطق التحليلي.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- أفلاطون: جمهورية أفلاطون، ترجمة: فؤاد زكرياء، فضاء الفن والثقافة.
- الباهي، حسان (٢٠١٢): الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة: حنكة الآلة أمام حكمة العقل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
- بنسلامة، نادرة (٢٠١٣): «النبر بين الدماغ والذهن»، ضمن: كتاب أبحاث معرفية، مختبر العلوم المعرفية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز، فاس، المغرب.
- التوحيدى، أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة، تصحيح وضبط أحمد، أمين وأحمد، الزين، القاهرة، مصر.
- الجابري، محمد عابد: بنية العقل العربي - دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٩، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.
- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، دار الغد الجديد، ط ١، القاهرة، مصر، ٢٠١٧.
- الحباشة، صابر (٢٠٠٨): اللغة والمعرفة، دار رؤية جديدة، دمشق، سوريا.
- الحداد، مصطفى (٢٠١٤): اللغة والفكر وفلسفة الذهن، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط ١، بيروت، لبنان.
- الرحالي، محمد (١٩٩٢): «بعض الخصائص الصورية للنمذجة اللسانية»، ضمن: كتاب قضايا في اللسانيات العربية، إعداد: عبد اللطيف شوطا وعبد المجيد جحفة وعبد القادر كنكاي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ابن مسيك، الدار البيضاء، المغرب.
- الرحالي، محمد (٢٠١٨): «الأسس الداخلية للتأويل والتصورات»، ضمن كتاب: الدلالة بين النظامي والعرفاني، إشراف: عبد السلام عيساوي،

الدار التونسية للكتاب، منوبة، تونس.

- الزناد، الأزهر (٢٠١٠): نظريات لسانية عَرَفِيَّة، الدار العربية للعلوم/ منشورات الاختلاف، الجزائر.
- ابن سينا، الحسين: النجاة في المنطق والإلهيات، تحقيق: عميرة، عبد الرحمان، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.
- شومسكي، نعوم (٢٠١٣): اللغة ومشكلات المعرفة: محاضرات ماناجوا، ترجمة: حمزة بن قبلان المزييني، ط ١، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
- طعمة، عبد الرحمان محمد (٢٠١٩): «البعد الذهني في اللسانيات العرفانية: مدخل مفاهيمي»، ضمن: كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن اللغة والواقع»، تأليف: صابر الحباشة وآخرين، دار وجوه، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- العلوي كمال، رشيدة (٢٠١٢): «تطور نظرية الاكتساب في النحو التوليدي وعلاقته باللسانيات النفسية والأحيائية»، أبحاث لسانية، العدد ٣٠، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، المغرب.
- العسكري، أبو هلال: الفروق اللغوية، تحقيق: إيهاب، محمد ابراهيم، مكتبة ابن سينا، ط ١، القاهرة، مصر، ٢٠١٣.
- غازيوي، محمد (٢٠١٩): السيرورات المعرفية الثلاثية الأبعاد في النظرية الدلالية المعاصرة- نموذج نظرية الدلالة التصورية، دار كنوز، عمان.
- غاليم، محمد (٢٠٠٧): النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة مبادئ وتحليل جديدة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
- الفارابي، أبو نصر: كتاب الحروف، تحقيق وتعليق: محسن، مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.
- فيتو، جورج (٢٠٠٩): العلوم المعرفية: قضايا جديدة لرهانات عدة،

- ترجمة: الخطابي، عز الدين، رؤى تربوية، العدد: ٢٩.
- لايكوف، جورج، ومارك جونسن (١٩٨٠): الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
 - لايكوف، جورج، ومارك جونسن (١٩٩٩): الفلسفة في الجسد - الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.
 - المتوكل، أحمد (٢٠٠١): قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب: من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، المغرب.
 - الوحيدي، محمد (٢٠١٨): «اللسانيات وعلم المعرفة.... اللغة وبنية المعرفة»، ضمن: عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، العدد: ١٧٥، الكويت.

المراجع الأجنبية:

- Bermudes, José Luis (2014), *Cognition Science : An Introduction to The Science of The Mind*, Cambridge, University Press.
- Fodor, J. (1983) *The Modularity of Mind*, MIT, Press.
- Jackendoff, Ray (2007) : *Language, Consciousness, Culture- Essays on Mental Structure*, MIT, Press.
- Johnson, Laird ((1988 *Mental Models in Cognitive Science*, University of Sussex.
- Thagard, Paul: *Mind Introduction to Cognitive Science*, Cambridge, MIT, Press.

مسرد ببعض المصطلحات

بالعربية	بالإنجليزية
إدراك	Cognition
تصور	Concept
الثورة المعرفية	Cognitive Revolution
جسد	Body
حوسبة	Computation
خرج	Output
دخل	Input
الدلالة التصورية	Conceptual Meaning
دماغ	Brain
ذهن	Mind
سلوك	Behavior
عالم	World
فكر	Thought
القوالب الوجيهة	Interface Modules
الغالبية التمثيلية	Representational Modularity
كيان	Entity
لغة الفكر	Language of Theory
ملكة	Faculty
النظام الحاسوبي	Computational System
وجود	Existence

الفعل «وجب» تركيباً ودلالة في المدونات الحاسوبية العامة والمختصة

د. رضا الطيّب الكشور

ملخص البحث

نروم في هذا البحث أن نوّظف المدونات الحاسوبية العامة والمختصة في دراسة اللغة العربية، واخترنا النظر في أفعال الوجوب، وفي مقدمتها الفعل «وجب»، لسببين: أولهما أنّ هذه الأفعال لم تحظ نسبياً بالتحليل، وثانيهما السعي إلى استجلاء خصائصها التركيبية والدلالية، فهل تستعمل استعمالاً توزيعياً أو جهياً (modal)؟ ولا يتسنى لنا تبين هذه السمات إلا إذا تفحصنا كمّاً هائلاً من استعمالات هذه الفئة من الأفعال في المدونات الحاسوبية. لهذا فإننا سنعمد في بحثنا على مدوّنتين، اصطّلحنا على الأولى بـ«المختصة»، وقد أعددناها بأنفسنا، وذلك بالنظر في عينة من النصوص القانونية، وتضمّ أكثر من أربعين ألف كلمة؛ وعلى الثانية بالمدونة «العامة»، ونستند فيها إلى «المدونة اللغوية العربية» لمدينة الملك عبد العزيز، وإلى مدونة «اسكاتش أنجين» (Sketch Engine)، لكبر حجمها. سنحدّد في قسم أوّل من هذا البحث التراكيب المتواترة للفعل «وجب/يجب»، لنستقرئ منها في قسم ثان خصائصه التركيبية والدلالية.

الكلمات المفتاحية: أفعال جهية، تحيية، مدونات لغوية حاسوبية، تراكيب متواترة، خصائص تركيبية ودلالية.

Abstract

The purpose of the present paper is to use general and specialized data bases in the study of Arabic. The use of the Arabic verb (wajaba, ie. must) is chosen as an example for this study to explore its syntactic and semantic features and see whether it is used in distributive or a modal way. This cannot be achieved without resorting to large linguistic data bases. For this end, two data bases have been selected: one described as “specialized”, prepared by the present author and including a set of Arabic legal texts containing more than 40 thousand words; and the second one described as “general” and including the Arabic Language Data Base of KACST, and the Sketch Engine Data base. The most recurring syntactic structures featuring the use of the verb (wajaba) will be explored in the first part of this paper, while part two will be dealing with its various syntactic and semantic features.

Key words: modal verbs, modalization, linguistic data bases, recurring structures, syntactic and semantic features.

١. المقدمة

ارتأينا أن نقدّم لبحثنا بطرح إشكاليته وضبط موضوعه وتحديد معطياته ومصادرها. ونحن إذ سنقتصر فيما يتعلّق بالأفعال الجهيّة على أفعال الوجوب وعلى الفعل «وَجَبَ» على وجه الخصوص، فإنّ ذلك نابع من تبيننا أنّ هذه الأفعال تطرّد في النصوص القانونية العالمية والمحليّة، الموضوعة أساساً للإلزام المتلقّي التقيد بها. ومن الأسئلة المتعلقة بهذا المبحث: هل بوسعنا ادّعاء الموضوعيّة في الوصف والتحليل إن اقتصرنا على دراسة أفعال الوجوب اعتماداً على عينات ممثلة للنصوص القانونية فحسب؟ ولم الاعتماد على مدوّنة تعدّ ملايين الاستعمالات وتجمع بين القديم والحديث من مثل المدوّنة العربيّة^(١) أو مدوّنة «سكاتش أنجاي» (Sketch Engine)^(٢)؟ ألا يتحتمّ الاقتصار على عينات محدّدة ومتخصّصة في مجالات استعمال قد يكون الباحث على دراية بها، أم إنّ الاستقراء اللسانيّ يحتمّ الشمول، ومن ثمّ الاستناد على مدوّنات عامّة تضمّ أصناف النصوص؟ وقد يُفضي الاعتماد على العينات فحسب إلى نتائج لا تنطبق على أوجه التعامل اللغويّ في مختلف الممارسات اللغويّة، فشحنة الوجوب قد تخفت في نصوص السرد أو الإرشاد أو العرض^(٣)، لأنّها لا تصدر عن جهات رسميّة مثلما هي حال النصوص القانونيّة. وإذا كان الوصف اللسانيّ ينزع إلى الشمول والاستقصاء وإدراك الخصوصيّات الكامنة في أشكال استعمال اللغة جميعها، فإنّ الاقتصار على النصوص القانونيّة في دراسة أفعال الوجوب يظلّ محدوداً. وليس لنا أن نحكم على أنّ هذه الأفعال تختلف في تراكيبها ودلالاتها في النصوص القانونيّة عن بقيّة نصوص الأنماط الأخرى، لأنّ الحسم في هذا الإشكال يقتضي دراسة أفعال الوجوب في مرحلة أولى في مدوّنة مختصّة ومثّلة تُنتقى من النصوص القانونيّة، وفي مرحلة ثانية، تُستقى هذه الظاهرة من مدوّنة كبيرة الحجم تنفتح على أنماط السرد والحجاج والعرض والإرشاد جميعها وتشمل عدداً كبيراً من النصوص المتنوّعة من القديم والحديث.

سننتهج هذا المنهج بأن ننظر في استعمالات الفعل «وجب/ يجب» في مدوّنتين، مختصّة وعامة، نشفعها بالنظر في معاني هذا الفعل في المعاجم اللغويّة القديمة لنحدّد أشكال استعماله، لغاية استجلاء تطوّراته التركيبيّة والدلاليّة.

٢. مصطلحات البحث

ننظر في أفعال الوجوب، أفعال توزيعية هي أم أفعال جهية؟ ومن ثمّ يتحتم علينا تحديد مصطلح الجهة التي تدلّ في الأصل على الشكل وعلى «سمة خاصّة لمادّة من الموادّ، مثل أن نعدّ الثلج أو البخار من سمات الماء»^(٤). وتطوّر هذا المدلول الحسيّ في نهاية القرن التاسع عشر، فعنى الشكل الخاصّ بحدث وبفكرة وبكائن. وقصد بذلك الظرف والكيفية والخصوصية. ونستنتج من المعنى الأصليّ للجهة أولى خصائصها وهي الوسم. ونعني به التمييز في ملفوظ ما بين المؤشّرات الموسومة التي تستدعي تركيزا والمؤشّرات غير الموسومة. وتعدّ خاصية الوسم أهمّ خاصية للجهة.

ويراوح تعريف الجهة بين التضييق والتوسيع. فإمّا أن يُحصر في فعلٍ «وجب» و«ينبغي» وبضعة أفعال أخرى، أو أن يُعدّ كلّ قول عمليّة تجيّه^(٥). ونطلق تسمية الأفعال الجهيّة على أفعال تعبّر عن الأبعاد المنطقية وتحقّق الوجوب أو الإمكان أو الاحتمال أو المنع. ويسمّ الفاعل ما يعبرّ عنه من قضايا بهذه السمات. ويصوغها في شكل نتيجة منطقية أو نتيجة لقرار. فجملة «أعتقد أنّ الطقس جميل» تنبني عند المنطقة^(٦) على فعل «أعتقد» المعبرّ عن الجهة، وعلى القضية المتمثلة في جمال الطقس. وتشترك جمل في قضية واحدة، في حين أنّها تعبّر عن جهات مختلفة مثل ما هي الحال بين الجمل التالية: يأتي رامي بالسيّارة

يحبّ أن يأتي رامي بالسيّارة

يستطيع أن يأتي رامي بالسيّارة

يُحتمل أن يأتي رامي بالسيّارة

أخشى أن يأتي رامي بالسيّارة

أعتقد أنّ رامي سيأتي بالسيّارة.

أفادت هذه الجمل قضية واحدة تكمن في مجيء رامي بالسيّارة؛ في حين أنّها حقّقت جهات الوجوب والإمكان والاحتمال والخشية والاعتقاد. ولا تخلو دراسة الأفعال الجهيّة من إشكال يتأتّى من الإقرار بوجودها أو نفيها مثلما تساءل عن ذلك

« هيو » (Huot. H)^(٧) . ويتأتى أيضاً من اختلاف اللسانين في تحديد قائمة الأفعال الجِهية^(٨) . وليس من السهل أن نستنبط الأفعال التي تتدخل في إجراء التَجْيِه^(٩) ، حتّى في معناه الموسّع، ممّا يجعل الجِهية من أعسر مسائل اللسانيّات. ويقابل التوسّع في معنى الأفعال الجِهية تضيق بعض اللسانين، مثل ما يذهب إليه «بنفنيست» في تحديد هذه الأفعال واشتراط أن تتسم بخصائص معيّنة. فهو يحصرها في الفرنسيّة في فعليّ *devoir* (وجب) و *pouvoir* (استطاع). وليس لنا أن نقيّد في اللغة العربية بهذين الفعلين، لأنّ لهذه اللغة خصوصياتها ولأنّ ما يقابل هذين الفعلين أكثر بكثير. ففعل (*devoir*) يقابله فعل (وجب) و (لزم) و (اقتضى) و (ينبغي)^(١٠) والمركّب (عليه أن...) . ويقابل الفعل (*pouvoir*) الأفعال (قدر) و (استطاع) و (تمكّن). كما يقابل الفعل (*vouloir*) الأفعال (أراد) و (شاء) و (ابتغى) و (رغب) و (ودّ) و (طلب) و (نوى) و (زعم). وينضمّ إلى هذه الأفعال استعمال المصادر وما قد تحقّقه من دلالات جِهية مثل الوجوب. وتدرج اللغة الفرنسيّة فئة الأفعال المساعدة (*les verbes auxiliaires*) في الأفعال الجِهية. وهي أفعال تختلف عن الأفعال التوزيعيّة في السلوك النحويّ ودلالات الزمن والمظهر. وتشمل *avoir* (ملك) و *être* (كان) في بعض استعمالاتها، والأفعال المساعدة جزئياً مثل *aller* (ذهب) و *être sur le point de* (أوشك على، كان على وشك أن) و *venir de* (للتوّ). وتعبّر هذه الأفعال عن الجهات المنطقيّة. وتقرن بفعل غير مصرّف. وتكون على النحو التالي:

(يمكن أن تمطر غدا) *il peut pleuvoir demain*

(يجب أن ينفجر اللغم) *La mine doit sauter*

وإذا حصر «بنفنيست» الأفعال الجِهية في فعليّ وجب (*devoir*) واستطاع (*pouvoir*) فما تعليل مثل هذا التحديد؟ ذلك أنّ سمة الجِهية تقتضي تراكيب معيّنة قد تحتملها مفاهيم الوجوب والإمكان والاحتمال، وقد تتجمّد بمقتضاها جزئياً أو كلياً. وفي هذه الحالة لا تعتبر أفعال تعبّر بقوة عن موقف المتكلّم من ملفوظه أفعالاً جِهية من ضرب ما شاع من أفعال تعبّر عن مواقف الدول أو المؤسسات العالمية مثل (ندد) و (ندد بقوة) و (شجب) و (استنكر) و (استنكر بشدّة)؟ هل نعتبرها من فئة الأفعال الجِهية إذا ثبت في المدونة الحاسوبية أنّها لا تستعمل استعمال الأفعال

التوزيعية، وأنها تختصّ بتراكيب معيّنة قد تتجمّد فيها كلياً أو جزئياً؟

ويثير ضبط الأفعال الجهيّة في لغة من اللغات استفهاماً عمّا نتّبع من مناهج الضبط والتحديد. هل ننظر في الجهاز اللغوي ونستقرئ دراسات النحاة أم إنّنا نضبط مدونةً ممثلة لعينات من القديم والحديث والشفويّ والمكتوب لنستنبط منها أفعالا تستعمل استعمالاً جهيّاً؟

وتتولّد الإشكاليّات في دراسة الأفعال الجهيّة من أنّ حقولاً معرفيّة متعدّدة مثل العلوم الفلسفيّة واللغويّة توظّفها وتكسبها مسلكاً يلائم منظورها، فمباحث المنطق تُعنى بتحليل القيمة الدلالية للفعل الجهيّ من ضرب (وجب) أو (استطاع) أو (أراد). والسؤال هل تفيد هذه الأفعال قيماً دلالية ثابتة تنبع من البحث الفلسفيّ عن الحقيقة، أم إنّها تتنوّع حسب ما تدرج فيه من سياق وتكتسبه من مؤشّرات الزمن والمظهر؟

يتجلّى إذن أنّ مبحث الأفعال الجهيّة مجال معقّد، تتداخل فيه القضايا الفلسفيّة والمعرفيّة، ممّا يقضي بتحديد مفاهيم الإمكان والوجوب والاحتمال والمنع.

٣. الفعل «وجب» في معجميّ الدوحة التاريخيّ ولسان العرب

تتبّعنا استعمالات الفعل «وجب/يجب» زمنيّاً (diachronic) اعتماداً على معجميّ الدوحة التاريخيّ ومعجم لسان العرب لابن منظور لمقارنتها باستعمالاته تزامنيّاً (synchronic) في المدوّنات الحاسوبية المختصّة والعامة. وعثرنا على استعمال الفعل «يجب» في سنة ١٢٢ ق.هـ/ ٥٠٣ م في معنى «لزم» و«ثبّت» على لسان هاشم بن عبد مناف القرشي في قوله: «ولكلّ في كلّ حلفٍ يجبُ عليه نُصرته، وإجابةُ دعوتِهِ»^(١). يستوقفنا استعمال الفعل يجب في هذا الشاهد، فقد جاء التركيب على نحو: يجبُ عليه (يعود الضمير على كلّ) نُصرته (يعود الضمير على حلف). وقد تقدّم في هذا التركيب مركّب الجرّ «عليه» على الفاعل «نُصرته»، وإن كان الضمير في مركّب الجرّ فاعلاً معنويّاً، ويُعتبر الفاعل نصرته فاعلاً نحويّاً، وجاء التركيب على نحو: يجبُ نُصرته الحلف. وكذلك: يجبُ (على) كلّ نُصرته الحلف. والسؤال هل نعلّل تقديم المركّب بالجرّ بالسعي إلى شحن الفاعل المعنويّ «كلّ» أساساً، لا سيّما

وأنَّ فاعليَّة نصره لا تتحقَّق لحالها، وإنَّما تحدث بفاعليَّة كلٍّ؟ وتقتضي الإجابة عن هذه الاستفهامات أن ننتبِّع استعمالات الفعل «يجب» تزامنياً في المدونات الحاسوبية لمعرفة أطراد تقدِّم المركَّب بالجرِّ على الفاعل النحويِّ؛ وللتأكَّد من تواتر مثل هذا التركيب.

ونعثر في معجم الدوحة التاريخيِّ على استعمالات زمنيَّة أربعة للفعل «وجب»، وهي على نحو:

وَجَبَ الْبَعِيرُ: بَرَكَ وَسَقَطَ.

وَجَبَ الشَّخْصُ: ماتَ.

وَجَبَ الْقَلْبُ: خَفَقَ وَاضْطَرَبَ مِنْ خَوْفٍ أَوْ غَيْرِهِ.

وَجَبَتْ الشَّمْسُ: غَابَتْ.

جاء الفعل «وجب» لازماً في الأمثلة الأربعة طبق البنية «فعل + فاعل». وتنوّعت طبيعة الفواعل، فهي تشمل الأشخاص والحيوان وعنصراً من الطبيعة. وجاء الفعل «وجب» تاماً/توزيعياً، بصيغة الماضي. تبدو هذه الملاحظة بديهيَّة؛ إلّا أنَّها مفيدة في استجلاء تطوُّر هذا الفعل دلاليّاً؛ إذ قد يطرد استعماله في زمن المستقبل في المدونة الحاسوبية التزامنيَّة. ويرد استعمال الفعل «وجب»، والمضارع منه «يجب» مصرفاً مع ضمير الغيبة المفرد لا غير. ولا نتمكَّن اعتماداً على هذه الشواهد الأربعة من الجزم بإمكانية تصريف الفعل من عدمه، بما أنَّها نزلت في سياق معجميٍّ ينزع إلى إيراد الفعل مصرفاً مع ضمير الغائب المفرد. ويتحقَّن علينا النظر تزامنياً في بعض المدونات الحاسوبية للتأكَّد من تصريف هذا الفعل في مختلف الأزمنة ومع كلِّ الضمائر، ولا سيَّما النظر في استمرار استعمال هذا الفعل فعلاً توزيعياً.

ولا تخرج معاني الفعل «وجب، يجب» في لسان العرب لـ«ابن منظور»^(١٢) عمّا وقفنا عليه في معجم الدوحة التاريخيِّ. فهو يعني «لَزِمَ» و«ثَبَّتَ». وإذا كان متعلّق فعل «وجب» اسماً جامداً فإنَّه يستعمل في هذه الحالة استعمالاً توزيعياً وفي صيغة الماضي من مثل:

- ١- وَجِبَتْ الْإِبِلُ (بمعنى لم تكد تقوم عن مباركها).
- ٢- وَجِبَ الحَائِطُ (بمعنى سقط أو وقع أو انهار).
- ٣- وَجِبَتْ الشَّمْسُ (بمعنى غربت).
- ٤- وَجِبَ الرُّعْبُ (بمعنى حلّ).
- ٥- وَجِبَتْ الصَّلَوَاتُ (بمعنى حان وقتها).
- ٦- وَجِبَ الْقَلْبُ (بمعنى خَفَقَ).
- ٧- مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ (بمعنى استحقّق الجنة).

يقترن الفعل «وجب» في هذه الأمثلة بأسماء محسوسة من مثل الإبل أو الحائط أو الشمس أو القلب ومجرّدة من مثل الرعب. وجاء فعلا لازما في هذه الأمثلة جميعها باستثناء المثال السابع الذي اقتضى مفعولا به غير مباشر مركبا بالجرّ «له».

وإذا جاء استعمال الفعل «وجب» في الأمثلة السابقة (١-٧) استعمالا توزيعيا تاما، فإنّ مفهوم الوجوب يكمن في معناه المعجمي وفي علاقة الموضوع بالمحمول في ما يتنزل فيه من تراكيب. فدلالة الموضوع تضمر وجوبا كامنا يقوى بالمحمول مثلهما نستنبطه في هذه الأمثلة. فالوجوب يستقي شحنته من الضرورة الدينيّة في قولنا «وجب الصلوات». ويتحقّق الوجوب ممّا يتضمّن الفاعل من إمكانية سرعة الحدوث، وذلك في قولنا «وجب الرعب» و«وجب الحائط». ويتحقّق الوجوب من حتمية كونية وذلك في قولنا «وجب الشمس». والسؤال هل اندثرت هذه المعاني الأصلية للفعل «وجب، يجب»؟ وهل سيختصّ هذا الفعل بمعنى الإلزام ويتجمّد في تحقيقه بالخصوصيات التركيبية والتصريفية والدلالية؟

نتبيّن إذن من بعض استعمالات معجمي الدوحة التاريخي ولسان العرب لابن منظور اختلافا في التركيب عند استعمال الفعل «يجب» في معنى الوجوب وعند استعماله في تحقيق دلالات السقوط والموت والغياب والخفقان. ولعلّ تحقيق سمة الوجوب تحوّل الفعل من فعل توزيعي إلى فعل جهي، وتجعله يتخيّر تركيبا مغايرا

لتركيب الفعل المستعمل استعمالاً توزيعياً؛ ونتحسّس هذه الظاهرة من الفرق بين البنيتين:

فعل + فاعل (وجب الشخص)

فعل + مفعول (م بالجرّ) + فاعل (يجب عليه نصرته)

ولا يكمن الفرق بين المثالين في طبيعة التركيب فحسب، وإنّما في ما يضمّره المركّب الإضافيّ «نصرته»، فهو يُخفي استعمال أن المصدرية على نحو «أن ينصره»، ومن ثمّ تنجم الأسئلة التالية: هل يقتضي مفهوم الوجوب استعمال «أن» المصدرية مثلما قد يتجلّى في الاستعمالات الحديثة لهذا الفعل؟ ولما كان الوجوب يحدث في المستقبل، فإنّ فعل الوجوب «يجب» يقترب «أن» لدلالاتها على المستقبل، مثلما يذهب إلى ذلك ابن هشام في مغني اللبيب. ولا نجزم بهذا الحكم، إلّا إذا نظرنا في كمّ هائل من الاستعمالات في المدونات الحاسوبية المختصة والعامة.

٤. المدونة «المختصة»

يؤثر المنهج والأهداف وطريقة التصنيف في طبيعة المدونة، وبذلك تختصّ مدونات بتحليل اللغة ووصفها، يصطلح عليها بالعامة، وتوظف أخرى في أغراض خاصة ويصطلح عليها بالمدونات المختصة التي تُعنى بمجال من مجالات اللغة المكتوبة أو المنطوقة مثل، لغة الطفل أو رجال المال والأعمال أو المصارف أو الصحة أو متعلّمي اللغة^(١٣). وهي تسعى إلى تحقيق هدف معيّن، لذا لا يُشترط أن تتسم بضخامة الحجم. وتهتمّ المدونة المختصة بهدف محدّد وواضح ممّا يجعلها سهلة الجمع والتصنيف والتحليل. وأعدنا لدراسة الفعل «وجب/ يجب» مدونة مختصة، ونعتناها بهذه التسمية لأنّها تضم نصوصاً قانونية تطرّد فيها أفعال الوجوب. وحرصنا على تتبّع مجالات صدرت عن السلطة التنفيذية، سواء كانت محلية أو عالمية. أمّا العالمية فقد نظرنا في «ميثاق الأمم المتحدة»^(١٤) و«النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية»^(١٥)، وأمّا المحلية فقد وقفنا فيها على «دستور الجمهورية التونسية»^(١٦) وعلى «قانون تأسيسيّ يتعلّق بالتنظيم المؤقت للسلط العمومية»^(١٧) وعلى «مشروع دستور دولة الخلافة»^(١٨). وتضمّ هذه المدونة المختصة ستّ مجالات قانونية متنوّعة الاختصاصات وهي مجلّة

الأحوال الشخصية^(١٩) والمجلة الجنائية^(٢٠) ومجلة الإجراءات الجزائية^(٢١) ومجلة الشغل^(٢٢) والمجلة التجارية^(٢٣) ومجلة المرافعات المدنية والتجارية^(٢٤). وألحقنا بهذه المجالات مجموعة من النصوص المنظمة للعلاقات بين المسوّغين والمتسوّغين^(٢٥)، ومجموعة من النصوص المتعلقة بالرصيد العقاري للأجانب وعقارات الأجانب، وكذلك النصوص القانونية الصادرة بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية^(٢٦). وأدرجنا في هذه المدونة المختصة أشكالاً من العقود، مثل «عقد البيع» و«عقد بيع عقار مسجل» و«عقد تسويق محل سكني» و«عقد تأمين»^(٢٧) و«عقد مقاول» و«عقد إجارة على الصنع»؛ وأدرجنا أيضاً نماذج من القرارات، مثل «قرار الترخيص بالبناء» و«قرار هدم منزل» ونماذج من «محضر الإعلام والإنذار بالدفع» و«التنبيه» و«العقل» و«الدعوى والتنفيذ» و«عرائض في الأمر بالدفع» و«الأحكام المدنية الصادرة عن المحاكم». ولما كنّا نتبّع في هذه المدونة نشاطات الحياة اليومية، فقد أدرجنا الشروط العامة لفتح «حساب مصرفي» واستخراج «جواز سفر» وإتمام «عقد قران». وبذلك تضمّ هذه المدونة المختصة ثلاثين وثيقة، يبلغ مجموع عدد صفحاتها ١٦٠٥ صفحة، ويبلغ عدد كلماتها ٤٠١٢٥ كلمة. وستتبع ما تتضمنه من أفعال الوجوب. ويكشف النظر في المدونة المختصة عن أطراف أفعال الوجوب مقارنة بأفعال الإمكان والاحتمال والمنع بدليل ما يعرضه الجدول التالي من فروق التواتر بين أصناف هذه الأفعال.

تواتر أفعال الوجوب		تواتر أفعال الإمكان		تواتر أفعال المنع	
التواتر	الفعل	التواتر	الفعل	التواتر	الفعل
٤٢١	وجب/ يجب	٣	لا يُمنع	١٦	يُمنع
٥٣	لا يمكن	٧٢ ١	يمكن أمكن	٢١	يُحجّر
٤٤	لا يجوز	٦٣ ٨	يجوز جاز		
١٨ ٧ ١	يلتزم لزم/ يلزم استلزم	٢	يستطيع/ تستطيع		

				١٧	ينبغي
				١٢	يتعين
				١٢	يتحتم
				٦	يقضي
				٦	يشترط
				٦	يتعهد
				١	لا يحق
٣٧	مجمّل التواتر	١٤٩	مجمّل التواتر	٦٠٤	مجمّل التواتر
٧٩٠					مجمّل التواتر

نلاحظ من الجدول السابق أنّ أفعال الوجوب تطرّد أكثر من أفعال الإمكان والمنع. فهي تمثّل نسبة ٧٦,٤٥٪ من مجمل تواتر أصناف هذه الأفعال في المدونة المختصة. ونعلّل هذه الظاهرة بأنّ النصوص القانونية تلزم المتلقّي بتطبيق قانون ما أو إنجاز أمر ما، ممّا يجعل أفعال الاحتمال تختفي وأفعال المنع يقلّ استعمالها.

ويثبت تواتر أفعال الوجوب في مدونة نصوصها قانونيّة أنّ الفعل «يجب» يطرّد استعماله ٤٢١ مرّة وذلك بنسبة ٦٩,٧٪ من إجماليّ استعمال أفعال الوجوب. ومن ثمّ نتساءل عن دواعي اطّراد هذا الفعل في النصوص القانونية مقارنة بقيّة أفعال الوجوب. ولعلّنا نستقي الإجابة من تتبّع معاني هذا الفعل في قواميس اللغة وفي أشكال استعماله في المدونات اللسانية.

ونلاحظ أنّ فعليّ «لا يمكن» و«لا يجوز» المنفيّين يليان الفعل «وجب، يجب» في نسبة التواتر. ويثيران التساؤل لأئمها فعلاً إمكان لحقهما النفي. فهل تنزع النصوص القانونية إلى توظيفهما لتحقيق درجة مخففة من الإلزام مغايرة لدرجة الحسم التي يفيدها الفعل «يجب»؟ وهل يرجع ارتفاع تواتر الأفعال «وجب، يجب» و«لا يمكن» و«لا يجوز» إلى ما تفيدته دلالاتها من معان عدّة تجعلها تتداول أكثر من أفعال الوجوب الأخرى؟ وتقتضي الإجابة عن هذين الاستفهامين تتبّع أشكال استعمال هذه الأفعال، وهذا ما يدعوننا إلى إحصاء بُنى التراكيب.

ولا تقتصر في تحليل مفهوم الوجوب على درجة تواتر الفعل في المدونة الحاسوبية، وإنما ننظر إلى ما يعلق به فعل الوجوب من فواعل ومفاعيل. وفي هذه الحالة ننظر إلى مدى انعكاس طبيعة الفواعل على نسب التواتر. ولا يقتصر عملنا على الإحصاء المعجمي لأشكال الوجوب في مدونة قانونية والكشف عن عناصرها فحسب، وإنما نسعى إلى تتبع تراكيبها ومدى اقترانها بأن. ونروم من ذلك استخلاص السمات التركيبية والدلالية لأفعال الوجوب ومدى إسهام التراكيب في تحديد خصوصياتها ودرجات تحقيقها سمة الإلزام.

ونتبين من الإحصاء اللغوي لاستعمالات الفعل «يجب» أن هذا الفعل يوظف في صيغة المضارع أساساً. وإن تواتر عشر مرات في صيغة الماضي الدال على المستقبل فلائته تنزل في تركيب شرطي. ولا يُصَرَّف الفعل «يجب» إذ يقتصر استعماله على ضمير الغائب المفرد سواء في صيغة المضارع أو الماضي. وتكشف لنا مدونة البحث عن تصريف الفعل «وجب» مع ضمير الغائب المفرد المؤنث طبق تركيبين هما:

فعل الشرط + جواب الشرط الذي يرد على نحو: وجبت + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة.

ومثال ذلك «مَنْ تَكْفَلْ بَلْقِيطٍ وَاسْتَأْذَنْ مِنَ الْحَاكِمِ وَجَبَتْ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ إِلَى أَنْ يَصِيرَ قَادِرًا عَلَى التَّكْسِبِ مَا لَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ اللَّقِيطِ مَالٌ» (مجلة الأحوال الشخصية). ولا يخرج هذا التركيب عن تراكيب الفعل «يجب» إذ يتقدّم المركّب بالجرّ على الفاعل النحوي لينصّ على الفاعل الحقيقي.

ونخلص من جدول أفعال الوجوب إلى أن مفهوم الإمكان يتحقّق أساساً باستعمال الفعل «يُمكن». فقد يطرد في مدونة النصوص القانونية أربعاً وسبعين مرة. ويقترن الفاعل بأن في ٥٠ مرة من مجمل ٧٤ مرة. وإذا عرفنا أن المركّب بالإضافة صيغ من «أن» المصدرية المقترنة بالفعل، عرفنا أن فاعل الفعل «يمكن» يقترن بأن في ٦١ حالة من تواتر ٧٤ استعمال. ومثال ذلك: «لَيْسَ فِي هَذَا الْمِثَاقِ مَا يَمْنَعُ أَعْضَاءَ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ مِنْ أَنْ يَعْهَدُوا بِحَلٍّ مَا يَنْشَأُ بَيْنَهُمْ مِنْ خِلَافٍ إِلَى مُحَاكَمَةِ أُخْرَى بِمُقْتَضَى اتِّفَاقَاتٍ قَائِمَةٍ مِنْ قَبْلِ أَوْ يُمْكِنُ أَنْ تُعْقَدَ بَيْنَهُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ».

ونتبين من هذا المثال أن فعل الإمكان (يمكن) يقترن فاعله بـ«أن» على نحو «أن

تُعَقَّدَ بَيْنَهُم فِي الْمُسْتَقْبَلِ». ويحيي الفاعل مركباً بالموصل الحرفي، ويخرج فاعل الفعل «يمكن» عن مركب الموصول الحرفي في ١١ حالة. وتنحو أفعال المنع المنحى ذاته ومثال ذلك: «يُمنعُ عَلَيْهِ لِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ أَنْ يَسُوغَ الْمَحَلَّ لِلغَيْرِ». وجاء فاعل الفعل «يُمنعُ» مركباً بالموصل الحرفي «أَنْ يَسُوغَ الْمَحَلَّ لِلغَيْرِ». وقد فصل في هذا المثال بين الفعل «يُمنعُ» والفاعل بمركب بالجر «عَلَيْهِ لِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ». وتنزع بقية أفعال الوجوب النزعة ذاتها وأمثلة ذلك:

المثال الأول: «يَتَحَتَّمُ أَنْ تَكُونَ كُلُّ عَمَلِيَّةٍ ذَاتِ مَبْلَغٍ أَذْنَاهُ خَمْسَةُ دنانير».

المثال الثاني: «يُحِبُّ أَنْ تَتَضَمَّنَ تِلْكَ اللَّائِحَةُ النَّصَّ عَلَى دَعْوَتِهِ لِلاِجْتِمَاعِ بِنَاءً عَلَى طَلَبٍ يُقَدِّمُ مِنْ أَعْلَى أَعْضَائِهِ».

المثال الثالث: «يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَأْلِيفُ الْهَيْئَةِ فِي جَمَلَتِهَا كَفَيْلاً يَتَمَثَّلُ الْمَدْنِيَّاتِ الْكُبْرَى»
المثال الرابع: «يُحَجَّرُ تَغْرِيبُ الْمَوَاطِنِ عَنْ تَرَابِ الْوَطَنِ».

وإذا كنّا قد سقنا أمثلة أربعة لأفعال المنع والإمكان والوجوب، فإنّا لا نجزم باقتران فواعلها بأن ما لم ننظر في الاستعمالات اللغوية جميعها في المدونات الحاسوبية العامة. ويتولّد سؤال آخر هل يكون الفعل وجب فعلاً جهياً إذا لم يقترن فاعله بـ«أن»، وإن اقترن بأن فهل نعتبر «أن» مؤشراً على أنه فعل جهي؟ أ لا يقترن فاعل بعض الأفعال بـ«أن» دون أن يكون فعلاً جهياً؟

هـ. تراكيب الفعل «يجب»

لما كنّا ننتهج في بحثنا منهجاً تركيبياً دلاليّاً، فقد أحصينا أشكال التراكيب للفعل «وَجَبَ، يَجِبُ»، وضبطناها مشفوعة بنسب التواتر وأنموذج من أوجه الاستعمال. وقد ربّناها حسب نسبة تواتر تراكيب هذين الفعلين. ونقف في المدونة المختصة على تسعة تراكيب يتصدّر فيها الفعل «يجبُ» الجملة وسبعة تراكيب يُسبق فيها بمركب للجرّ مع تنوّع في تراكيب فاعل هذا الفعل. ويرد الفعل «وَجَبَ، يَجِبُ» صلة للموصول وخبراً للمبتدأ أو الناسخ وجواباً للشرط.

١,٥. استعمال فاعل الفعل «يجب» مركباً بالموصول الحرفي

يتواتر الفعل «يجب» ١٥٧ مرة طبق التركيب «يجب + مركب بالموصول الحرفي». ويطرّد في النصّ القانوني ١٥٧ مرة من مجموع ٣١٤ تواتراً للأشكال التركيبية التي يتصدّر فيها هذا الفعل الجملة وذلك بنسبة ٥٠٪. ونعلّل أطراد هذا التركيب بأمرين: أوّلها أنّ الفعل «يجب» يقتزن بفاعله مباشرة إذ يحصل بينهما تضام، وثانيهما أنّ الفعل «يجب» ينزع إلى شحن المركّب الإسناديّ بأكمله. ولما كان الإلزام يدعو إلى إنجاز ما يصدر عن المتكلّم من قول، فإنّ المركّب الإسناديّ الفعليّ يقتزن بأنّ المعبّرة عن المستقبل. ونخلص إلى أنّ اللغة العربيّة تنزع إلى توظيف هذا الشكل التركيبيّ بدليل أنّه جاء أكثر تواتراً من بقيّة التراكيب.

٢,٥. أوجه استعمال الفعل «يجب» وقد فصلّ بينه وبين فاعله المركّب بالموصول الحرفي بمركّب بالجرّ

نتبيّن أنّ المركّب بالجرّ يفصل بين الفعل «يجب» وبين فاعله المركّب بالموصول الحرفي بمعدّل ٩٣ مرة. وجاءت نسبة أطراد هذا التركيب في المرتبة الثانية من تواتر تراكيب فعل «يجب» في هذه المدوّنة المختصّة. ويمكن أن نخترل المركّب بالجرّ ونورده فاعلاً لفعل المركّب بالموصول الحرفي. فيكون على نحو: يجب على كُتّاب المحاكم أن يرُسّموا بدقّتٍ خاصّ أسماء جميع الأشخاص المحكوم عليهم في الجنايات أو الجنح^(٢٨).

وتكون هذه الجملة في حال اختزال المركّب بالجرّ على نحو:

يجب أن يرُسّموا (على كُتّاب المحاكم) بدقّتٍ خاصّ أسماء جميع الأشخاص المحكوم عليهم في الجنايات أو الجنح.

وتحوّل هذه الجملة على نحو:

يجب + أن يرُسّم كُتّاب المحاكم بدقّتٍ خاصّ أسماء جميع الأشخاص المحكوم عليهم في الجنايات أو الجنح.

ويتقدّم المركّب بالجرّ (على كُتّاب المحاكم) على المركّب بالموصول الحرفي ليُشحن

بالوجوب ولأنّ المركّب بالموصول الحرفيّ (أنّ يَرُسَمُوا بِدَفْتَرٍ خَاصٍّ أَسمَاءَ جَمِيعِ
الأَشْخاصِ المَحْكُومِ عَلَيْهِم في الجَنائاتِ والجُنُح) يتبع عمل كِتَابِ المَحَاكِم. فإذا
شحنّا المركّب بالجَرِّ على «كِتَابِ المَحَاكِم» فإنّنا نكون قد شحنّا بصورة مضمرة المركّب
بالموصول الحرفيّ. وجاء شحن المركّب بالموصول الحرفيّ بسمّة الوجوب لأنّه يمثل
الفاعل النحويّ. فكِتَابِ المَحَاكِم فواعل وما الرسم بالدفاتر إلّا ناتج عن عملهم.

ويتكوّن المركّب بالجَرِّ (على كِتَابِ المَحَاكِم) من حرف الجرّ (على) ومن مركّب
بالإضافة مكوّن من مضاف (كِتَاب) ومضاف إليه (المَحَاكِم). ولما جاء المركّب بالجَرِّ
قصيراً ومكوّنًا من ثلاث كلمات فإنّ شحنة الوجوب لفعل «يجب» تؤثر أيضاً في
المركّب بالموصول الحرفيّ. لذا فهي تسم الفاعل الحقيقيّ بدرجة أولى لتتعدّى بعده
إلى ما يحدث عنه.

والحاصل أنّ المركّب بالموصول الحرفيّ جاء فاعلاً للفعل «يجب». فقد اقترن
مباشرة بهذا الفعل في ١٥٧ مرّة في تركيب «يجب + مركّب بالموصول الحرفيّ». و
وانفصل الفعل «يجب» عن فاعله المركّب بالموصول الحرفيّ بمركّب للجَرِّ في ٩٣
مرّة. ونتبيّن بذلك أنّ نسبة تواتر الشكّلين التركيبين الأوّل والثاني تبلغ ٥٩٣٨٪ من
مجموع أشكال الاستعمال. وستكون الهوة كبيرة في نسب التواتر بين هذين التركيبين
وما يلحق بهما من تراكيب. فالشكل التركيبيّ الثالث يطرد ستاً وثلاثين مرّة، ثمّ
تراوح أشكال التراكيب الأخرى بين ١٤ و ٨ و ٣ مرّات.

٣,٥. استعمال الفعل «يجب» فاعله مركّب بالإضافة

لا يخرج الشكل التركيبيّ الثالث «يجب + مركّب بالإضافة» عن التركيبين الأوّل
والثاني:

يجب + مركّب بالموصول الحرفيّ.

يجب + مركّب بالجَرِّ + مركّب بالموصول الحرفيّ.

لأنّ «أن» في التركيبين الأوّل والثاني مصدرية بمعنى أنّها تتحوّل وفعلها إلى
مصدر، بدليل أنّ جملة «يجبُ تَبْسِيطُ الإِجْرَاءِ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ أَعْبَاءِ التَّطْبِيقِ» (يجب +
مركّب إضافي) تصاغ أيضاً على نحو «يجبُ أَنْ يُبَسِّطَ الإِجْرَاءُ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ أَعْبَاءِ
التَّطْبِيقِ».

وضَعُف تواتر فاعل «يجب» في صيغة مركّب بالإضافة (٣٦ مرّة) مقارنة بالمركّب بالموصول الحرفيّ (١٥٨ مرّة) لأنّ اللغة العربيّة تنزع إلى استعمال التركيبين الأوّل والثاني، ونعلّل ذلك بأنّ المركّب بالإضافة يسم الفعل بسمة الإطلاق، ولعلّه يخفّف من شحن المتكلّم الفاعل بالوجوب الذي يتصوّر إنجازَه في وقت قريب نسبياً. وفرق بين «يجبُ تشغيلُ العاطلينَ عَنِ الْعَمَلِ» وبين «يجبُ أَنْ تُشغَلَ العاطلينَ عَنِ الْعَمَلِ»، لأنّ الفاعليّة المضمرة في فعل «تشغّل» مع إصدار القول إلى ضمير معيّن سواء المخاطب أو الغائب يُحدث دافعيّة لإنجاز الفعل في مستقبل قريب. وإذا نزلنا الشكل التركيبي «يجب + مركّب بالإضافة» في سياقات استعماله فإنّنا نبيّن أنّه يندرج في صوغ الشروط العامّة، سواء ما جاء في الرائد الرسميّ أو عقد التسويغ أو مجلّة الشغل. فالاستعمال الوارد مثلاً في مجلّة الشغل ورد تحت الشروط العامّة لتشغيل العملة الفلاحين. وما يضمّره المركّب بالإضافة من سمة الإطلاق يلائم توظيف الفعل «يجب» مثلما يدلّ عليه المثال التالي:

يجبُ إعلامُ كلِّ عاملٍ بمُجرّد انتدابهِ بأنّه سيَقَعُ استِخدامُهُ بِصِفَةِ قارّةٍ أو مَوْسِمِيّةٍ أو طارِئَةٍ.

ولمّا كان إلزام الفلاحين مستمراً لفترة ما فإنّ المركّب الإضافيّ العالق بالفعل «يجب» يحقّق غرض المتكلّم. وكذا الأمر في الأمثلة الواردة في ملحقات الدستور والرائد الرسميّ للجمهورية التونسيّة وعقد التسويغ من مثل استعمال «يجب» على نحو «يجبُ على المتسوّغ إصلاحُ الأضرارِ على نَفَقَتِهِ الخاصّة». وينطبق إصلاح الأضرار على كلّ المتسوّغين وفي زمن مستمرّ. لذا فإنّ المركّب بالإضافة يضيفي سمة الإطلاق.

٤.٥. الفصل بالمركّب بالجرّ بين الفعل «يجب» وفاعله الذي جاء مركّباً

بالإضافة

يفصل المركّب بالجرّ بين الفعل «يجب» وفاعله المركّب بالإضافة في أربعة عشر استعمال لغويّ. وجاء المركّب بالجرّ فاعلاً معنوياً للفعل «يجب» بدليل أنّه ينصّ في أكثر الاستعمالات على الشخص الفاعل من مثل «على المالك» و«على المتسوّغ» و«على التعاونيّة» و«مستغلّ الطائرة». ويكون المركّب بالجرّ الفاعل الحقيقيّ في جملة

«يَجِبُ عَلَى الْمَتَسَوِّغِ إِصْلَاحُ الْأَضْرَارِ عَلَى نَفَقَتِهِ الْخَاصَّةِ»؛ ويصبح بذلك فعل الفاعل (المركب بالإضافة) مفعولاً به. ويكون أصل الجملة على هذا النحو: الْمَتَسَوِّغُ يُصْلِحُ الْأَضْرَارَ عَلَى نَفَقَتِهِ الْخَاصَّةِ. وتشحن الجملة بالفعل «يجب» لتصبح على نحو «يَجِبُ عَلَى الْمَتَسَوِّغِ إِصْلَاحُ الْأَضْرَارِ عَلَى نَفَقَتِهِ الْخَاصَّةِ»؛ ثم إن توظيف المركب بالإضافة فاعلاً يسم الجملة بسمة الإطلاق والعمومية، وهو ما يناسب المحتوى القضوي لهذه الجملة، إذ الوجوب يلزم كل متسوغ ولا يخص أحداً بذاته.

٥.٥. استعمال فاعل الفعل «يجب» مركباً شبه إسنادي

يستعمل فاعل الفعل «يجب» مركباً شبه إسنادي من مثل «يَجِبُ تَوْجِيهُ هَذَا الْإِعْلَامِ خِلَالَ ٤٨ سَاعَةٍ مِنْ تَارِيخِ إِجْرَاءِ الْعُقْلَةِ التَّحْفُظِيَّةِ عَلَى الصُّنْدُوقِ الْحَدِيدِيِّ». ويرد فاعل الفعل «يجب» مركباً شبه إسنادي في ثماني حالات. جاء رأس المركب مصدراً من مثل «الإبقاء» و«الترفع» و«القيام» و«التوقيع» و«التوجيه». وتتسم هذه المصادر بسمة الإطلاق الذي يناسب استمرارية المحتوى القضوي لهذه التراكيب. فجملة «يَجِبُ تَوْجِيهُ هَذَا الْإِعْلَامِ خِلَالَ أَجَلٍ ٤٨ سَاعَةٍ مِنْ تَارِيخِ إِجْرَاءِ الْعُقْلَةِ التَّحْفُظِيَّةِ عَلَى الصُّنْدُوقِ الْحَدِيدِيِّ» تجعل عملية توجيه الإعلام مستمرة ومتكررة. لذا لا يشترط فاعل الفعل «يجب» تقييداً زمنياً مما يجعل المصدر في المركب شبه الإسنادي مناسباً لتحقيق المحتوى القضوي. ويماثل «المركب شبه الإسنادي» المركب بالإضافة «الوارد فاعلاً في سمة الإطلاق. وبذلك يبلغ تواتر هذين التركيبين ٤٣ تركيباً، إضافة إلى تركيب «يجب + مركب بالجر + مركب بالإضافة». وبذلك يصبح مجمل التراكيب ٥٣ تركيباً.

٦.٥. الفصل بمركب بالجر بين الفعل «يجب» وفاعله المركب شبه

الإسنادي

يفصل المركب بالجر بين الفعل «يجب» وفاعله المركب شبه الإسنادي على نحو «يجب + مركب بالجر + مركب شبه إسنادي». ومثال ذلك: «يَجِبُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ التَّنْبِيهُ عَلَى الْمَكْتَرِيِّ بِمَكْتُوبٍ مَضمونٍ مع الإعلام بالوصول شهرين قبل الإبّان على الأقل».

وفُصل بين الفعل «يجب» وفاعله المركّب شبه الإسناديّ بمركّب الجرّ في ثلاث حالات. وجاء المركّب بالجرّ الفاعل الحقيقيّ. ففي المثال «يجبُ عليهم (الأبناءُ المدرّجين بهذا الجواز) حينئذِ الحصولُ على جوازاتِ سفرٍ شَخْصِيَّةٍ». يكون ضمير الغائب الجمع «هم» الفاعل الحقيقيّ بدل المركّب شبه الإسناديّ «الحصولُ على جَوَازاتِ سَفَرٍ شَخْصِيَّةٍ». فهذا المركّب فاعل نحويّ ومفعول به معنويّ. وبذلك يبلغ عدد التراكيب المعبرة عن سمة الإطلاق ٥٦ تركيباً.

٧,٥. استعمال الفعل «تجب»

يستعمل الفعل «تجب» وقد فصل المركّب بالجرّ بين الفعل وفاعله المركّب بالإضافة من مثل «تَجِبُ عَلَيْهِ حِمَايَةُ الْمُتَدَرِّبِ مِنْ سُوءِ مُعَامَلَةٍ زُمَلَائِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَشْخَاصِ». ونلاحظ أنّ ضمير الغائب المفرد في مركّب «عليه» هو الفاعل الحقيقيّ، أمّا المركّب بالإضافة فهو فاعل نحويّ لا غير. وسقنا هذا المثال لأنّ الفعل صرّف مع ضمير المؤنث الغائب. ووقع تقديم المركّب بالجرّ «عليه» لشحنه بسمة الوجوب لا سيما وأنّ مدلول المركّب الإضافيّ الواقع فاعلاً يتّسم بالإطلاق. وقد انطبق الأمر على استعمال الفعل «يجب» الذي فصل فاعله المركّب بالإضافة بمركّب بالجرّ.

ونقف في مجموع المدونة القانونية على استعمال الفعل «تجب» في هذه الحالة وكذلك في حالة ثانيّة يكون فيها الفاعل لفظاً مفرداً من مثل «تَجِبُ عَلَيْهِ الْمَصَارِيفُ وَالْأَجُورُ الْمُسَعَّرَةُ». وفي حالة ثالثة يرد الفعل «تجب» في فعل شرط وفاعل فعل الوجوب مركّب بالإضافة من مثل «تَبْقَى الْبِنْتُ مُسْتَحِقَّةً لِلنَّفَقَةِ إِذَا لَمْ يَتَوَفَّرْ لَهَا الْكَسْبُ أَوْ لَمْ تَجِبْ نَفَقَتُهَا عَلَى زَوْجِهَا».

وننتيّن، ممّا استعرضنا من تراكيب سابقة، أنّ أشكال التراكيب التي يتصدّر فيها الفعل «يجب» الجملة تبلغ ٣١٤ استعمال لغويّ من مجموع ٤٢١ استعمال لفعل «يجب» وذلك بنسبة ٧٤,٥٨٪ من مجمل استعمالات هذا الفعل. ويلخص الجدول التالي أشكال التراكيب التي يتصدّر فيها الفعل «يجب» الجملة.

الترتبة	التركيب	التواتر
١	يجب + مركّب بالموصول الحرفيّ	١٥٧ مرّة
٢	يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالموصول الحرفيّ	٩٣ مرّة
٣	يجب + مركّب بالإضافة	٣٦ مرّة
٤	يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة	١٤ مرّة
٥	يجب + مركّب شبه إسناديّ	٨ مرّات
٦	يجب + مركّب بالجرّ + مركّب شبه إسناديّ	٣ مرّات
٧	يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة	مرّة
٨ تجب	تجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة	مرّة
٩	تجب + مركّب بالجرّ + لفظ مفرد	مرّة
مجموع التواتر		٣١٤

نلاحظ من تواتر تراكييب هذا الجدول أنّ الفعل «يجب» يعلّق بفاعله مباشرة في تراكييب ثلاثة فحسب وهي:

يجب + مركّب بالموصول الحرفيّ ١٥٧ مرّة.

يجب + مركّب بالإضافة ٣٦ مرّة.

يجب + مركّب شبه إسناديّ ٨ مرّات.

وتتواتر هذه التراكييب الثلاثة في ٢٠١ حالة، في حين أنّ الفصل بمركّب بالجرّ بين الفعل «يجب» والفاعل مركّباً بالموصول الحرفيّ أو مركّباً بالإضافة أو مركّباً شبه إسناديّ يتحقّق في ١١٣ حالة وفي ستّة أشكال تركيبية هي:

يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالموصول الحرفي ٩٣ مرّة.
 يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة ١٤ مرّة.
 يجب + مركّب بالجرّ + مركّب شبه إسناديّ ٣ مرّات.
 يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة مرّة.
 تجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة مرّة.
 تجب + مركّب بالجرّ + لفظ مفرد مرّة.

ولعلّ نزعة النصّ القانونيّ إلى الحسم جعلت الفعل «يجب» يتصدّر أشكال تراكيب الجدول السابق. ثمّ إنّ سعي المتكلّم إلى شحن القانون بأكمله حمله على بدء الجملة بالفعل «يجب». ونلاحظ من تواتر نسب أشكال التراكيب للفعل «يجب» أنّ التركيب الأساسيّ جاء على نحو:

يجب + أن + مركّب بالموصول الحرفي.

وقد تواتر هذا التركيب ١٥٧ مرّة. ولما كانت أشكال الاستعمال الأخرى مركّبات بالإضافة المضاف فيها مصدر ومركّبات شبه إسناديّة المشتقّ فيها مصدر فإنّها تتفرّع عن التركيب الأساسيّ، وليست إلاّ تنويعات للتعبير عن سمة الإطلاق الذي يحقّقه المصدر.

ونخلص من الجدول السابق إلى أطّراد فعل «يجب» في مدوّنة النصوص القانونية بنسبة ٧٤,٨٢٪ من إجماليّ استعمال تواتر أفعال الوجوب وبمعدّل ٣١٤ استعمال لغويّ. لكن، إذا أمعنا النظر في طبيعة استعمال هذا الفعل، فإنّنا نتيّن غيابه في معظم العقود. ونخلص من الاستعمالات السابقة إلى أنّ فاعل الفعل «يجب» يطّرد مركّبا بالإضافة مقارنة بوروده مركّبا شبه إسناديّ. فالمركّب بالإضافة يبلغ تواتره ستّا وثلاثين تركيبا على نحو: يجب + مركّب بالإضافة. وفي المقابل يبلغ تواتر الفاعل مركّبا شبه إسناديّ سبع عشرة مرّة. ونعلّل هذا التفاوت بأنّ المركّب بالإضافة يتّسم حدّثه بالإطلاق، بينما تظلّ فاعليّة نسبيّة في المركّب شبه الإسناديّ.

٨,٥. استعمال الفعل «يجب» في وسط الجملة

يرد فعل «يجب» في وسط الجملة في ٩٩ استعمالاً لغوياً من مجموع ٤٢١ استعمالاً لفعل «وجب، يجب» وذلك بنسبة ٢٣,٥١ ٪. ونعْلَل هذه الظاهرة بأن المتكلم يشحن جزءاً من الجملة بالوجوب بدليل أن استعمال الفعل «يجب» جاء صلة الموصول «أو جواب شرط» أو «خبراً لمبتدأ أو ناسخ». ثم إن فعل الشرط أو المبتدأ في مثل هذه الجمل يمثل افتراضاً عاماً وبذلك لا يحتاج إلى التزام. وهو يسبب نتيجة يعتمد المتكلم على شحنها بالوجوب.

إن صلة الموصول تمثل جزءاً متمماً يلحق بالجملة الأساسية، لذا يعتمد المتكلم في هذه الحالة على شحن صلة الموصول لا غير. وبذلك يستعمل فعل «يجب» في وسط الجملة. وإذا تصدر فعل «يجب» الجملة في مثل هذا النوع من الجمل فإن الوجوب قد يخفت بالنسبة إلى صلة الموصول. والشحن المتولد عن أفعال الوجوب أساسي لخبر المبتدأ القابل للشك من المستقبل، أمّا المبتدأ فيرد معرفة وهو معلوم و يقيني مبدئياً من المتكلم في حين أن ما يُخبر عنه يكون محلّ تسأل من المتلقي مما يحتم إلزامه إذا قصد المتكلم ذلك.

٩,٥. استعمال الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالجر ومتبوعاً بمركب

بالجر

تتضمن المدونة المختصة ثمانية استعمالات للفعل يجب وسط الجملة على نحو:

«مركب بالجر + يجب + مركب بالجر + مركب بالموصول الحرّفي».

يُخبر المركب بالجر المتصدر الجملة عن حالة يولّد حدوثها الأمر بالإلزام. وهذا ما يعلّل تصدر المركب بالجر الجملة وسبقه في الرتبة الفعل «يجب»، مثلما هو الحال في جملة «في حالة ضياع هذا الجواز أو تلفه يجب على صاحبه أن يُعلم بذلك فوراً السلطة الإدارية أو أقرب بعثة دبلوماسية تونسية»^(٢٩).

يتأتى الإلزام عند ضياع جواز السفر وهو ما يفسّر تصدر المركب بالجر الجملة. ثم إن مضمون المركب بالجر لا يستلزم الإلزام. فكيف نوجب ضياع جواز السفر؟ أمّا ما يترتب عن هذا الضياع فيقتضي أن يُشحن بالإلزام.

١٠,٥. استعمال الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالجر ومتبوعاً بمركب

بالموصول الحرفي

يستعمل الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالجر ومتبوعاً بمركب بالموصول الحرفي من مثل «بالنسبة للطُروِد التي تحوي موادَّ مُشعَّةً يجب أن توظَّب بحيث تَسْتَجِيبُ لمقتَضياتِ الفصلِ بين البضائع الواردة بالفصل ٤٧ من هذا الأمر».

ونعثر في هذه المدونة المختصة على خمسة استعمالات للفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالجر ومتبوعاً بمركب بالموصول الحرفي. ونتبين أن هذه المركبات بالجر تُضمّر معنى شرطياً. فهي تماثل وظيفة فعل الشرط. وقد جاءت في معظمها على صيغتي «في هذه الحالة» و «في صورة...». ونستقي مفهوم الشرط من هذه الاستعمالات على نحو:

في صورة المحاكمة يجب أن يكون العقاب المحكوم به من محكمة الدولة الطالبة عقاباً سالباً للحرية مساوياً أو يزيد على شهرين.

وأصل الجملة: إن حوكم (بدل عبارة: في صورة المحاكمة) يجب أن يكون العقاب.....

وكذا الأمر لجملة: «في صورة وفاة يجب أن يُعلم الوريث التعاونية في أقرب الآجال باسمه».

فهي جملة شرطية على نحو: إن تُوفي يجب أن يُعلم الوريث التعاونية في أقرب الآجال باسمه.

ويتّضح من هذين المثالين أن مضمون المركب بالجر يفيد الشرط وهو بذلك يحقق افتراضاً، إن حدث، تستلزم نتيجة حدوثه الإلزام بفعل أمر ما. وهذا ما يفسر تصدّر المركب بالجر الأمثلة الواردة في المدونة المختصة، ويعلّل أيضاً رتبة الفعل «يجب» في وسط الجملة. فالشحن بالوجوب يقتضيه القسم الثاني من الجملة في حين أن الافتراض المعبر عنه بالمركب بالجر لا يستلزم الشحن بالوجوب. ونتبين أن مثل هذا التركيب عدل مدلول الفعل «يجب»، فالمركب بالجر أكسب الفعل مفهوم الشرط. وبذلك أفاد الفعل «يجب» معنى الفعل «يشرط» بدل تحقيق الوجوب القاطع. فجملة: «في صورة المحاكمة يجب أن يكون العقاب المحكوم به من محكمة الدولة

الطالبة عقاباً سالباً للحرية مساوياً أو يزيد على شهرين» تستبدل على نحو: إن حوكم فيُشترط أن يكون العقاب المحكوم به من محكمة الدولة الطالبة عقاباً سالباً للحرية مساوياً أو يزيد على شهرين. وكذا الحال في المثال الثاني ففعله «يجب» يفيد الشرط، والمثال: في صورة وفاة، يجب أن يُعلم الوريث التعاونية في أقرب الآجال باسمه. ويحوّل هذا المثال على نحو: إن توفي فإنه يُشترط أن يُعلم الوريث التعاونية في أقرب الآجال باسمه.

١١,٥. استعمال الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالجر ومتبوعاً بمركب

بالجر ومركب بالإضافة.

يُستعمل الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالجر ومتبوعاً بمركبي بالجر بالإضافة من مثل «في صورة حدوث طارئ أثناء الطيران يجب على الطيار قائد الطائرة، حالما تسمح الوضع بذلك إعلام مصالح خدمات الحركة الجوية بوجود بضائع خطيرة على متن الطائرة».

يعرض هذا المثال استعمال الفعل «يجب» بين مركبي جرّ، وقد يفصل المركب بالجر الثاني بين الفعل وفاعله المركب بالإضافة. ويضمّر المركب بالجر المتصدر الجملة مفهوم الشرط المبني على الافتراض. ويعني المركب بالجر الثاني بتحديد الطرف المعني. وبعد ذلك يجيء الفاعل مركباً بالإضافة وفي مرتبة ثالثة ليخبر بأمر ما. وبالنظر معنوياً إلى الجملة يتضح أن المركب بالجر الثاني هو الفاعل الحقيقي وما المركب بالإضافة إلاّ فاعلاً نحوياً. ونستدلّ على هذا التأويل بتحليل المثال السابق الذكر، إذ جاء المركب بالجر في المثال السابق على نحو: في صورة حدوث طارئ أثناء الطيران.

ويمكن أن نستبدل به فعل شرط يسوق افتراضاً ما وذلك بقولنا: إن حدث طارئ أثناء الطيران.

أمّا المركب بالجر الثاني فيشير إلى شخص ما، وهو الطيار قائد الطائرة. وهو الفاعل الفعلي الذي يأمر بوجود إعلام مصالح خدمات الحركة الجوية بوجود بضائع خطيرة على متن الطائرة. فالفعل النحوي «إعلام مصالح خدمات الحركة الجوية» قاصر عن إنجاز ما يسعى فعل الوجوب إلى تحقيقه.

١٢,٥. استعمال الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالجر ومتبوعاً بمركب

بالإضافة

يرد الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالجر ومتبوعاً بمركب بالإضافة من مثل «في صورة عدم توفر أي من شروط الكفاءة المهنية لدى الممثل القانوني، يجب تشغيل شخص توكل له مسؤولية التسيير».

وتسوق المدونة أربعة استعمالات لهذا التركيب: مركب بالجر + يجب + مركب بالإضافة.

وتصوغ المركبات بالجر شروطاً إذا ما تحققت استوجبت إلزاماً بتحقيق أمر ما. وتدلل المحتويات القضائية لهذه المركبات على ذلك. فقد صيغ المركب بالجر على نحو:

في صورة عدم توفر أي من شروط الكفاءة المهنية لدى الممثل القانوني. ويمكن أن نستبدل به: «إن لم يتوفر أي شرط من شروط الكفاءة المهنية لدى الممثل القانوني....»

وكذا الأمر لـ: عند اكتشاف آثار لضرر أو ضياع؛ أو لتقدير المنحة. ويستبدل بهما: إن اكتشفت آثاراً لضرر أو ضياع. إن قدرت المنحة.....

وإذا تحققت هذه الشروط أصبح ما اقترن به الفعل «يجب» ملزماً. ويوحى مدلول هذه الجمل بأنها شرطية. وهي على نسق: إن اكتشفت آثاراً لضرر أو ضياع، يجب تفقد مكان الطائرة.

فعل الشرط جواب الشرط

وعلى نسق: إن لم يتوفر أي من شروط الكفاءة المهنية لدى الممثل القانوني، (فعل شرط)؛ يجب تشغيل شخص توكل له مسؤولية التسيير (جواب شرط). وجاء الفاعل مركباً بالإضافة التي تسم المضاف والمضاف إليه بسمتي الإطلاق

والتخصيص. وينعكس معنى هاتين السمتين على الفعل «يجب» فيحوّلان معناه من الإلزام إلى الاشتراط والتخصيص. ونتبيّن بذلك أنّ سمات التركيب تسهم في استحداث الدلالة وتحققها، وتلائم سمة الاشتراط المحققة في المركّب بالجرّ سمة الإطلاق المضمّنة في معنى الإضافة. وتتعاوض السمتان لتولّدا معنى الاستمرارية والعمومية المناسبين لمضمون الأمثلة السابقة. فتقدير المنحة واعتبار الامتيازات التكميلية والعطايا العينية يظلال مستمرّين. واكتشاف آثار ضرر أو لضياع يقتضي دوماً تفقّد مكان الطائفة التي لم تحدّد لما توحى به من عمومية.

١٣,٥. استعمال «يجب» مسبقاً بمركّب بالجرّ ومتبوعاً بمركّب بالجرّ

ومركّب شبه إسناديّ

يرد الفعل «يجب» مسبقاً بمركّب بالجرّ ومتبوعاً بمركّب بالجرّ وبمركّب شبه إسناديّ من مثل:

«وفي صورة امتناع المكثرين من مُبَارَحَةِ المحلّ يجب على المالك القيام عليهم بقضايا في الخروج أثناء الشهر الموالي لانقضاء أجل الأشهر الستة».

يتوسّط الفعل «يجب» في المثال مركّبي الجرّ ويكون الفاعل مركّباً شبه إسناديّ، ويفيد «المركّب بالجرّ» الوارد في المرتبة الأولى في الجملة معنى الشرط وصيغته دالة عليه بدليل أنّ المركّب بالجرّ: «في صورة امتناع المكثرين من مُبَارَحَةِ المحلّ» يمكن أن يُستبدل على نحو: إن امتنع المكثرون عن مُبَارَحَةِ المحلّ.

وأما المركّب بالجرّ الثاني فينصّ على الفاعل الحقيقيّ بدليل ذكر اسم الشخص وهو المالك الذي قدّم على المركّب شبه الإسناديّ ليُشحن بمفهوم الوجوب، وأما الفاعل المركّب شبه الإسناديّ «القيام عليهم بقضايا في الخروج أثناء الشهر الموالي» فليس إلاّ فاعلاً نحويّاً، وقد جاء مركّباً شبه إسناديّ لتحقيق إنجاز عمل ما مثل القيام عليهم بقضايا.

١٤,٥. استعمال الفعل «يجب» مسبقاً بمركّب بالجرّ ومتبوعاً بمركّب

شبه إسنادي

يستعمل الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالجرّ ومتبوعاً بمركب شبه إسنادي من مثل:

«لترسيم محصر الإنذار يجب التنصيص به على مرجع إيداع ترسيم حقوق المعقول عليه».

وأيّثال تركيب هذا المثال تركيب المثال السابق باستثناء غياب المركب بالجرّ الثاني. وبُدئ التركيب بمركب بالجرّ لعرض افتراض مشروط إذا ما تحقق استلزم الوجوب بإنجاز أمر ما. وبغياب المركب بالجرّ الثاني فإنّ التنصيص على الفاعل الحقيقي لم يحدث.

١٥,٥. استعمال الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالإضافة ومتبوعاً بمركب بالجرّ وبمركب بالموصل الحرفي.

يستعمل الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالإضافة ومتبوعاً بمركب بالجرّ وبمركب بالموصل الحرفي من قبيل «خلال العقد يجب على المؤمن أن يُصرّح للتعاونيّة برسالة مضمونة الوصول في الآجال المنصوص عليها بالفصل ٧ من مجلة التأمينات بتغييرات العناصر الآتية».

ورد في المدوّنة المختصّة ثلاثة استعمالات «يجب» طبق التركيب:

مركب بالإضافة + يجب + مركب بالجرّ + مركب بالموصل الحرفي.

وفيد المركب بالإضافة إمكان حدوث أمر ما، وأمّا المركب بالجرّ فينصّ على الفاعل الحقيقي في حين لا يمثل المركب بالموصل الحرفي إلاّ الفاعل النحويّ.

١٦,٥. استعمال الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالإضافة ومتبوعاً

بمركب بالموصل الحرفي

يستعمل الفعل «يجب» مسبقاً بمركب بالإضافة ومتبوعاً بمركب بالموصل الحرفي من مثل «كلّ ترشّح لوسام الشغل يجب أن يقوم به المؤجّر». ونلاحظ أنّ هذا المثال يبدأ بمركب بالإضافة لإفادة معنى الإطلاق وهو ما يلائم مضمون المركب

بالإضافة المعبر عن كل ترشح لوسام الشغل. فالترشح متجدد ومستمر. وجاء الفاعل مركباً بالموصل الحرفي لأنه يقتضي فاعلية نسبية.

١٧,٥. استعمال الفعل «يجب» خبراً للناسخ أو لمبتدئ

يستعمل الفعل «يجب» خبراً للناسخ أو لمبتدئ طبق التراكيب التالية وقد رتبناها حسب تواترها.

أ. المبتدأ + الخبر: يجب + مركب بالموصل الحرفي.

ب. الناسخ + اسم الناسخ + خبر الناسخ: يجب + مركب بالموصل الحرفي. وتواتر هذان التركيبان ١٩ مرة.

ت. المبتدأ + الخبر: يجب + مركب بالإضافة.

ث. الناسخ + اسم الناسخ + الخبر: يجب + مركب بالإضافة. تواتر هذا التركيب: ١٠ مرات.

ج- المبتدأ + الخبر: يجب + مركب بالجر + مركب بالموصل الحرفي.

الناسخ + اسم الناسخ + الخبر: يجب + مركب بالجر + مركب بالموصل الحرفي.

الناسخ + اسم الناسخ + خبر الناسخ: يجب + مركب شبه إسنادي.

وقد تواترت هذه التراكيب ٣ مرات.

يرد الفعل «يجب» في التراكيب السابقة خبراً للمبتدئ أو الناسخ. ونتبين من الوقوف على جمل هذه التراكيب أن إشكال المحتوى القضوي يكمن في الخبر الذي يحقق الإعلام بشكل من الأشكال. ومن ثم يستلزم الوجوب أو الاحتمال أو المنع أو الإمكان. فالمبتدأ في جملة «الرد يجب أن يكون بعد وفاة الموصي في أجل أقصاه شهران من تاريخ إعلام الموصى له بالوصية» لا يضمّر إشكالا. فمفهوم الرد يحقق مفهوم ما يحدد بما يخبر به عنه. وإذا جاء الخبر مشحوناً بالإلزام فلائ التكلّم يقصد الخبر فحسب (أن يكون بعد وفاة الموصى في أجل أقصاه شهران من تاريخ إعلام الموصى له بالوصية).

وجاء الفعل «يجب» خبراً للناسخ أو المبتدئ في عشرة استعمالات لغوية. ودلّ

المبتدأ أو اسم الناسخ على افتراض وقوع حدث على نحو ما تقتضي معالجته بطريقة معينة. لذلك لزم وسمها بالوجوب. فالمثال التالي يستبدل المبتدأ بفعل شرط والخبر بجواب شرط على نحو «توقيف العمل المنصوص عليه بهذا الفصل لا يكون سبباً في فسخ عقد الشغل من طرف المؤجر وإلا فإنه يجب غرم الضرر لفائدة العامل».

ويصبح التركيب تركيباً شرطياً على نحو: إن توقف العمل المنصوص عليه بهذا الفصل (فعل شرط).

فإنه لا يكون سبباً في فسخ عقد الشغل من طرف المؤجر (جواب الشرط).

ويكون فعل الشرط وجوابه فعل شرط لجواب الشرط الثاني: «فإنه يجب غرم الضرر لفائدة العامل».

ويستعمل الفعل «يجب» خبراً للناسخ أو المبتدأ على نحو: في صورة غلق المحل أو غلق قسم منه لمدة تفوق مدة الرخصة السنوية الشرعية فإنه يجب على المؤجر أن يدفع لعمّله عن كل يوم من أيام العمل التي أغلق فيها محله زيادة على مدة الرخصة المذكورة أجراً.

ويعرض هذا المثال استعمال الفعل «يجب» خبر للناسخ أو المبتدأ. وجاء الفاعل مركباً بالموصول الحرفي؛ وقد فصل مركب بالجر بين الفعل والفاعل قصد التنقيص على الفاعل الحقيقي. فالمركب بالجر الأول «على المؤجر» يتضمن إشارة إلى الفاعل الحقيقي، وجاء مجموع التواتر ضعيفاً إلا أنه يماثل استعمالات الفعل «يجب» عند تصدره الجملة.

١٨,٥. الفعل «يجب» جواب شرط

يتنزل الفعل «يجب» في تراكيب شرطية، وبالتدقيق أجوبة للشرط. ولما كانت أجوبة الشرط تحقق ما يتولد عن أفعال الشرط من نتائج فإن مثل هذه الخاصية تؤثر على دلالة الفعل «يجب» وتعّد مفهوم الإلزام به لتجعله يفيد معنى الاشتراط ويحقق النتيجة المشتركة في فعل الشرط ومثال ذلك:

«إذا كان الموجه إليه الإعلام شخصاً معنوياً يجب أن يشتمل المحضر على اسمه ومقره الاجتماعي».

فالاشتراط يكون الإعلام موجّها لشخص إعلامي جعل جواب الشرط المقترن بالفعل «يجب» يحقق اشتراطاً يقتضي أن يشتمل المحضر اسم الشخص المعنوي ومقرّه الاجتماعي، ويمكن بذلك استبدال الفعل «يجب» بالفعل «يُشترط» في الجملة السابقة وتصبح على نحو:

«إذا كان الموجّه عليه الإعلام شخصاً معنوياً، يُشترط (بدل يجب) أن يشتمل المحضر على اسمه ومقرّه الاجتماعي».

وليس الفعل «يُشترط» خلواً من معنى الإلزام إلاّ أنّه إلزام لا يتحقّق إلاّ بتحقيق فعل الشرط ممّا يحدّد في درجة إلزامه. وفرق بين إلزام ينتج عن شحن الفعل «يجب» الفاعل مباشرة وبين إلزام يرتبط تحقّقه بتحقيق شرط آخر. فالإلزام الفعل فاعله مباشرة بأمر ما أشدّ من إلزام يحقّقه جواب الشرط.

والمستفاد أنّه لما جاء الفعل «يجب» جواباً للشرط فإنّه يكتسب ما يتولّد عن فعل الشرط من معنى الاشتراط بما أنّ أجوبة الشرط تحقق النتيجة.

ويستعمل الفعل «يجب» جواباً للشرط متبوعاً بمركّب بالجرّ ومركّب بالموصول الحرفي من مثل: إذا كلّف المدعى عليه محامياً يجب على هذا الأخير أن يُعلم بذلك محامي المدعي بواسطة عدلٍ منفذٍ.

يرد الفعل «يجب» جواباً للشرط وقد فصل المركّب بالجرّ بينه وبين فاعله المركّب بالإضافة، ومثال ذلك «إذا ما اعتمدت مستغل الطائرة أحكاماً أشدّ من الأحكام المحددة بالتعليمات الفنية يجب عليه إعلام المصالح المختصة بالوزارة المكلفة بالطيران المدني بذلك». ويرد الفعل «يجب» جواب شرط فاعله مركّب شبه إسنادي ومثال ذلك «يجب القيام بكلّ تصريح قبل التغيير إذا كان هذا التغيير ناتجاً عن فعل المؤمن له».

ويتواتر استعمال الفعل «يجب» جواباً للشرط سبع مرّات في المدونة المختصة المعدّة لهذا البحث، وقد فصل المركّب بالجرّ بين الفعل وفاعله المركّب بالموصول الحرفي. ونفسر تقدّم المركّب بالجرّ على الفاعل بأنّه ينصّ على الفاعل الحقيقي بدليل أنّ هذا المركّب يشير إلى من يُأمر بإنجاز فعل ما من مثل «يجب على الوصي». أو من مثل

«يجب على هذا الأخير» أو ضمير الغائب المفرد مثل ما هو في «يجب عليه».

ويقترن فعل الشرط في أغلب الأمثلة بإذا المعبّرة عن ظرف موسوم بالشرط، وقد يحدث في المستقبل، ويستعمل اسم الشرط الظرفي للتعبير عن كون الظرف الزماني شرط بدونه لا يقع الحدث الرئيسي في الجملة^(٣٠).

١٩,٥. الفعل «يجب» في جملة موصولة

يقترن الفعل «يجب» باسم موصول ويكون جملة موصولة. ويرد الفعل «يجب» في جملة موصولة طبق أربعة تراكيب هي:

أ- جملة موصولة: اسم موصول + يجب + مركّب بالموصول الحرفي، وتواتر هذا التركيب ٣ مرّات. ومثال ذلك: عندما تكون دولة من غير أعضاء الأمم المتحدة طرفاً في دعوى تُحدّد المحكمة مقدار ما يجب أن تتحمّله هذه الدولة من نفقات المحكمة.

ب- الجملة الموصولة: اسم الموصول + يجب + مركّب بالإضافة، وتواتر هذا التركيب مرّة، ومثال ذلك: إنّ الأجر الذي يجبُ اعتباره لتقدير منح الرخصة هو الأجر المقدّر طبقاً للقواعد المعيّنة.

ج- جملة موصولة: اسم موصول + يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة، وتواتر هذا التركيب مرّتين ومثال ذلك: وإذا لم يطلب الدائن الإذن بالبيع تُقرّر المحكمة تعيين الأجل الذي يجبُ فيه إجراء البيع المطلوب من المدين على حسب الأوضاع المقرّرة بالفصل ٢٤٤.

د- جملة موصولة: اسم موصول + يجب + مركّب بالجرّ + اسم مفرد، وتواتر هذا التركيب مرّة واحدة ومثال ذلك: بيان حضور أو غياب الشخص الذي يجبُ عليه الدفع.

ولا تخرج هذه التراكيب عن استعمالات الفعل يجب وهو يتصدّر الجملة. ونتبين من المحتوى القضوي لهذه الاستعمالات أنّ صلة الموصول تقتضي سمة الوجوب، لذا لم يشحن الفعل «يجب» الجملة بأكملها.

٢٠,٥. استعمال الفعل «وجب» جواب شرط متبوعاً بمركّب بالجرّ

وبمركّب بالموصول الحرفي

يستعمل الفعل «وجب» جواب شرط متبوعاً بمركب بالجرّ ومركب بالموصل الحرفي. ويرد الفعل «وجب» جواب شرط وبذلك يدلّ على المستقبل وإن ورد في صيغة الماضي. وقد تواتر استعماله عشر مرّات، وهي نسبة ضعيفة مقارنة بما وقفنا عليه في الاستعمالات السابقة من استعمال الفعل «يجب» في صيغة المضارع. ويستعمل الفعل «وجب» طبق التراكيب التالية:

١. فعل شرط + جواب شرط : وجب + مركب بالجرّ + مركب بالموصل الحرفي . وقد تواتر ٥ مرّات. ومثال ذلك: فإذا لم يجدّ العدل المنفّذ المطلوب إعلامه في مقرّه وجب عليه أن يسلم نظير محضّر الإعلام إلى وكيله.

٢. فعل شرط + جواب شرط : وجب + مركب بالموصل الحرفي . وقد تواتر ٤ مرّات. ومثال ذلك: إذا لم يُعقد هذا المؤتمر قبل دور الانعقاد السنوي العاشر للجمعية العامة، بعد العمل بهذا الميثاق، وجب أن يُدرج بجدول أعمال ذلك الدور العاشر اقتراح بالدعوة إلى عقده.

٣. فعل شرط + جواب شرط : وجب + مركب شبه إسنادي. وقد تواتر مرّة واحدة. ومثال ذلك: إذا لم يُقدّم المعقول تحت يده تصريحه على الوجه وفي المواعيد المقررة بالقانون أو قدّم تصريحاً كاذباً أو أخفى الأوراق الواجب عليه تقديمها لتأكيد تصريحه وجب اعتباره مدينًا لا أكثر ولا أقلّ للدائنين العاقلين أو المعترضين.

ولم تخرج هذه التراكيب عن تراكيب استعمالات الفعل «يجب» سواء في ترتيب عناصرها أو سلّم ترتيب تواترها.

والحاصل أنّنا نخلص من الاستعمالات السابقة إلى أنّ الفعل «يجب» ينزع نزعتين في الاستعمال. تسعى الأولى إلى تحقيق الفاعلية بفعل مقترن بأن الدالة على المستقبل والمقيّدة لزمن الحدث. وجاءت تراكيب هذه النزعة المحقّقة الوجوب على نحو:

١. يجب + مركب بالموصل الحرفي : ١٥٧ مرّة.

٢. يجب + مركب بالجرّ + مركب بالموصل الحرفي : ٩٣ مرّة.

ويكون إجماليّ هذه التراكيب ٢٥٠ استعمالاً لغويّاً من مجموع ٤٢١ استعمالاً لغويّاً وذلك بنسبة ٥٩,٣٨٪، أمّا النزعة الثانية، فتأتي الفاعلية فيها في شكل مركب

بالإضافة يكون فيها المركّب مصدراً مشتقاً، أو في شكل المركّب شبه الإسناديّ الذي يجيء المشتقّ فيه مصدراً. ويدلّ المصدر في كلا التركيبين على سمة الإطلاق. ويبلغ مجمل تراكيب هذا المنحى ٥٣ تركيباً وذلك بنسبة ٤٤,٤٪ من مجمل تراكيب هذين التوجّهين.

ويرد الفعل «يجب» وسط الجملة في أشكال التراكيب التالية:

١. مركّب بالجرّ + يجب + مركّب بالجرّ (على) + مركّب بالموصول الحرفيّ، وقد تواتر ٨ مرّات.

٢. مركّب بالجرّ + يجب + مركّب بالموصول الحرفيّ. وتواتر هذا التركيب ٧ مرّات.

٣. مركّب بالجرّ + يجب + مركّب بالجرّ (على) + مركّب بالإضافة، وقد تواتر هذا التركيب ٤ مرّات.

٤. مركّب بالجرّ + يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة. وتواتر هذا التركيب أربع مرّات.

٥. مركّب بالجرّ + يجب + مركّب بالجرّ (على) + مركّب شبه إسناديّ. وقد تواتر هذا التركيب ثلاث مرّات.

٦. مركّب بالإضافة + يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالموصول الحرفيّ. وتواتر هذا التركيب ثلاث مرّات.

٧. مركّب بالإضافة + يجب + مركّب بالموصول الحرفيّ. وتواتر هذا التركيب مرّة واحدة.

٨. مركّب بالجرّ + يجب + مركّب شبه إسناديّ. وتواتر هذا التركيب مرّة واحدة.

وورد الفعل «يجب» جملة موصولة في أربعة تراكيب هي:

١. اسم موصول + يجب + مركّب بالموصول الحرفيّ، وتواتر هذا التركيب ستّ تراكيب.

٢. اسم موصول + يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة، وتواتر هذا التركيب مرّتين.

٣. اسم موصول + يجب + مركّب بالإضافة ، وتواتر هذا التركيب مرّة واحدة.
٤. اسم موصول + يجب + مركّب بالجرّ + اسم مفرد، وتواتر هذا التركيب مرّة واحدة.

وورد الفعل «يجب» خبر الناسخ أو المبتدأ طبق أربعة تراكيب هي :

١. يجب + مركّب بالموصول الحرّفي، وتواتر هذا التركيب ١٩ مرّة .
 ٢. يجب + مركّب بالإضافة، وتواتر هذا التركيب خمس مرّات.
 ٣. يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالموصول الحرّفي. وتواتر هذا التركيب مرّتين.
 ٤. يجب + مركّب شبه إسنادي، وتواتر هذا التركيب مرّة واحدة.
- وجاء مجموع أشكال تراكيب الفعل « يجب » ٣١ مرّة و ١٠ مرّات و ٢٧ مرّة وسط الجملة وذلك بتواتر جمليّ بلغ ٦٨ مرّة.

ونلاحظ أنّ التراكيب السابقة تبدأ أساساً بمركّب بالجرّ في ٢٧ استعمالاً لغويّاً وتبدأ بمركّب بالإضافة في أربع استعمالات. وإن اختلفت هذه التراكيب شكلاً فإنّها اشتركت في توظيف كلّ من المركّب بالجرّ وبالإضافة في الإعلام بالحالة التي تدفع المتكلّم إلى استعمال الإلزام.

ونبيّن تعدّد تراكيب الفعل «وجب/ يجب» رغم نسبيّة تواترها. فهي تراوح بين ثماني مرّات ومرّة واحدة. وهي لا تختلف نسبياً عن عدد تراكيب «يجب» في صدارة الجملة غير أنّ التواتر لتصدّر الفعل «يجب» الجملة يفوق ورود «يجب» وسط الجملة سواء في التواتر الجمليّ أو من تركيب إلى تركيب. فتصدّر «يجب» الجملة يتحقّق في ٢١٤ تركيب. ويقترن بفاعله مباشرة في ٢٠١ تركيب، ويفصل عن فاعله بمركّب للجرّ في ١١٣ تركيب.

ونخلص من المقارنة بين تصدّر الفعل «يجب» الجملة ووروده في وسطها أنّ اللغة العربيّة تنزع إلى شحن الفاعل مباشرة بالإلزام وإلى اقتران الفعل «يجب» بالفاعل لتشديد الشحن بسمة الوجوب. وورود الفعل «يجب» وسط الجملة ينتج عمّا يفيد المركّب بالجرّ من حدوث إشكال تستلزم نتائجه توظيف الإلزام.

٦. المدونات العامة

أصبحت دراسة الظواهر اللغوية، من منظور دلالي، تقتضي بناء مدونة كبيرة الحجم سعياً إلى استخلاص نتائج دقيقة وممثّلة للواقع اللغوي ومستوفية لأشكال استعماله، ثم إن الموضوعية تقتضي أن تضمّ مدونة أفعال الوجوب مختلف أنماط النصوص في مستويي الكتابي والشفاهي وفي مستويي المحلي والعالمي، ونعثر عليها نسبياً في «المدونة العربية العالمية» لمدينة الملك عبد العزيز و في مدونة «سكاتش أنجايين». ونقتصر في بحثنا على الفعل «وجب/يجب» لا طراد استعماله سواء في المدونة المختصة أو المدونات العامة، ونعرض في جدول تواتر هذا الفعل ومشتقاته في بعض المدونات العامة. ولم يرتفع تواتر الفعل «يجب» فحسب بل وكذلك مشتقاته التي تشحن نسبياً النصوص القانونية بنوع من الوجوب. وترد هذه المشتقات طبق ما يعرضه الجدول التالي:

جدول في تواتر الفعل «وجب، يجب» ومشتقاته في المدونات المختصة والعامة.

المدونة المختصة	الإصدارات الرسمية للمدونة العربية	المدونة العربية	اسكاتش أنجايين	مدونة مكتبة الإسكندرية
يجب	٤٢١	٦٤٤٢٢/١٧٤ ٥٦١/وجب ٢٢٧٩٨٢	٣٩٢٢٢٦/٢٠٤ /٢٢٥٠ وجب/٥٢٠١٣٣	٣٨٢٤٢٩١
تجب	٢	x	٢٥٨٩٤٣/٤٦٩٤	١٢٧٠٠٧
وجب	١٠	١٢٥٨٩٤	٣٧٦٤٦٢/٣١٨٤	٣٢
وجب	x	x	x	٥٧٩٢
جب	x	x	x	١١٣٩٠ (هي جب)
وجبا	x	x	x	٤١
١٠٣				

٦١	٣١٣٨٢	x	x	يتواتر	وجوبا
٢	١٥	x	x	x	وجيبا
٢	x	x	x	x	وجباناً
١٥٢٧	٤٢٥٦٦٨	٣٩٨٨٦٧/٣٠١٠	x	واجب يتواتر	
١	٨٦	x	x	x	موجب

نتبين أطراد مشتقات فعل الوجوب «يجب». وهي عديدة ومتواترة نسبياً. وتحتاج إلى دراسة معمقة إلا أننا نقتصر في هذا البحث على الفعل «يجب» لا غير. وهو يتواتر في مدونة «سكاتش أنجاي» بنسبة ٣٨٢٤٢٩١ مرة، ويرد في مدونة الملك عبد العزيز في المرتبة ٢٠٤ وبتواتر ٣٩٢٢٢٦ مرة. وإذا تواتر الفعل يجب ٣٨٢٤٢٩١ مرة في مدونة «سكاتش أنجاي»، فإنه يعسر علينا أن ننظر في استعمالات الفعل «يجب» جميعها؛ لذا سنقتصر على ١٨٤٧ استعمالاً. ولما كان الاستعمال الواحد يرد في كل ٤٥٩ كلمة فإن ١٨٤٦ استعمالاً ترد في نصوص تتكوّن من مجموع أربعة ملايين كلمة. ولعلّ هذا الكمّ من الاستعمال يخوّل استجلاء الخصائص التركيبية والدلالية للفعل «يجب».

ولما تدبرنا عينة بحثنا تبيناً أنّ هذا الفعل يقترن بـ«أن» في ١٠٢٠ حالة من مجموع ١٨٤٧ حالة استعمال، وهو ما يمثل نسبة ٥٥,٢٢٪ من إجمالي عينة تضم أربعة ملايين كلمة. وبذلك نلاحظ توافقاً في أطراد التركيب «يجب» + «أن» (مركب بالموصول الحرفي) في المدونة المختصة ومدونة «سكاتش أنجاي» العامة. وقد تبيناً أنّ نسبة اقتران الفعل «يجب» بـ«أن» في المدونة المختصة تساوي ٥٠٪ وهي لا تبعد كثيراً عن نسبة ٥٥,٢٢٪ في مدونة «سكاتش أنجاي» العامة. ولما كان الوجوب يتحقّق في المستقبل فإنّ الفعل «وجب/ يجب» يقترن بأنّ المعبرة عن المستقبل حسب ابن هشام في مغني اللبيب الذي أشرنا إليه في الفقرات السابقة. ويطرّد تصدر الفعل «يجب» الجملة في المدونتين المختصة والعامة ليحصل تضام بين الفعل «يجب» وفاعله

وليشحن الفعل «يجب» المركب الإسنادي بأكمله.

وفصل المركب بالجرّ بين الفعل «يجب» وفاعله في ١١٩ حالة في عيّنتنا المستقاة من المدوّنة الحاسوبية العامّة «سكاتش أنجاي». وترتفع بذلك نسبة اقتران الفعل «يجب» بالأداة «أن» لتبلغ ١١٣٩ مرّة، وهو ما يمثل نسبة ٦٧,٦١٪ من مجموع استعمالات هذا الفعل.

وإذا كانت تراكيب الفعل «يجب» قد تنوّعت فإنّها تضمّر استعمال الموصول الحرفيّ المقترن بأن. وتبيّن ذلك من مركّبي شبه الإسنادي والإضافي. فالمركّب شبه الإسنادي يطرد ٣٠٦ مرّة وفي شكل تركيبين. جاء الأوّل على نحو:

يجب + مركّب شبه إسنادي ومثال ذلك: **يَجِبُ الكَفُّ عن البَحْثِ**

ويضمّر المركّب شبه الإسنادي «الكفُّ عن البَحْثِ» استعمال المركّب بالموصول الحرفيّ المقترن بأن ويتحقّق ذلك بتحويل المركّب شبه الإسنادي في الجملة على نحو: **يَجِبُ أَنْ يَكْفَ عَنْ البَحْثِ**.

وجاء التركيب الثاني لفاعل الفعل «يجب» على نحو: **يجب + مركّب بالجرّ + مركّب شبه إسنادي**. وتواتر هذا التركيب ١٤٤ مرّة، ومثال ذلك: **يَجِبُ على وزاراتِ العملِ الاهتمامُ بالتّوطينِ**. ويضمّر هذا المثال استعمال المركّب بالموصول الحرفيّ بتحويل الجملة على نحو **«يجب على وزاراتِ العملِ أَنْ تهتمَّ بالتّوطينِ»**.

ويضمّر التركيبان: **«يجب + مركّب إضافي» و«يجب + مركّب بالجرّ + مركّب إضافي»** اقتران الفعل «يجب» بأن بصورة غير مباشرة في ٢٥٨ مرّة. فجملة **«يجبُ إدراجُ الأرشيْفِ»** (يجب + مركّب بالإضافة) يُحوّل فيها المشتقّ الوارد مضافاً إلى مركّب بالموصول الحرفيّ على نحو: **«يجبُ أَنْ يدرَجَ الأرشيْفُ»**. وكذا الأمر للمركّب الإضافي الذي فُصل عن الفعل «يجب» بمركّب الجرّ. ويرد على نحو: **«يجب عليك مُسَايَرَةُ الأمرِ»**

يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة.

ويُحوّل هذا التركيب على نحو: **يجبُ عليك أَنْ تُسَايِرَ الأمرَ**.

وتنضم استعمالات التراكيب:

يجب + مركّب شبه إسناديّ (تواتر ٣٠٦ مرّة)

يجب + مركّب بالجرّ + مركّب شبه إسناديّ (تواتر ١٤٤ مرّة)

يجب + مركّب إضافيّ

يجب + مركّب بالجرّ + مركّب إضافيّ (٢٥٨ مرّة)

إلى استعمالي:

يجب + مركّب بالموصول الحرقيّ (١٠٢٠ مرّة)

يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالموصول الحرقيّ (١١٩ مرّة)

ويصبح مجموع الاقتران المباشر للفعل يجب بـ «أن» ١٠٢٠ مرّة، وبشكل غير مباشر ١١٩ مرّة، وبشكل مضمّر بتحويل مشتقّ المركّب شبه الاسناديّ المتواتر ٤٥٠ مرّة والمركّب الإضافيّ المتواتر ٢٥٨ مرّة. ونتبيّن من هذه الإحصائيات جميعها، والبالغ تواترها ١٨٤٧ مرّة، أنّ الفعل «يجب» يختصّ بالاقتران بـ «أن» مقارنة بالأفعال التوزيعيّة. ولا يختصّ الفعل «يجب» بهذه السمة فحسب وإنّما نلاحظها بأشكال أخرى في اللغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة. وسنفصل فيها القول في تحليلنا خصائص أفعال الوجوب.

ونتبيّن من هذه التراكيب جميعها خصائص ثلاثاً لاستعمالات الفعل «يجب» في مدوّنة «اسكاتش أنجايين» العامّة؛ تكمن الخاصيّة الأولى في اقتران الفعل «يجب» بـ «أن» في جميع الاستعمالات، ممّا يجعلنا نعتبر هذه الظاهرة سمة فعل الوجوب «يجب» في اللغة العربيّة مقارنة بسمات أخرى في اللغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة. وتتمثّل الخاصيّة الثانية في أنّ الفعل «يجب» يقترن مباشرة بـ «أن» وبفاعله المركّب بالموصول الحرقيّ لشحن الجملة بأكملها بسمة الوجوب وهو ما يتناغم مع أطراد ورود الفعل «يجب» في صدارة الجملة مقارنة بنسبة وروده وسط الجملة. وتكمن الخاصيّة الثالثة في أنّ هذا الفعل لم يعد يستعمل استعمالاً توزيعيّاً مثلاً وقفنا على استعمالاته زمنيّاً في معجمي الدوحة التاريخي ولسان العرب لابن منظور. وقد

اندثرت استعمالات هذين المعجمين سواء في المدونة المختصة أو المدونات العامة. وكنا قد بينّا تراكيب الفعل «يجب» وقد استقريناها من المدونتين المختصة والعامة. وهي تختلف نسبياً عن الاستعمالات الزمانية التي استقيناها من المعاجم اللغوية. ونقصد بـ«نسبياً» اشتراك التراكيب التزامنية مع التراكيب الزمانية في التركيب المعبر عن الوجوب الذي وقفنا عليه في معجم الدوحة التاريخي. وجاء على نحو: «ولكلّ في كلّ حلفٍ يجب عليه نصرته»؛ ولاحظنا أنّ التعبير عن الوجوب يقتضي تركيباً مغايراً لاستعمالات الفعل بشكل توزيعي. وفرق بين الاستعمال التوزيعي «فعل + فاعل» من مثل «وجبَ الشخصُ» أو «وجبَت الشمسُ» أو «وجبَ البعيرُ» وبين التعبير عن الوجوب بتركيب «الفعل + مركّب بالجرّ + لفظ مفرد معرّف قابل للحويل إلى مركّب موصوليّ بـ«أن» المصدرية

يجب عليه (نصرته + أن ينصره)

وباستقراء استعمالات المدونتين المختصة والعامة خلصنا إلى اقتران الفعل «يجب» بأن مباشرة أو بصورة غير مباشرة أو بشكل مضمّر، كما خلصنا إلى تواتر المركّب الإضافي فاعلاً للفعل «يجب». وقد اطّرد مثل هذا التركيب في مدونة «اسكاتش أنجاي» ٢٠٥ مرة بشكل مباشر و٥٣ مرة بالفصل بمركّب بالجرّ بين الفعل «يجب» والفاعل في شكل مركّب بالإضافة. ونخلص إلى أنّ التركيب الوارد في معجم الدوحة التاريخي على لسان هاشم بن عبد مناف القرشيّ في سنة ١٢٢ق هـ قد اطّرد استعماله في المدونتين المختصة والعامة وقد تقدّم المركّب بالجرّ على فاعل الفعل «يجب» ٣١٦ مرة من إجماليّ ١٨٤٧ تركيب ونسبة ١٧٪. وجاء فاعل «يجب» مركّباً شبه إسناديّ أو مركّباً بالموصول الحرفيّ أو مركّباً بالإضافة.

وإذا كانت استعمالات الفعل «يجب» قد جاءت محدودة في معاجم اللغة، فإنّ المدونات الحاسوبية المختصة والعامة تمكّن من الوقوف بصورة قاطعة على أنّ الفعل «يجب» تجمّد استعماله في التعبير عن الوجوب فحسب؛ وقد اندثرت استعمالات الفعل «وجب» الواردة في معجمي الدوحة التاريخي ولسان العرب لابن منظور، ولم نعد نعثّر على استعمالات «وجب البعير» في معنى سقط وبرك، و«وجب الشخص» في معنى مات، و«وجب القلب في معنى خفق واضطرب من خوف أو غيره، و«وجب

الشمس» في معنى غابت». وينجرّ عن تمخّض الفعل «يجب» للوجوب تطوّر في ما يحقّقه من دلالة؛ فلم يعد يعبرّ عن الوجوب القطعيّ فحسب، وإنّما استعمل في معنى الشرط لا سيّما إن جاء جواب شرط.

ونلاحظ فرقا بين تواتر تراكيب الفعل «يجب» في المدونتين المختصّة والعامة. فاطراد التراكيب في مدوّنة «اسكاتش أنجايين» العامة جاء طبق هذا الترتيب:

المرتبة الأولى: يجب + مركّب بالموصول الحرفيّ (تواتر ١٠٢٠ مرّة).

المرتبة الثانية: يجب + مركّب شبه إسناديّ (تواتر ٣٠٦ مرّة).

المرتبة الثالثة: يجب + مركّب إضافيّ (تواتر ٢٠٥ مرّة).

المرتبة الرابعة: يجب + مركّب بالجرّ + مركّب شبه إسناديّ (تواتر ١٤٤ مرّة).

المرتبة الخامسة: يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالموصول الحرفيّ (تواتر ١١٩ مرّة).

المرتبة السادسة: يجب + مركّب بالجرّ + مركّب إضافيّ (تواتر ٥٣ مرّة)

وجاء ترتيب التراكيب للفعل «يجب» في المدوّنة المختصّة مغايرا للتركيب السابق وهو على النحو التالي:

١	يجب + مركّب بالموصول الحرفيّ	١٥٧ مرّة
٢	يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالموصول الحرفيّ	٩٣ مرّة
٣	يجب + مركّب بالإضافة	٣٦ مرّة
٤	يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالإضافة	١٤ مرّة
٥	يجب + مركّب شبه إسناديّ	٨ مرّات
٦	يجب + مركّب بالجرّ + مركّب شبه إسناديّ	٣ مرّات

يكمن الفرق بين الترتيبين في ورود التركيب «يجب + مركّب شبه إسناديّ» في المرتبة الخامسة في المدوّنة المختصّة، بينما يحتلّ المرتبة الثانية في المدوّنة الحاسوبية العامة. وجاء المركّب شبه الإسناديّ فاعل الفعل «يجب» في المرتبة الثانية في مدوّنة اسكاتش أنجايين بينما ورد في المرتبة الخامسة في المدوّنة المختصّة. وحافظ التركيب

«يجب + مركّب إضافي على المرتبة الثالثة في المدوّنتين المختصّة والعامة. ونعلّل ذلك بنزعة النصوص القانونية إلى الإطلاق والتعميم؛ وهو ما يبرّر تقدّم المركّب الإضافي الفاعل على المركّب شبه الإسنادي الفاعل.

٧. الخصائص التركيبية والدلالية لأفعال الوجوب

نستقرئ الخصائص التركيبية والدلالية للفعل «وجب/ يجب» من التراكيب التي وقفنا عليها في المدوّنة المختصّة وفي مدوّنتي مدينة الملك عبد العزيز ومدوّنة «اسكاتش أنجايين»؛ وهي تتمثّل في حالة الاقتران بـ«أن» وفي سمات الإبهام والتصريف والإسناد وشكل الفاعل.

١,٧. اقتران يجب بـ«أن»

نلاحظ من أشكال الاستعمال اللغويّ في المدوّنات الحاسوبية أنّ فعل «وجب، يجب» يقترن بـ«أن» مشفوعة بجملة فعلية فعلها في صيغة المضارع. ويكون فاعل فعلي «وجب، يجب» مركّباً بالموصول الحرفيّ فعله في صيغة المضارع. ويقترن فاعل العديد من الأفعال في اللسان العربيّ بـ«أن» من مثل «يمكن» و«يستطيع» و«يريد» و«يتعيّن» و«يجوز» و...، ويحيى مركّباً بالموصول الحرفيّ.

٢,٧. حذف «أن»

نستقرئ من المدوّنات اللسانية أنّ فعل «وجب، يجب» يعلّق بـ«أن» في جلّ استعمالاته؛ فجملة «يجب أن تنجح» لا تستقيم إذا جرّدناها من «أن»، قولنا: *«يجب تنجح». ولا نحذف «أن» لأنّها تفيد الاستقبال. ويقول «ابن هشام» في «مغني اللبيب» أنّ «أن» الداخلة على المضارع تخلص فعلها للاستقبال^(٣١). وتحذف «أن» إذا حوّلنا المضارع إلى مصدر على نحو «يجب أن تنجح» تصبح «يجب النجاح». ومكّنتنا المدوّنات اللسانية من التعرّف على مدى اقتران الفعل «يجب» بأن وعلى اقترانه بمصدر يضمّر استعمال «أن».

٣,٧. سمة الإبهام

لا يعلّق فعل «يجب» بفاعل في شكل اسم جامد فلا نقول: *يجب الرجل أن

ينصرف. وتنجم لانهوئية هذه الجملة من أن لفظ «الرجل» فاعل للفعل «يجب» بدل أن يكون فاعلاً للفعل «ينصرف»، وبذلك يكون المركب بالموصول الحرفي «أن ينصرف» فاعلاً للفعل «يجب»، وتكون الجملة على نحو:

* يجب الرجل (فاعل للفعل يجب) أن ينصرف الرجل (فاعل للفعل يجب).
وتصبح الجملة لانهوئية لإسناد فاعلين للفعل «يجب». ولما لم يكن لفعل «يجب» فاعلاً مخصوصاً، فإنه يُعدّ فعلاً مبهماً ويُستعمل استعمالاً جهمياً. ويكون متعلق الفعل الجهمي في شكل «أن+ مركب إسنادي فعليّ فعله في صيغة المضارع». ويكون للأفعال «غير المبهمة» فاعل مخصوص ومعلوم من مثل «أراد» و«ظنّ» و«علم».

٤،٧. هل تتصرف أفعال الوجوب؟

تدلّ أشكال الاستعمال اللغويّ لفعل «وجب، يجب» على أنه لا يتصرف، في حين أنّ الأفعال غير المبهمة تتصرف مع جميع الضمائر. فلا نقول: *وجبْتُ *وجبَتْ *وجبْتُ. ولا نقول أيضاً: *أنا أجب *أنت تجب. ونقول هو يجب. وفي المقابل تتصرف الأفعال غير المبهمة مع الضمائر جميعها من مثل «أنا فهمتُ، أنت فهمتَ، أنت فهمتِ». ونقول: أنا أفهم، أنت تفهم، أنت تفهمين.

والحاصل أنّ الفعل «وجب، يجب» يرد في صيغة واحدة في صيغتي الماضي والمضارع ومع ضمير الغائب لا غير. وما يدلّ على أنه يستعمل استعمالاً مبهماً كونه يظلّ على صيغة واحدة.

٥،٧. هل تستعمل أفعال الوجوب في صيغة الأمر؟

لأنّنا نبحث على فعل «وجب، يجب» في صيغة الأمر في كلّ ما وقفنا عليه من استعمالات المدونات الحاسوبية المختصة والعامة. ونخلص إلى أنّ الأفعال المبهمة لا تصرف في الأمر بدليل أنّنا لا نقول: *جب، جبي، جبا، جبا، جبوا، جبن. ولا نقف على استعمال الأمر من فعل وجب في مدوّنتي العربية اللغوية و«سكاتش أنجاي»، وإن جاء شكل «جب» فإنه يُقصد به «جُبْ»، وقد حصل اللبس لأنّ الكلمات الواردة في المدونات اللسانية لا تشفع بالتضعيف وبالحرركات. ولا تنفرد اللغة العربية بهذه الخاصية إذ تنحو اللغة الفرنسية هذا المنحى، فلا تستعمل في صيغة الأمر الفعلين (وجب) و (pouvoir) (استطاع).

٦,٧. المبنيّ لغير الفاعل للفعل «يجب»

نتبيّن من أشكال الاستعمال اللغويّ في المدوّنات الحاسوبية أنّ فعل «يجب» لا يُبنى لغير الفاعل. فجملة «يجب أن أُعدّ التقرير» لا تبنى لغير الفاعل: *يوجِبُ أن يُعدّ التقرير.

والحاصل أنّ الفعل المبهّم «يجب» لا يقبل البناء لغير الفاعل. وتقبل أفعال من مثل «يريد» و«يرجو» و«يستطيع» البناء لغير الفاعل إذ استبدل المتعلّق بمصدر لأنّها غير مبهمة مثل فعلي «يجب» و«ينبغي». فجملة «أستطيع أن أساعدك» تكشف عن أنّ الضمير «أنا» فاعل الفعل «أستطيع» وكذلك الفعل «أساعدك»، لذلك لا تصاغ جملة «أستطيع أن أساعدك» إلى المبنيّ لغير الفاعل بقولنا: *يُسْتَطَاعُ أن يُساعدك، في مقابل جواز «يُسْتَطَاعُ/تُسْتَطَاعُ مساعدتك». وكذلك الحال مع جملة «يستطيع أن يفوز في المسابقة». فلا تبنى لغير الفاعل بقولنا: *يُسْتَطَاعُ أن يفوز في المسابقة.

وإذا ورد فاعل الفعل «يستطيع» مصدراً فإنّ البناء لغير الفعل يتحقّق على نحو: يستطيع الفوز في المسابقة. وتصبح: يُسْتَطَاعُ الفوز في المسابقة.

والحاصل أنّ البناء لغير الفاعل لا يتحقّق في حالتين:

أوّلاً: لا يُبنى فعل «يجب» إلى غير الفاعل.

ثانياً: لا يتحقّق البناء لغير الفاعل لأفعال من مثل «يريد» و«يرجو» و«يستطيع» إلّا إن استبدل متعلّق الفعل «أن + مركّب إسناديّ فعل فاعله في المضارع» بمصدر لأنّ فاعل الفعل يكون المصدر فحسب ولأنّ فاعل المصدر لا يظهر.

٧,٧. تغيير فاعل المتعلّق

نتبيّن من الاستعمال اللغويّ في المدوّنات الحاسوبية أنّ فعل «يجب» مبهم ولا يقتضي فاعلاً في شكل ضمير للمتكلّم (أنا) مثلما هو الحال في اللسان الفرنسيّ في قولنا:

Je dois travailler

أعمل *أجب أنا

ونلاحظ ظاهرتين في استعمال اللغة الفرنسية لفعل «يجب». أمّا الأولى فيرد فيها الضمير «أنا» فاعلاً للفعل الجهيّ وكذلك لما يقترن به من فعل غير مصرّف . وتفصيل ذلك:

الضمير «أنا» فاعل للفعل الجهيّ الفرنسي je dois

الضمير «أنا» فاعل للفعل غير المصرّف travailler

وتكون الجملة على نحو: *أنا أجب

أنا أعمل

فالضمير «أنا» فاعل للفعلين *أجب وأعمل.

ويعتبر فعل «يجب» فعلاً جهياً لأنّ الجملة تصبح غير نحوية عند تغيير فاعل المتعلّق. ومثال ذلك:

* Je dois que tu travailles

تعمل أنت أن *أجب أنا

وكذلك الحال بالنسبة إلى الفعل الفرنسي pouvoir ومثال ذلك:

Je peux travailler

أعمل أستطيع أنا

(الفعل غير مصرّف إلاّ أنّ فاعله المعنويّ هو الضمير «أنا» ولذلك أوردناه مصرّفاً)

* Je peux que tu travailles

تعمل أنت أن أستطيع أنا

ولا تنطبق هذه الخاصية على اللسان العربيّ إذ يُقال: يجب أن أعمل - يجب أن تعمل - يجب أن تعملي. ونعلّل الاختلاف بين اللسانين العربيّ والفرنسيّ بكون فاعل الفعل المبهّم « يجب » هو كلّ المركّب بالموصول الحرفيّ «أن أعمل» أو «أن تعمل» أو «أن تعملي» أو «أن يعمل» أو «أن تعملوا». وليس للفعل العربيّ فاعل في شكل

ضمير متكلّم مفرد «أنا» على غرار الفعل الفرنسيّ «je dois» (*أنا أجب). فلا نقول في اللسان العربيّ: *أجب أن أعمل. والسبب في ذلك أنّ الفعل العربيّ (يجب) لا يصرف في اللسان العربيّ مع بقيّة الضمائر مثلما هي حال الفعل الفرنسيّ: devoir (Je dois), *أجب أنا - tu dois *تجب أنت....)

ولا يقتصر الاختلاف على الفعل «يجب» فحسب وإنّما ينطبق الحال على الفعلين «ينبغي» و«يمكن»، ولا يظهر الفعل «أنا» في اللسان العربيّ إلّا في متعلّق الفعل «يجب».

ونلاحظ أنّ الفعل “vouloir” (أراد/ يريد) يختلف عن الفعل (وجب/ يجب) في اللغة الفرنسيّة، فقد يكون ضمير المتكلّم «أنا» فاعلاً للفعلين (أريد) و(أعمل). وبمجرد أن يتغيّر فاعل الفعل غير المصّرف حتّى تتغيّر بنية الجملة وذلك في قولنا:

Je veux travailler

أعمل أريد أنا (= أريد أن أعمل)

Je veux que tu travailles

تعمل أنت أن أريد أنا (= أريد أن تعمل)

وقد أصبحت الجملة مركّبة بعد أن كانت بسيطة، فهي تتركّب من الجملة الأساسيّة طبق تسمية النحو الفرنسيّ (أريد je veux أنا) ومن الجملة الفضلة Que tu travailles

تعمل أنت أن

ونبيّن أنّ هذا الفعل يقبل تغيير فاعل المتعلّق مثلما تجيّه اللغة العربيّة. ونستعمل في اللغة العربيّة الأمثلة الفرنسيّة للفعل (je veux) (أريد) على نحو:

Je veux travailler (= أريد أن أعمل)

أعمل أريد أنا

Je veux que tu travailles (= أريد أن تعمل)

تعمل أنت أن أريد أنا

Je (= أريد أن يعمل) veux qu' il travaille

أنا أريد يعمل هو أن

والمستفاد أنّ فعل «يجب» مبهم ولا يقتضي فاعلاً في شكل ضمير للمتكلم (أنا)، مثلما هو الحال في استعمالات اللغة الفرنسية.

٨,٧. أطراد صيغة المضارع للفعل «وجب»

تطرّد صيغة المضارع للفعل «وجب/ يجب»، لأنّ معنى الوجوب يقتضي سمّي الاستقبال والاستمرار اللتين يحقّقهما الفعل المضارع، ولذلك يرد الفعل «وجب» في تركيب شرطيّ ليفيد الاستقبال مثلما يدلّ عليه المثال التالي:

إنّ الإنسان إذا أكرم وجبّ عليه الشكر (ابن المقفّع).

ويُكسب أسلوب الشرط الفعل «وجب» معنى الاستقبال في هذا المثال. ونلاحظ أنّ الفعل «وجب» يرد في جمل شرطية في النصوص القانونية الحديثة، وقد وقفنا على حالتين في وثيقة «ميثاق الأمم المتحدة»، وحالة واحدة في دستور الجمهورية التونسية، وحالة واحدة في مجلّة الإجراءات الجزائية وسبع حالات في مجلّة المرافعات المدنية والتجارية، وحالة واحدة في وثيقة «بيع ملك». نخلص ممّا وقفنا عليه في هذه الوثائق القانونية إلى ثلاث سمات هي:

١. ورود الفعل «وجب» في جمل شرطية لتحقّق معنى الاستقبال.
٢. نسبة تواتر الفعل «وجب» في صيغة الماضي أقلّ بكثير من أطراده في صيغة المضارع.
٣. تمخّض الفعل «وجب» لمعنى الوجوب وبذلك نبيّن اندثار استعمالاته الدلالية التي أوردتها المعاجم القديمة.

٩,٧. فواعل أفعال الوجوب

يلحق الفعل «وجب، يجب» بفواعل مجرّدة ومحسوسة.

يرد الفعل «وجب، يجب» فعلا لازما. ولعلّ تمكّنه بالوجوب جعله يستغني عن الفضلة.

١١٧. معنى الوجوب

يَسْمُ المتكلم ملفوظه بسمات جهيّة تكمن في تحقيق الوجوب أو الإمكان أو الاحتمال أو الاستحالة. واخترنا، في هذا البحث، النظر في الفعل «يجب» لاستجلاء خصائصه التركيبية والدلالية، وقد خلصنا إلى أمرين، أولهما أنّ الأفعال الجهيّة تنفرد بسمات مغايرة لخصائص الأفعال التوزيعيّة. وهي ظاهرة تتميز بها جلّ اللغات الطبيعيّة اللاتينيّة والجرمانيّة. ويكمن الأمر الثاني في أنّ تراكيب الفعل «وجب/ يجب» تنشيء دلالاته وتتولّى تعديلها، لا سيّما إن جاء الفعل جواب شرط، وبذلك يتحوّل مدلول الفعل من معنى الوجوب إلى تحقيق معنى الشرط. ويثير معنى الوجوب استفهامات عدّة تتعلّق بمصدر حدوثه. هل ينجم عن المتكلم أساسا أم ينتج عن إلزام خارجيّ يتبنّاه المتكلم ضرورة، ثمّ لا يفتأ أن يُفصح عنه؟ ولعلّ بعض الظروف الخارجيّة تُنتج الالتزام بأمر ما من مثل وجوب تدريس كلّ الأطفال بداية من بلوغ السنة السادسة. وفي هذه الحالة قد لا يصدر الوجوب عن قناعة المتكلم. وتطرح جمل من قبيل «يجب أن أكمل هذا العمل قبل الغد» بعض التساؤلات؛ هل ينجم الوجوب عن قناعة شخص ما أم أنّ سلطة عليا تفرض إكمال العمل قبل الغد؟ ونثير هذه الإشكاليّة لأنّ تعريف الفعل الجهيّ يُضمّر وسم المتكلم ملفوظه بدلالات إضافية مقصودة؛ ومن ثمّ فهو يكشف عن نوايا المتكلم ومدى التزامه بأعراف المجتمع ولا سيّما درجة الصدق الذي يَسْمُ به ملفوظه. والسؤال، كيف يُكسب المتكلم الحدث سمّي القدرة أو الإلزام؟ فهل يكشف الفعل الجهيّ عن صدق توظيفه الملفوظ بالإلزام مثلما يذهب إليه الفلاسفة، أم أنّه قد يوهم بالتعبير عن موقف لا غير؟ وكذا الأمر بالنسبة إلى مفهوم الإمكان. فجملة «يستطيع علي أن ينجح» تحتمل تأويلات عدّة؛ فهي تعني إمكانيّة النجاح، وتدّل أيضا على القدرة على النجاح؛ وتتأتّى الجهة المعرفيّة من كينونة الحدث، بمعنى أنّ نجاح عليّ قد يكون حقيقة. وقد يتأتّى الإمكان في هذه الجملة من عمليّة الفعل، ونعني به أنّ النجاح

قابل للتحقق. ونحتكم في تأويل ملفوظ ما إلى سياقات التلفظ. ونهدف من هذا إلى أن معنى الوجوب لا يتنزل في البعد الفلسفي فحسب وفي البحث عن الصدق أساساً، وإنما يتحقق أيضاً من ظروف القول، ومما يضمنه المتكلم من نوايا، ومما يتبناه أو يوهم به من أعراف اجتماعية.

والحاصل أننا استقرأنا الخصائص التركيبية والدلالية للفعل «وجب/يجب»، وأثبتنا أن هذا الفعل لم يعد تزامنياً يستعمل استعمالاً توزيعياً سواء في المدونات المختصة أو العامة مثلما تبيناه زمانياً في معجمي «الدوحة التاريخي» و«لسان العرب» لابن منظور. ونكاد نجزم بدقة هذه الخصائص لأننا استنبطناها من كم هائل من النصوص، يضم أكثر من سبعة مليارات كلمة.

ولا تنفرد اللغة العربية بهذه الخصائص، وإنما تشترك مع بقية اللغات الطبيعية في وسم الفعل «يجب» بسمات الوجوب. ويكمن الاشتراك في أن الأفعال الجهيّة المحققة سمة الوجوب لا تُصرّف في صيغة الأمر ولا تُبنى لغير الفاعل. وبينما كيف أن الفعلين «وجب» (devoir) و«استطاع» (pouvoir) لا يُصرّفان في الأمر مثلما هو الحال في اللغة العربية. وتشترك اللغة العربية مع اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية في وسم أفعال الوجوب بسمات جهيّة، غير أنها تختلف عن هذه اللغات في أشكال تحقيقها.

وتتمثل الخصائص العامة لأفعال الوجوب للغات الطبيعية في السمات التالية:

- لا تُصرّف في الأمر.
- لا تُبنى لغير الفاعل.
- وتكمن الخاصية الأساسية في أن بعض أفعال الوجوب تعلق بأي فعل سواء جاء مجزّداً أو محسوساً، وبذلك تحرّرت هذه الأفعال من قيود الانتقاء وهو ما يصطلح عليه في اللسانيات بالتجرّد من التعلّق (dépourvu de valence).

ولا تنفرد اللغة العربية باستعمال الفعل «يجب»، فهو مستعمل في اللغات الرومانية والجرمانية. وتستعمل اللغة اللاتينية فعل debere وdebéo وتولّد عنه فعل dovere في اللغة الإيطالية وdeber, debe, deber في اللغة الإسبانية وdever.

deve في اللغة البرتغالية. وتستخدم اللغات الجرمانية مجموعة من الأفعال الجهيّة. وهي تختصّ بخصائص صرفيّة ونحويّة مثل ما نلاحظه في اللغة الإنجليزيّة مع الأفعال can و may و must و shall و will. وهي تختلف عن الأفعال التوزيعيّة في طريقة تصرّفها، وتركيبًا في عدم استعمال الفعل المساعد «do» وتغيّبه عند تحويل فعل ما. وتتميّز الأفعال الجهيّة المساعدة عن الأفعال التوزيعيّة في طريقة التصريف مع ضميري المتكلّم المفرد والغائب المفرد، وهو حال اللغة الألمانيّة، وكذلك اللغة النيرلانديّة والإسلانديّة^(٣٢).

ويتمثّل الاختلاف أيضًا في غياب علامة «s» في الزمن الحاضر في اللغة الإنجليزيّة؛ وعلامة «r» مع كلّ الضمائر في اللغات السكندينية.

وإذا وسم الفعل «يجب» فعلا آخر، فإنّه يعلّق به مباشرة دون استخدام «to» خلافا لما يحدث بين الأفعال الأخرى. I must play I want to play

خاتمة البحث

رمنّا في هذا البحث الاستفادة من المدوّنات الحاسوبية العامّة في استنباط خصوصيّات أفعال الوجوب، لا سيّما أنّ هذه الأفعال لم تدرس، وأنّ المدوّنات الحاسوبية لا تزال مادّة خاما ولم تُوظّف في وصف أنظمة اللغة إلّا نسبيا. وجمعنا في هذا البحث بين المدوّنات الحاسوبية العامّة والمختصة لتتبع استعمالات الفعل «يجب» في أشكال التبادل اللغويّ جميعها؛ فالوجوب يخفّ في النصوص السردية والعرضيّة؛ ويقوى في النصوص القانونية والحجاجة. وتمكّنّا بذلك من تحديد دلالات الفعل «يجب» ودرجات تحقّق سمات الوجوب.

وانتهجنا في هذا البحث منهجا زمانياّ بنيناه على ما وقفنا عليه من استعمالات معجميّ الدوحة التاريخي ومعجم لسان العرب لابن منظور. وأشفعنا المنهج الزمانيّ

بمنهج تزامنيّ بنيناه على مدوّنة مختصّة أعدناها بأنفسنا لأغراض هذا البحث وعلى مدوّنتي «سكاتش أنجائين» والمدوّنة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز.

وقد خالصنا من الوقوف على الاستعمالات الزمانيّة للفعل «وجب/ يجب» إلى أمرين، أولهما استعمال هذا الفعل استعمالاً توزيعيّاً، في تركيب مكوّن من فعل وفاعل؛ وأمّا الأمر الثاني، فيكمن في أنّ التعرّف على خصوصيّات أفعال الوجوب لا تتحقّق من الاختصار على بعض الشواهد، وإنّما تتطلّب تدبّر كمّ هائل من النصوص ومعالجتها حاسوبياً. وتبيّن أنّ الفعل «يجب» يتمحّض للوجوب، حتّى وإن تنزّل في موضوعات اجتماعيّة. وممّا وقفنا عليه من استعمالات المدوّنات الحاسوبية أنّ فاعل الفعل «يجب» يرد في الغالب مركّباً بالموصول الحرفيّ مكوّنًا من فعل في صيغة المضارع المقترن بـ«أن»، ممّا يمحصّ الحدث لزمن الاستقبال. وجاءت التراكيب المحققة للفاعليّة في المدوّنة المختصّة على نحو:

١. يجب + مركّب بالموصول الحرفيّ: ١٥٧ مرة.

٢. يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالموصول الحرفيّ: ٩٣ مرة.

ويكون مجموع هذه التراكيب ٢٥٠ استعمالاً لغويّاً من مجموع ٤٢١ استعمالاً.

ويرد فاعل الفعل «يجب» مركّباً بالإضافة أو مركّباً شبه إسناديّ، ويأتي رأس المركّبين مصدراً، فيضفي سمة الإطلاق. ويبلغ مجمل هذا الصنف من التراكيب ٥٣ تركيباً، وذلك بنسبة ١٤,٤٤٪ من مجمل التراكيب.

ويرد الفعل «يجب» وسط الجملة في أشكال تراكيب عديدة، جاء مجموعها ٦٨ شكلاً تركيبياً. ويفوق تصدّر الفعل «يجب» الجملة ورود «يجب» وسط الجملة سواء في التواتر الجمليّ أو من تركيب إلى تركيب. ويرد الفعل «يجب» وسط الجملة لأنّ

هذا الفعل يُسبق بمرْكَب للجَرِّ يستلزم معناه توظيف الإلزام. فتصدّر «يجب» الجملة يتحقّق في ٢١٤ تركيباً. ويقترن بفاعله مباشرة في ٢٠١ تركيب، ويفصل عن فاعله بمرْكَب للجَرِّ في ١١٣ تركيباً. ونخلص من المقارنة بين تصدّر الفعل «يجب» الجملة ووروده في وسطها إلى أنّ اللغة العربيّة تنزع إلى شحن الفاعل مباشرة بالإلزام. ويتجلّى أنّ هذه اللغة تنزع أساساً إلى شحن الوجوب في الجملة بأكملها. وهذا ما وقفنا عليه للفعل «يجب». فقد اقترن هذا الفعل بفاعله المَرْكَب بالموصول الحرفيّ في ١٥٧ استعمال لغويّ وفي خمس عشرة وثيقة في المدوّنة المختصّة.

وتبيّننا في هذا البحث أنّ الفعل «يجب» تغيّرت تراكيبه وتنوّعت عمّا كان مستعملاً زمانياً، كما انحصر مدلوله في تحقيق درجات الإلزام؛ وأصبح تركيب الفعل «يجب» يتدخّل في إفادة المعنى. فإذا جاء الفعل «وجب» جواب شرط فإنّ مدلوله يتحوّل من إفادة الإلزام إلى التعبير عن معنى الشرط.

وتبيّننا من تراكيب الفعل «وجب/ يجب» في المدوّنات الحاسوبية أنفراد هذا الفعل بخصائص تميّزه عن استعمالات الأفعال التوزيعيّة؛ فالفعل «يجب» تمخّص تزامنياً في الدلالة على الوجوب؛ وتجمّد في صيغتي الماضي والمضارع مع ضمير الغائب المذكّر ونادراً مع ضمير الغائب المؤنّث. فالفعل «وجب/ يجب» لا يتصرّف في الأمر ولا يتصرّف مع مختلف الضمائر. ولا يُبنى لغير الفاعل، ولا يعلّق تزامنياً بفاعل يكون اسماً جامداً، ويقترن بأن في أغلب استعمالاته. ويفضي هذا إلى أنّ تحقيق الوجوب في اللغة العربيّة يقتضي خصائص تركيبية ودلالية؛ ولا تنفرد اللغة العربيّة بمثل هذه الخصائص وإنّما تختصّ بها أفعال الوجوب في اللغات الطبعيّة؛ فالفعل يجب لا يصرّف في الأمر ولا يُبنى لغير الفاعل في اللغة الفرنسيّة؛ وحتىّ إن صرّف في اللغات

الفرنسيّة والإنجليزيّة والألمانيّة فإنّ علامات تصريفه مغايرة لتصريف الأفعال التوزيعيّة.

ولئن اقتصرنا في هذه الدراسة على الفعل «يجب»، فإنّ آفاق البحث تنفتح على النظر في مشتقات هذا الفعل التي تحقّق بدورها معنى الوجوب؛ ويُستكمل هذا النظر بدراسة بقيّة أفعال الوجوب من مثل «ينبغي» و«يتحتمّ» و«يتعيّن» و«يقتضي» و«يلزم» و«يُجبر». وقد أوردنا في بداية هذا البحث جدولاً في أطراد أفعال الوجوب والإمكان. وتحتاج هذه الأفعال إلى دراسات معمّقة تستجلي استعمالها التوزيعيّة والجهيّة. ولا يتأتّى ذلك إلّا بالاعتماد على المدونات الحاسوبية؛ ولا نبيّن التطوّر الدلاليّ التركيبيّ للأفعال العربيّة إلّا بالاعتماد على المدونات الحاسوبية؛ ونستدلّ على ذلك باستعمال الفعل «قام» على سبيل المثال؛ فهذا الفعل يدلّ على معنى «نهض» في معاجم اللغة؛ ويطرّد استعمال هذا الفعل في مدوّنة «اسكاتش أنجاي»، فقد تواتر بنسبة ١٧٣٦٤٠١ مرّة، ويقوم بنسبة ١٥٨٧٥٣٧ مرّة، وتقوم بنسبة ١٤٩٩٧٧٦ مرّة، وقامت بنسبة ١٠٥٨٩٩٤ مرّة؛ وبالنظر في هذا الكمّ الهائل من الاستعمالات والبالغ ٥٨٨٢٧٠٨ مرّة، نلاحظ تحوّل هذا الفعل من فعل توزيعيّ إلى فعل عماد. ولا نبيّن هذه الظاهرة إلّا من استعمالات المدوّنة الحاسوبية، وليس من أمثلة معاجم اللغة المحدودة. وهذا ما انتهجناه في تحليل الفعل «يجب» في هذه الدراسة.

وليست الأفعال الجهيّة إلّا نمطا من أنماط تحقيق سمة الجهة، بدليل أنّ اللغتين العربيّة والفرنسيّة توظّفان الظروف والأفعال المعجميّة والعبارات الفعلية للتعبير عن الجهة، من مثل «ربّما» و«من الممكن» و«لا شكّ» و«في رأيي» و«حسب ظنيّ». وهي تحتاج إلى دراسة وإلى استجلاء ما تحقّقه من درجات السمات الجهيّة، وما تعلق به من أقسام الكلم.

الهوامش

١. المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية؛ وهي تحوي ١١٨٢٥١٥٦٣٣ كلمة ابتداءً من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث ومن مختلف المناطق والبلدان. وتشمل أوعية النشر فيها المخطوطات والصحف والكتب والمجلات والدوريات العلمية.

٢. مدونة سكاتش أنجايين: تحزن هذه المدونة مدونات لغات عدة بما في ذلك المدونة الوطنية البريطانية وكذلك مدونات للغات الصينية والإنجليزية والفرنسية واليابانية والإيطالية والألمانية والروسية والإسبانية والعربية التي تضم ٧٤٧٥٦٢٤٧٧٩ كلمة، ويعود تجميعها إلى ٢٠١٢.

٣. العرض ترجمة لمصطلح (exposition)، ويعني النمط العرضي بتحليل مفهوم ما، ويفسره دون التركيز على المتلقي مثلما هو الحال في نصوص الموسوعات التي تنظر لمفهوم من المفاهيم وتشرح أبعاده. ويختلف النص العرضي عن الحجاجي وإن اشتركا في توضيح رأي من الآراء. إذ يكفي النص العرضي بتحليل مفهوم دون الدفاع عنه أو الإقناع به أو افتراض رفض محتمل من المتلقي. وهذا ما يجعل النص العرضي لا يوظف نسبياً أساليب الإقناع، ولا يتخذ من إحكام بناء النص خطة إقناعية، كما لا يلجأ إلى ضروب التوكيد والتأثير، وتخفي ذات المتكلم قصد إبراز المعلومات بشكل موضوعي ومحيد نسبياً. ويتسم الأسلوب عندئذ بالشفافية. ونستبطن من تحليل النمط العرضي معايير قياسه، وتكمن في مؤشرات الحياد ووضوح الإحالات وتتبع غياب ضمير المتكلم وأطراف ضمائر الغيبة والابتعاد عن ضروب التوكيد وأساليب البديع والبيان. ويتحقق القياس إما باستقراء هذه المؤشرات من مجموعة من نصوص العرض أو بتكليف الدارسين بتوظيفها في أشكال الكتابات.

٤. Robert, (Paul), Le grand Robert de la langue Française . Tome VI, p°501

٥. تجييه ترجمة للمصطلح modalisation

٦. Dubois, Jean (1973), Dictionnaire de linguistique, Paris .
٧. Bannour, Abderrazak (1986), Recherches sur les structures modales dans le système verbal (Linguistique et logique), Tunis, Publications de l'université de Tunis. p10
٨. المرجع السابق.
٩. توافق مصطلح modalisation.
١٠. يقابل هذا الفعل في الفرنسية فعل (falloir).
١١. انظر معجم الدوحة التاريخي في الإنترنت.
١٢. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، م ١٥-١٦ ص ص ١٥٥، ١٥٤.
١٣. مدونة عبد الله فيفي عن متعلمي اللغة العربية.
١٤. الأمم المتحدة، (١٩٩٤)، ميثاق الأمم المتحدة، نيويورك، ٤٧ ص.
١٥. الأمم المتحدة، (١٩٩٤)، النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، نيويورك، ٤٧ ص.
١٦. الشريف، (محمد الحبيب)، دستور الجمهورية التونسية، تونس، دار الميزان للنشر، ٨٢ ص.
١٧. قانون أساسي يتعلق بالتنظيم المؤقت للسلط العمومية، الرائد الرسمي عدد ٦ لسنة ٢٠١١ المؤرخ في ١٦ ديسمبر ٢٠١١، ٦ صفحات.
١٨. مشروع دستور دولة الخلافة، (د.ت)، طبعة معتمدة، ٦٣ ص.
١٩. الجمهورية التونسية، (٢٠٠٦)، مجلة الأحوال الشخصية، تونس، منشورات المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٤٣ ص.
٢٠. لمجلة الجنائية.
٢١. الجمهورية التونسية، (١٩٩٤)، مجلة الإجراءات الجزائية، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٠٢ ص بالعربية، ٩٦ ص بالفرنسية.
٢٢. الجمهورية التونسية، (١٩٩١)، مجلة الشغل، تونس، مطبعة الجمهورية

التونسية، ١٨١ ص + ١٦٨ ص بالفرنسية.

٢٣. الجمهورية التونسية، (١٩٩٤)، المجلة التجارية، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٤٥ ص.

٢٤. الجمهورية التونسية، (٢٠٠٦)، مجلة المرافعات المدنية والتجارية، تونس، منشورات المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٥١ ص.

٢٥. الجمهورية التونسية، (٢٠٠٢)، مجموعة النصوص المنظمة للعلاقات بين المسوّغين والمتسوّغين، ملحق بها: النصوص المتعلقة بالرصيد العقاري للأجانب وعقارات الأجانب، تونس، منشورات المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ٣٥ ص.

٢٦. الجمهورية التونسية، (ديسمبر ٢٠١١)، الرائد الرسمي للجمهورية التونسية، الثلاثاء ٢٥ والجمعة ٢٨ محرم ١٤٣٣، ٢٠ و ٢٣ ديسمبر ٢٠١١ السنة ١٥٤ عدد ٩٧، ٣٦ ص.

٢٧. الرائد الرسمي للجمهورية التونسية، ٥ صفر ١٤٣٣، ٣٠ ديسمبر ٢٠١١ السنة ١٥٤ عدد ٩٩، ١٦ ص.

٢٨. تعاونية التأمين للتعليم، (١٩٩٣)، عقد تأمين عربية برية ذات محرك، تونس، ١١ ص بالعربية + ١١ ص بالفرنسية.

٢٩. جواز سفر للجمهورية التونسية. - صداق (عقد قرلن). - عقد بيع. - عقد تسويق. - عقد تأمين. - عقد مقاوله. - قرار ترخيص بالبناء. - قرار هدم. - إجراءات التبليغ. - محضر إنذار بالدفع. - محضر إعلام بحكم. - عريضة في الأمر بالدفع. - حكم مدني. - عقد إيجار - الشروط العامة للتأمين.

٣٠. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ج ١ ص ٩٢ و ٩٣).

٣١. المرجع السابق.

٣٢. Bannour Abderrazak, (1986), Recherches sur les structures modales dans le système verbal (Linguistique et logique), Tunis, Publications de l'université de Tunis

المراجع

أ. العربية

- صالح، محمود إسماعيل (٢٠١٢): الحاسوب والبحث اللغوي (المدونات اللغوية نموذجاً)، الرياض، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.
- الكشو، رضا (٢٠١٥): توظيف اللسانيات في تعليم اللغات، مكّة المكرمة، نشر مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ٤٠٨ ص. خصّصنا الفصل الخامس لتحليل لسانيات المدونات وأشرنا إلى ترجمات هذا المفهوم.
- الكشو، رضا (٢٠١٩): «توظيف لسانيات المدونات في تأليف المواد التعليمية»، مجلّة الألكسو.
- الكشو، رضا (٢٠١٦): «تطبيق لسانيات المدونات على اللغة العربية»، المجلّة العربية للثقافة، العدد الثاني والستون، ص ص ٢٥٧ - ٣٠٨.
- ورقة مشروع «الذخيرة اللغوية»، مجلّة اللسان العربي العدد ٤٨.

ب. الأجنبية

- Condamines, Anne (2005) : Linguistique de corpus et Terminologie, in Langages, 39e année, no. 157, pp. 36-47 (CNRS. Equipe de Recherche en Syntaxe et Sémantique, Toulouse).
- Condamines, Anne, et Dehaut, Nathalie : Mise en œuvre des méthodes de la linguistique de Corpus pour étudier les termes en situation d'innovation disciplinaire : le cas de l'exobiologie.
- Rastier, François, (2002) : Enjeux Epistémologiques de la Linguistique de Corpus, Lorient, Septembre 2002, il sera recueilli dans les Actes à paraître sous la direction de Geoffrey Williams aux Presses Universitaires de Rennes.
- Sinclair, J. (1991) : Corpus, Concordance, Collocation. Oxford : Oxford University Press.

- Vankova, Sarka (2008) : Linguistique de corpus, Focalisation sur les outils électroniques, Université de Roumanie, 60pages.
- Vaguer, Céline : Corpus, Vous avez dit Corpus ? De la notion de Corpus à la Création d'un Corpus informatisé, Université Paris X-Nanterre.

المعالجة الآلية للتطور الدلالي وفق لغويات المدونة المحوسبة دراسة دلالية حاسوبية

د. بدرية بنت براك العنزي^١

ملخص

تهتم هذه الدراسة بمعالجة التطور الدلالي وفق منهجية بحثية جديدة في الدرس اللساني التطبيقي الحديث، بتوظيف لسانيات المدونات المحوسبة corpus-based linguistics وما تتيحه من أدوات برمجية وأساليب إحصائية، لمعرفة مدى إمكانية قياس التطور الدلالي للتلازم اللفظي، ومعرفة المقياس الإحصائي المناسب لقياس التلازم، وتتبع الدلالات الجديدة وما حدث لها من تطور بمختلف مظاهره عبر العصور، وأثر السياق في ذلك. واعتمدت الدراسة منهج التحليل المدوناتي الذي يدرس اللغة في استعمالاتها الفعلية في الحياة الواقعية، انطلاقاً من مدونات لغوية حاسوبية تمثل اللغة، وبناء على أساليب تحليلية وأدوات معالجة برمجية معتمدة في دراسة اللغات الطبيعية. وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها: أن التطور الدلالي يشكل الركيزة الأساس في حياة الألفاظ اللغوية، وأهمية البرامج المحوسبة في تفسير النظريات اللغوية الحاسوبية، وأن التلازم اللفظي مدخل لفهم معنى المفردات عبر الألفاظ التي تتوارد معها وترتبط بها. وختمت الدراسة بعدد من التوصيات لعل من أهمها إثراء مجال معالجة اللغة العربية حاسوبياً عبر دراسات وأبحاث متخصصة تشمل مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وتستفيد قدر الإمكان من لغويات المدونات المحوسبة.

١- جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن. الرياض.

الكلمات المفتاحية: التطور الدلالي، المدونات المحوسبة، التلازم اللفظي، منهج التحليل المدوناتي، المعاني السياقية، المقياس الإحصائي.

Abstract

Using software tools and statistical methodology of corpus linguistics, the present study addresses semantic development in Arabic. It aims at assessing the possibility of measuring the semantic development of collocations, and explore the adequate statistical tools needed to examine the development process of collocations. It also seeks to understand, on the basis of corpus linguistics, the contextual implications of collocations and explore aspects of semantic development. On the basis of corpora representing language in real life usage, it applies analytical methods of natural language processing to reach a number of conclusions, namely that semantic development represents the main pillar of a language life cycle: change, develop or become archaic. It also shows the importance of software in the framing and interpretation of computer-based linguistic theories, and that the study of collocations is an adequate way to understand the meaning of words. Among the main recommendations advanced at the end of this study the need to make the best use of corpus linguistics in studying Arabic on various phonetic, morphological, syntactic and semantic levels.

Keywords: semantic development, electronic corpora, collocations, corpus linguistics approach, contextual meanings, statistical factor.

مقدمة

اللغة كائن حي بحاجة للنمو والتطور؛ فهي تستمد حياتها من المجتمع، تتقدم بتقدمه وتنهزم بانهزامه، فهي عرضة للتغيير والتطور في ألفاظها ووحداتها. والتطور الدلالي ليس حكرًا على لغة دون أخرى بل يدركه كل متتبع لمراحل نمو اللغة عبر الأزمنة المتعاقبة. وبمنظرة سريعة في التراث العربي، سنلاحظ التطور الدلالي بالتمدد الأفقي والرأسي للمفردات اللغوية اكتساباً وتنمية وما يصاحب هذا التمدد من اتساع واختزال للذاكرة اللغوية. وهو ما يذهب إليه العالم اللغوي (Nida) الذي يرى «أن معاني الكلمات لا يمكن أن تظل ثابتة بل إنها على الدوام تنتقل في هذا الاتجاه أو ذاك تحت ضغط عامل لغوي وثقافي آخر»^(١).

وتعني دراسة التطور الدلالي برصد الألفاظ والمصطلحات والوحدات المعجمية في حياتها التاريخية، ومن هذه الوحدات المتلازمات اللفظية؛ فهي ليست بمعزل عن ألفاظ اللغة ومصطلحاتها ووحداتها؛ بل تمثل رصيذاً لغوياً يميز كل جماعة لغوية عن الأخرى، وتتطور وتتغير دلالاتها على مر الزمن.

ومع الطفرة التكنولوجية الحديثة، ظهرت لسانيات المدونات، وهي منهجية جديدة في الدرس اللساني الحديث ذات آليات برمجية وتقنية في معالجة البيانات؛ إذ تركز على جانبين، الأول: الجانب النظري الذي يبحث في الفرضيات أو المشكلات اللغوية، والآخر تطبيقي، ويُعنى بالتمذجة الحاسوبية للظواهر اللغوية. وتهيأ الحاسوب للقائه مع اللغة بالسرعة الفائقة وضخامة الذاكرة وضآلة الحجم، وأساليب الذكاء الاصطناعي، ولغات البرمجة الراقية؛ إذ تكمن المعالجة الآلية للغة في التحليل الرياضي والمنطقي والإحصائي.

ومن يمعن النظر في الواقع اللغوي يلحظ التطور المتسارع لألفاظ اللغة ووحداتها المعجمية، كما يلحظ مدى إمكانية دراسة هذا التطور والتدفق المعرفي للعربية حاسوبياً بكافة مستوياتها اللغوية؛ إذ إنها ليست بمنأى عن الحاسوب وبرامجه المتطورة وكيفية الاستفادة منه وتطويعه لخدمة اللغة بشكل عام والعربية بوجه خاص. ويعد المستوى الدلالي من أصعب الأنظمة اللغوية على الآلة، ويعود ذلك إلى طبيعة الدلالة ومستوياتها اللغوية والثقافية واختلافاتها تبعاً لذلك، وإشكالية السياق في تحديد

المعاني الدلالية للمفردات والألفاظ.

والتحليل الدلالي للعربية ذو أهمية كبيرة؛ إذ يتطلب تحديد معاني المفردات ومعرفة سياقاتها وتتبع معانيها المتعاقبة عبر الأزمنة المتوالية. ولا تزال المعالجة الدلالية الحاسوبية للعربية في مراحلها الأولى وتحتاج إلى المزيد من الدراسات والأبحاث حتى تصل إلى مرحلة التطبيق والبرمجة. وتأقي هذه الدراسة انطلاقا من العلاقة التكاملية بين اللغة والحاسوب ومحاولة الإفادة من منهجية لسانيات المدونات وتطويرها لمعالجة ظاهرة التطور الدلالي للألفاظ من خلال التلازم اللفظي باستخدام الآليات التي تتيحها المدونة العربية - عينة الدراسة - لمعرفة الألفاظ الجديدة من خلال التلازم، ومعرفة معانيها المستحدثة عبر الأزمنة المتوالية. وترتكز هذه الدراسة على المحاور التالية:

- مدى إمكانية قياس التطور الدلالي للتلازم اللفظي من خلال استخدام منهج لغويات المدونة الحاسوبية.
- تتبع المتلازمات المستحدثة باستخدام منهج لغويات المدونة الحاسوبية، والفترات التي ظهرت فيها معاً متوالية عبر الزمن.
- معرفة المعاني الدلالية المستحدثة للمتلازمات اللفظية من خلال استخدام منهج لغويات المدونة الحاسوبية.
- معرفة بعض مظاهر التطور الدلالي التي حدثت للمتلازمات اللفظية بتوظيف منهج لغويات المدونة الحاسوبية.

وقد اشتملت الدراسة على مبحثين:

المبحث الأول: الإطار النظري، وسيتم التطرق فيه إلى التطور الدلالي وعوامله ومظاهره، ولغويات المدونة الحاسوبية، وكيفية تحليل التابع اللفظي في لغويات المدونات الحاسوبية.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي، وسيتم الحديث فيه عن آليات التحليل بحسب مفاهيم لسانيات المدونة الحاسوبية، والمعالجة اللغوية والحاسوبية.

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية هذه الدراسة في إعادة النظر في قضية التطور الدلالي للألفاظ بطريقة فريدة وجديدة تكمن أساساً في إعمال المدونة الحاسوبية العربية في دراسة التطور الدلالي للمعاني والألفاظ، وهي طريقة منهجية بحثية جديدة في الدرس اللساني التطبيقي الحديث، Corpus-based Linguistics. وتقوم هذه الدراسة على مدونة حاسوبية ذات بيانات ضخمة وبمساعدة أدوات برمجية وأساليب قياس إحصائية، تقيس التردد والتكرار للمفردات المتلازمة، ثم تتبع تطورها الدلالي عبر الزمن، سواء كان هذا التطور (تعميماً للدلالة أو تخصيصاً لها أو انتقالاً لها أو رقيقاً)؛ إضافة إلى أن هذه البيانات الضخمة التي يتعذر التعامل معها بالإحصاء اليدوي، تتيح لنا الابتعاد عن الحدس والتخمين، وتعطينا نتائج أقرب تمثيلاً لطبيعة اللغة وواقعها الاستعمالي. ومما يعزّز من أهمية هذه الدراسة أنها ستتناول ظاهرة التطور الدلالي للألفاظ بأساليب تحليلية أكثر دقة من الطرق المعهودة في الدراسات اللسانية التقليدية، مازجة بين منهجي التحليل الكمي (الإحصائي) والتحليل الكيفي (النوعي) خصوصاً أن الإحصاء يمهد السبيل للبحث العلمي الدقيق، ف«بعد أن دانت اللغة للصياغة الإحصائية والرياضية جزئياً للتحليل المنطقي، أصبح الطريق ممهداً لدخولها مرحلة المعالجة الآلية، تأكيداً لوصولها لمرحلة متقدمة من النضج العلمي»^(٢). ومن المؤمل أن تفتح هذه الدراسة المجال لدراسات دلالية مستقبلية على نطاق أوسع وأشمل.

منهجية الدراسة: تقتضي طبيعة الدراسة اتباع منهج التحليل المدوناتي الذي

يدرس اللغة في استعمالها الفعلية في الحياة الواقعية، باعتماد مدونات لغوية حاسوبية تمثل لغة معينة واستناداً إلى أساليب تحليلية، وأدوات معالجة برمجية في دراسة اللغات الطبيعية.

ويعتمد المنهج المدوناتي على: التحليل الكمي الذي يقوم على منهج الإحصاء والقياس، ويتمثل في إحصاء تكرار الظواهر اللغوية المعنية بالدراسة، ووصولاً بالنتائج إلى قياسات إحصائية قائمة على أسس حسابية دقيقة تتسم بالدقة والموضوعية والموثوقية في تعميم نتائج الدراسة. والتحليل النوعي: الذي يتتبع الظاهرة ويصفها كما هي دون تدخل من الباحث بإبداء رأيه أو اعتماده على حدسه اللغوي. ولا يمكن

الاكتفاء بالتحليل الكمي دون النوعي؛ لأن الكمي مجرد أرقام حسابية دخلت الدرس اللغوي لتكسب التحليلات النوعية تصوراً أدق لمدى شيوع تلك الظواهر أو ندرتها، ثم يأتي المنهج النوعي ليحلل ويفسر الأسباب، ويثري الدرس اللغوي بنتائج دقيقة بناء على ما أظهرته النتائج^(٣)، مما يساعد الباحث في تحليله للنصوص كمّاً ونوعاً. ويبقى على الباحث بعد ذلك جودة المعالجة لهذه النتائج، ومحاولة تفسيرها.

المبحث الأول: الإطار النظري

أولاً: التطور الدلالي

لعلماء العربية جهود جليلة في الدرس الدلالي الذي يبحث في العلاقة بين اللفظ والمطلوب وفي تطور معانيها تاريخياً وفي معنى الكلمة والسياق، ولا يمكن دراسته بعيداً عن دراسة مدلولاتها وما تدل عليه من معانٍ تُجلى هدف المتكلم من كلامه. ويُعرف التطور الدلالي بأنه: «تغير معنى الكلمة على مر الزمن بفعل إعلاء، أو انحطاط، أو توسع، أو انحسار، أو مجاز، أو نحو ذلك»^(٤).

ويجدر بنا هنا أن نفرق بين مصطلحي التطور اللغوي والتطور الدلالي، فالأول عام يتناول اللغة بكل جوانبها الصرفية والصوتية والنحوية والدلالية^(٥)، أما مصطلح التطور الدلالي فهو خاص بوسائل اللغة التي تعتمدها لتوليد ألفاظها وتحسينها أو تحويلها وتحويلها بما يتوافق وحاجات أهلها.^(٦) فهو خاص بالتغير الذي نشأ في المفردات أو التراكيب «ومتابعة هذا التغير الذي يؤدي إلى حدوث دلالات جديدة، وخلع القديمة والبحث في أسباب ذلك التغير ونتائجه ومظاهره»^(٧)، أو هو التغير في دلالات الكلمات وسبل تطورها ما أمكن ذلك. وتنقسم المعاني الدلالية إلى قسمين، هما:

- الدلالة المركزية: ويقصد بها المعنى المركزي أو الأساس وعرفه (Nida) بأنه المعنى المتصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في أقل سياق، أي حينما ترد منفردة^(٨) وهي المعنى الذي يقدمه مؤلفو المعاجم.
- دلالة السياق: وهي ظلال المعاني التي تتغير بتغير الثقافة أو الزمن وتختلف باختلاف الأشخاص وتجاربهم وخبراتهم؛ فالعلاقة بينهما علاقة الجزء بالكل.

مظاهر التطور الدلالي: للتطور الدلالي مظاهر عدة، وهي على النحو التالي:

١- **تعميم الدلالة:** ويعرف بأنه «توسع معنى اللفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أتم وأوسع»^(٩)، ويعني أن دلالة اللفظ تتسع لتشمل معان أكثر مما كان عليه في دلالته الأصل. ويحدث التعميم الدلالي نتيجة إسقاط بعض الملامح التمييزية للفظ؛ فالطفل الذي يطلق كلمة (عم) على كل رجل فقد أسقط من الملامح التمييزية (القربة) واكتفى بملحمي (الذكورة والبلوغ)^(١٠).

٢- **تخصيص الدلالة:** ويقصد به تحويل دلالة الكلمة من المعنى العام إلى المعنى الخاص، ويعني ذلك إضافة ملامح دلالية خاصة باللفظ وتخصيصه بها دون غيره، وقد يأتي التخصيص باندثار المعنى السابق للفظ أو أن يبقى هذا المعنى مصاحباً للمعنى الجديد. وذكر بعض اللغويين أن ظاهرة التخصيص الدلالي أكثر شيوعاً من التعميم الدلالي^(١١).

٣- **رقي الدلالة:** ويسميه إبراهيم أنيس بـ(التغير المتسامي)؛ لأن الدلالة فيه تسمو وترتقي بعد أن كانت تدل على معنى ليس فيه دلالة على الرفعة أو الشرف^(١٢) ورقى الدلالة وانحطاطها مرتبط بالقيم الاجتماعية، فالمجتمع هو المستعمل للغة، وقد تغير بعض مفاهيمه وعاداته، أو يختلف من مجتمع إلى آخر، وبالتالي يختلف الحكم على دلالة الألفاظ رقياً وانحطاطاً. ويرى بعض اللغويين أن رقي الدلالة يحدث أكثر من انحطاطها^(١٣)، ومن ذلك دلالة كلمة المجد التي ارتقت من امتلاء بطن الدابة إلى معنى العزة^(١٤).

٤- **انحطاط الدلالة:** ويحصل الانحطاط الدلالي عندما تنحط الدلالة من مجال يُجلُّه المجتمع إلى مجال آخر يبتذله، وهو تغير معاكس لرقى الدلالة؛ فبعض الألفاظ تبدأ حياتها بأن تعبر عن أمر شريف ثم بتعاقب الزمن يقل الاهتمام بها، فتستعمل في مجالات أضعف من مجالها الأول، فينزل قدرها بين الناس حتى تصبح مردولة، مثل: كلمة (الحاجب) التي كانت تعني رئيس الوزراء في الدولة الأندلسية، أما اليوم فتعني الحارس أمام باب الإدارة^(١٥) ولعل أكثر الكلمات ذات الدلالة المعرضة للانحطاط هي ما يتعلق بالجنس من ألفاظ ودلالات، كما أن تحاشي ذكر بعض الألفاظ صراحة يمجّجها الذوق العام والبحث عن طرق أخرى للتعبير عنها

بـ (التلطف وحسن التعبير).

هـ- انتقال الدلالة: ويعني الانتقال الدلالي أن تخرج الكلمة من معناها القديم إلى معنى آخر له علاقة به، ويكون هذا الانتقال إما لعلاقة المشابهة بين المدلولين، أي (استعارة) أو لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين، أي (المجاز المرسل)، ويتمثل هذا الانتقال من المجال المحسوس إلى المجال المجرد أو العكس، ومن المجال الحقيقي إلى المجال المجازي لعلاقة المشابهة أو لغيرها. وهناك أسباب عدة للتطور الدلالي غير ما ذكر كالأسباب النحوية والسياقية والاشتقاقية وغيرها مما لا يتسع المجال لذكره في هذه الدراسة.

ثانياً: لغويات المدونة الحاسوبية

يشهد العالم اليوم ثورة حقيقية في مجال البحث اللساني أدت إلى ظهور العديد من الدراسات اللغوية والمناهج الحديثة التي فتحت آفاقاً جديدة لدراسة اللغة بصورة أعمق وأشمل. وازداد الاهتمام بالمدونات الحاسوبية في العقود الأخيرة؛ وبرز في هذا الجانب العديد من العلماء؛ أمثال سنكلير (Sinclair) وهوي (M. Hoy) وستابز (Stubbs) وغيرهم، الذين يرون إمكانية دراسة الألفاظ اللغوية باستخدام منهج المدونات الحاسوبية من خلال تحديد تكراراتها في النص، وتكراراتها مع غيرها من الكلمات^(١٦)، ومعرفة سياقاتها التي ترد فيها، ومعرفة التصاحبات اللفظية التي تظهر معها، باستخدام أدوات برمجية حاسوبية. وقد تعددت وجهات نظر العلماء والباحثين في هذا العلم؛ فمنهم من يرى أنه علم قائم بذاته، ومنهم من يرى أنه منهج بحثي مقنن له أدواته وطريقته التي تميزه عن غيره من طرق البحث في اللسانيات التطبيقية. وترى الباحثة أن لغويات المدونة الحاسوبية ما هي إلا منهج وآلية تُدرس بها الظواهر اللغوية، ويعتمد عليها في الإجابات عن التساؤلات البحثية والفرضيات المصوغة مسبقاً. ومن خلاله يمكننا دراسة أغلب فروع اللسانيات النظرية والتطبيقية. وهذا ما ذهب إليه مكارني وآخرون^(١٧).

وتعددت الترجمات العربية لمصطلح المتلازمات اللفظية، كالتضام^(١٨) والتصاحب والرصف^(١٩)، ويقابلها مصطلح Collocation في اللغة الإنجليزية، والتلازم وما

دار في فلكه يدل على مجموعة الكلمات التي تتواتر معاً. وتُحدد الكلمات المتصاحبة معاً من خلال سياقات معينة ذات نطاق محدد بعدد معين من المتصاحبات في نفس السياق قبل الكلمة وبعدها؛ بامتداد من $1-+$ إلى $4-+$ ^(٢٠). ويعتمد تحليل التتابع اللفظي في لغويات المدونات الحاسوبية على عدة مفاهيم هامة، وهي:

- التكرار (Frequency): إن حساب التكرارات للكلمات يعطي دليلاً كمياً عن مدى شيوع استخدامها وتداولها أو ندرتها. وبالنسبة لحساب التكرار في التصاحب اللفظي فهو يعني تكرار الكلمة المركزية في النص مع تكرار الكلمة الملازمة لها.

- الكلمة المركزية (Nodal item): وتعني الكلمة المراد البحث عنها، والانطلاق بالبحث الآلي منها.

- الكشف السياقي (Concordance): ويهدف إلى الكشف عن السياقات التي ترد فيها الكلمة المركزية، وينصب على استخراج سياقات الكلمة آلياً في سلسلة من الكلمات المتتابة قبل الكلمة المركزية وبعدها.

- التصاحب اللفظي (Collocation): ويقاس درجة مدى الارتباط بين الكلمة والأخرى التي تظهر معها في السياق من خلال عدة مقاييس إحصائية؛ لقياس قوة الترابط فيما بينها. ومن هذه المقاييس مربع كاي (Chi-Square) ومعامل الغرابة (CHI Squared) والمعلومات المتبادلة (Mutual information) و (T. Score) و (Z. Score) و (Log Dice) ومعامل التشابه اللوغاريتمي (Loglikelihood).

- المدى (Span): ويقصد به الكلمات المصاحبة للكلمة المركزية، وتُحدد بخمس كلمات ترد قبل الكلمة المركزية وبعدها^(٢١).

فالتتابع اللفظي من وجهة نظر حاسوبية بمثابة حجر الزاوية لدراسة معاني الألفاظ ودلالاتها، والبيانات الإحصائية (الكمية) تعد منهجاً رئيساً لدراسة التلازم والتتابع بالإضافة إلى المنهج النوعي.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي، المعالجة اللغوية والحاسوبية

أولاً: منهجية التحليل وأدواته:

لابد لأي باحث أن يحدد فرضيته اللغوية التي بدورها تحدد نوع المدونة اللغوية ونوع النصوص وعددها وما توفره من أدوات برمجية ملائمة. ومن الممكن أن ينشئ الباحث مدونته الخاصة التي تفي بأغراضه البحثية في حال عدم إيفاء المدونات اللغوية الشبكية بذلك. وفيما يتعلق بمدونة هذه الدراسة التي تناسب اختبار أسئلتها البحثية، وفرضيتها اللغوية؛ فقد اعتمدت الباحثة المدونة العربية التابعة لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، التي تعد أحد المشاريع الاستراتيجية لمبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز للمحتوى العربي. وذلك لتمييزها بالتوازن والتمثيل، ووضوح معايير تصميمها، وكونها مدعومة بأدوات للبحث، والتحليل اللغوي والإحصائي؛ مما يُمكن من الاستفادة من موادها، ووضوح تصنيف النصوص (كل نص يصنف من حيث الفترة الزمنية والمنطقة والمجال والموضوع)، بالإضافة إلى حجمها الكبير، مما يُمكن من الوثوق بنتائجها والاعتماد عليها، وإتاحتها للاستخدام المجاني على الموقع الإلكتروني التالي: (<http://www.kacstac.org.sa>)^(٢٢). وقد قامت الدراسة على عدد من الخطوات الإجرائية التي أخذت وقتاً وجهداً ليسا باليسيرين، وأهم هذه الخطوات ما يلي:

الخطوة الأولى: تمثلت في استعراض الدراسات والأبحاث ورسائل الماجستير والدكتوراه التي تناولت التطور الدلالي والدلالات المستحدثة في العصر الحديث، ووضع قائمة أولية لهذه الدلالات الجديدة.

الخطوة الثانية: البحث في بعض المعاجم العربية كمعجم الغني الزاهر والمعجم الوسيط والمعجم الكبير؛ للتأكد من حداثة هذه الدلالات وجدّتها في العصر الحديث. ونظراً لكثرة الدلالات المستجدة؛ ولأنه ليس من هدف الدراسة الجمع والاستقصاء. فقد تم الاستقراء على دلالة جديدة واحدة لكل حرف من الحروف المعجمية، تم اختيارها لكونها الأكثر تغيراً بين بقية الدلالات إضافة إلى حداثةها، وسيتم دراستها دراسة حاسوبية دلالية.

الخطوة الثالثة: المعالجة الحاسوبية، وهي عبارة عن إجراءات عديدة يجمعها ارتباطها بالمدونة العربية والحاسوب، وتم فيها الآتي:

- الدخول إلى موقع المدونة العربية على الشبكة العنكبوتية واختيار (محرك البحث) من القائمة، وإدخال الكلمة المراد البحث عنها، لمعرفة ورودها في المدونة من عدده، ومعرفة عدد مرات تكرارها وشيوعها. وسياقاتها، والأخذ ب (٥٠٠) سياق أولي، وحفظ هذه البيانات في مستندات خاصة.
- ثم إدخال الكلمة مفردة في محرك (تكرار الكلمة) وتحديد نطاق البحث في الكلمة من خلال اختيار (توزيع الأزمنة) لمعرفة توزيع الكلمة على الفترات الزمنية، ومعرفة بداية ظهورها زمنياً، ومن ثم حفظها في مستندات خاصة.
- ثم إدخال الكلمة بمقياس التصاحب اللفظي لمعرفة الكلمات التي تتصاحب معاً، وهناك عدة مقاييس إحصائية لقياس قوة الترابط بين الكلمات، ورأت الباحثة أن أكثر هذه المقاييس مناسبة لهدف البحث هو المقياس الإحصائي (معامل التشابه اللوغاريتمي Log Likelihood) للميزات التالية:

١- أن مقياس Log Likelihood لا يفترض أي توزيع إحصائي للبيانات، ولا يعتمد على حجم المدونة.

٢- أن معامل التشابه اللوغاريتمي يركز على الكلمات المعجمية ذات المحتوى، ولا يولي الكلمات النادرة الورد اهتماماً.

٣- أن قيمة التشابه اللوغاريتمي أكبر من ٢٤، مما يعطي نسبة ثقة عالية جداً. وسيتم ترتيب المتلازمات وفق المقياس الإحصائي وبناء على الأعلى تكراراً، وبالتالي الأكثر استعمالاً. ويتطلب اختبار ما إذا كانت كلمتان متلازمتين الآتي:

- ١- أن يكون تكرار المتلازمة في المدونة أكبر من أو يساوي ١٠.
- ٢- أن يكون تكرار المتلازمة في السياق أكبر من أو يساوي ٥.
- ٣- الأخذ بالرتب العشرين الأولى فقط، نظراً لكثرتها.
- ٤- يكون مدى السياق للكلمات السابقة للكلمة المركزية (صفر) وللکلمات

اللاحقة (١).

٥- ثم تُرتب نتائج قوة التلازم تصاعدياً، ثم تنسخ وتحفظ في ملفات إكسل حتى يسهل التعامل معها، ثم تُفرز، ويُقتصر على (٢٠) متلازمة الأولى والأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية أو الأساس.

- ثم يأتي دور المعالجة الآلية للوحدة المعجمية (المتلازمتان معاً) بأن تُدخل معاً في محرك (توزيع التكرار) واختيار (توزيع الأزمنة) لمعرفة توزيع الكلمتين معاً على الفترات الزمنية، ومعرفة بداية ظهورهما معاً زمنياً، ومن ثم حفظها في ملفات إكسل حتى يسهل التعامل معها بيانياً.

- ثم تعالج الوحدة المعجمية (المتلازمتان معاً)؛ بأن تُدخل الكشاف السياقي معاً بامتداد (٥-٥) سابقاً ولاحقاً لهما؛ إذ يفني هذا الامتداد بإيضاح سياق المتلازمتين ودلالاتهما معاً، وبـ (٢٠٠) سياق أولي، ثم يتم حفظ هذه الكشافات السياقية في ملفات إكسل؛ تمهيداً لدراستها دراسة دلالية بصورة دقيقة.

الخطوة الرابعة: في هذه الخطوة، ينتقل البحث إلى الجهد البشري الخالص المتمثل في المعالجة والتحليل والتفسير لهذه النتائج والكشافات السياقية. وأبرز ما قامت به الباحثة في هذه الخطوة ما يلي:

- تتبّع الكشافات السياقية للوحدات المتلازمة ومرادفاتها.
- الدراسة الدلالية للمتلازمات الجديدة، وملاحظة ما حصل لها من تعميم أو تخصيص أو رقي أو انحطاط أو انتقالي دلالي بكافة علاقاته الدلالية.

ثانياً: محددات المعالجة الحاسوبية

عند غياب تشكيل الكلمة المركزية، كما في الصيغ: (طرق، طَرَق، طُرُق)، الذي بدوره يؤدي إلى الاختلاف في المعنى؛ فإنه تم الأخذ بكل المفردات العشرين الأولى التي تلازمت مع (طرق)، وقد يُعزى هذا الاختلاف إلى غياب التوسيم النحوي في المدونة.

- أما علامات الترقيم والأرقام التي تظهر كمتلازمة مع الكلمة الأساس وفق المقياس الإحصائي؛ فإنه تم استبعادها، لعدم أهميتها في المعنى.
 - وفي حال ورود أسماء الأعلام عربية كانت أم أجنبية؛ فإنها تحذف؛ لأنها ليست من التلازم في شيء.
 - الكلمات الوظيفية تُحذف؛ لأنها لا تخدم الدراسة الحالية.
 - القيم الإحصائية السالبة؛ تحذف؛ ولا يتم الالتفات إليها؛ لأنها دالة على التنافر بين المفردات لا التلازم.
 - قد ترد بعض المفردات التي تتلازم مع الكلمة المركزية مرة بأل التعريف وأخرى بدونها، وقد تم حذفها في إحدى الكلمتين؛ لإفادة كل منهما المعنى ذاته.
- ولا يخفى على مجرّب ما في هذه الخطوات من صعوبة، سواء حفظ الكلمات محل الدراسة والبحث من المدونة، ونسخها في مستندات لتكون جاهزة للمعالجة، وكذلك قراءات هذه الكشافات السياقية دلاليًا، وتحديد مظاهرها الدلالية وما حدث لها من تطور دلالي.

ثالثاً: التحليل ونتائج الدراسة

١- الكلمة المركزية (أزمة):



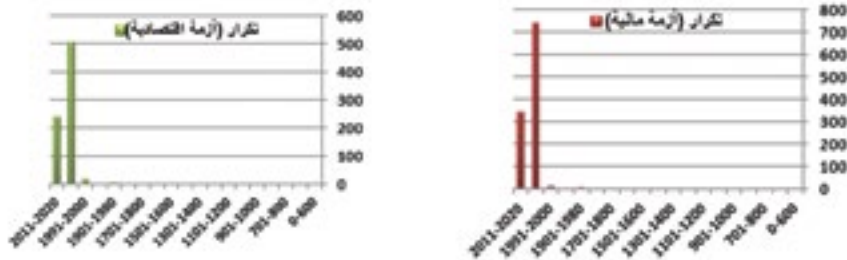
شكل رقم (١) يوضح ورود كلمة أزمة عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٤٧,٨٥٠	منذ عام ٦٠١ م - ٢٠٢٠ م	مالية، اقتصادية، سياسية، النووية، الراهنة، الحكومية، الحالية، الكونية، حقيقية، قلبية، البنكية، الرياضية، العقارية، المرورية، المياه، الانتمانية، الإسكان، جديدة، الرهن، البطالة.

جدول رقم (١) يوضح متلازمات كلمة أزمة

تعني الأزمة في المعنى الأصل الشدة والقحط^(٢٣)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٦٠١ م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (مالية، اقتصادية، سياسية، ...). وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



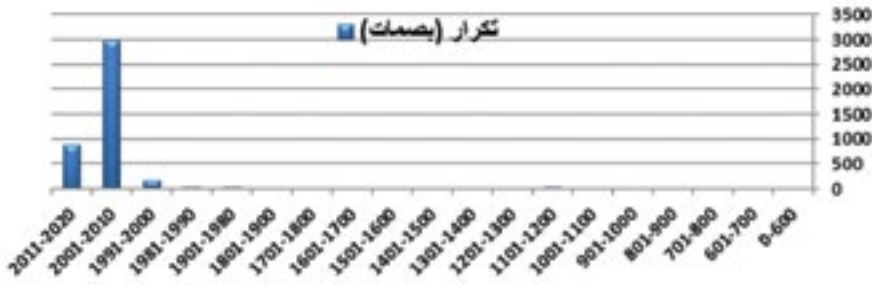
شكل رقم (٢) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
اضطراب فجائي يطرأ على التوازن الاقتصادي في دولة ما.	منذ عام ١٩٠١ م	أزمة مالية
اضطراب طارئ على التوازن الاقتصادي، وينشأ عن خلل التوازن بين الإنتاج والاستهلاك		أزمة اقتصادية

جدول رقم (٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي يتمثل في:

- تخصيص دلالي، فقد أضيفت لهما ملامح دلالية خاصة بواسطة التلازم اللفظي وهو الملمح الاقتصادي؛ فأصبحت كلتاها تدلان على اضطراب مفاجئ يضرب اقتصاد الدولة. واتخذت الدلالة منحى سلبي؛ فعندما يسمع الشخص كلمة أزمة؛ فإنه يستدعي الأمر السيء (أزمة قلبية، أزمة سياسية،...) .
 - انتقال دلالي بواسطة التلازم اللفظي عن طريق المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع الشدة والضييق في كل.
- ٢- الكلمة المركزية (بصمات):



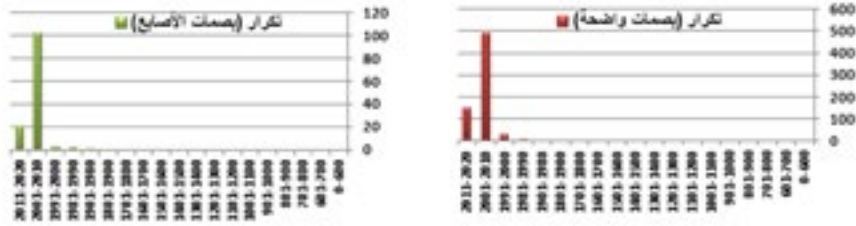
شكل رقم (٣) يوضح ورود كلمة بصمات عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٤٠١٠	منذ عام ١١٠١م	واضحة، الأصابع، خالدة، الأجداد، سلبية، فنية، الجهات، الزمن، مؤثرة، عديدة، فنية، الرئيس، اليد، فكرية، عظيمة، المتهم، قوية، القاعدة، العواطف، المجرمين.

جدول رقم (٣) يوضح متلازمات كلمة بصمات

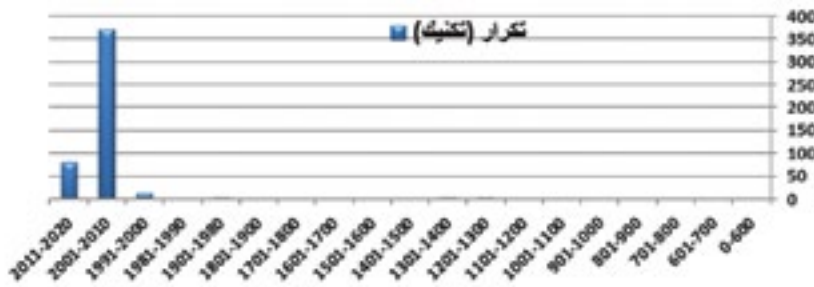
تعني (البصمة) في السابق بمعنى الطبع^(٢٤)، وظهرت في الاستعمال والاستخدام منذ عام ١١٠١م، واستمرت في التداول والشيوع حتى الوقت الحالي، وقد تلازم معها عدد من المفردات الملازمة لها، كـ (واضحة، الأصابع، خالدة،....).

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



أحدنا المتلازمة (بصمات الأصابع) مباشرة يتجه الاستدعاء للمعنى الدلالي المختص بالتحقيق الجنائي، فهنا حصل للمتلازمة تخصيص دلالي؛ إذ أضيف إليها ملمح دلالي وهو ما تتركه الأصابع من أثر للدلالة على الشخص المطلوب بعينه وتحديد هويته؛ بحيث لا يمكن وجود بصمتين متماثلتين لشخصين، وتعد من أهم أدوات التحقيق الجنائي. أيضًا من وجوه التطور الدلالي لـ (بصمات الأصابع) الانتقال الدلالي عن طريق المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع ترك الأثر في كل.

٣- الكلمة المركزية (تكنيك):



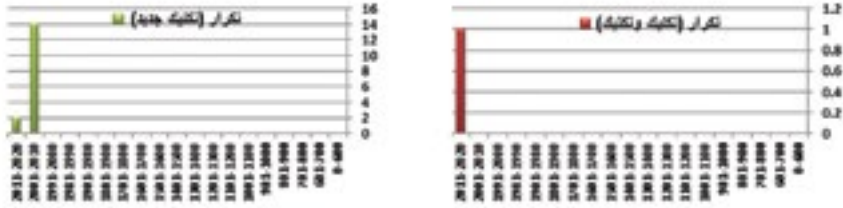
شكل رقم (٥) يوضح ورود كلمة تكنيك عبر الزمن

المفردات المتلازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
وتكنيك، جديد، سياسي، انتخابي، دفاعي، فني، مرحلي، حكومي، عسكري، هجومي، فاشل، عال، واضح، الفريق، تفاوضي، مخادع، خاص، ناجح، واستراتيجية، بارع.	منذ ١٩٩١م	٤٦٣

جدول رقم (٥) يوضح متلازمات كلمة تكنيك

التكنيك في الأصل يعني الأسلوب أو الطريقة الفنية لإنجاز عمل ما. وقد ظهرت في العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (وتكنيك، جديد،...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



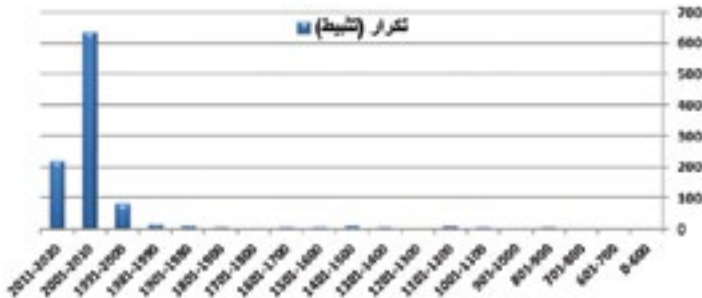
شكل رقم (٦) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
تكتيك وتكتيك	منذ عام ٢٠١١م	طريقة احترافية للإنجاز
تكتيك جديد	منذ عام ٢٠٠١م	

جدول رقم (٦) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلاحظ أن المتلازمات (تكتيك وتكتيك، تكنيك جديد) ظهرت في العصر الحديث، ولم يحدث لهما أي تطور دلالي؛ وقد يعود ذلك لأنهما مستحدثتان في العهد القريب الحديث، ومن خلال الكشفات السياقية تبين أنهما متداولتان في المجال الرياضي بكثرة، ويعنيان أسلوباً فنياً مستحدثاً أو طريقة احترافية في إنجاز عمل ما.

٤- الكلمة المركزية (تشبيط):



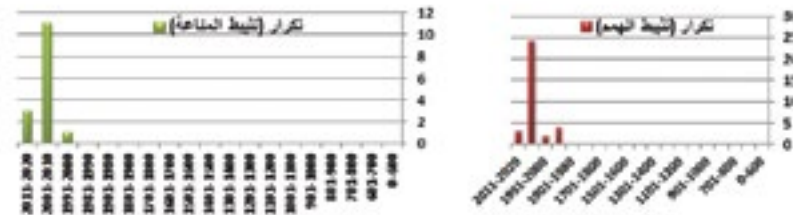
شكل رقم (٧) يوضح ورود كلمة تشبيط عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هو
٢٩٧٧	منذ عام ٨٠١م	الهمم، المناعة، نشاط، العزائم، همة، الشهية، فعالية، إنزيم، الخلايا، الجهاز، العزيمة، جينات، حركة، الالتهابات، تقلصات، مورثات، للهمم، إفراز، الشيطان، المكورات.

جدول رقم (٧) يوضح متلازمات كلمة تثبيط

ورد اللفظ (تثبيط) منذ عام ٨٠١م، وبتواتر عال في العصر الحديث، ويدل في معناه الأصل على (ثبط: ثبطه عن الشيء تثبيطاً إذا أشغله عنه)^(٢٥)، وقد تلازم معها العديد من المتلازمات التي تعطي معاني دلالية سياقية، ك (الهمم، المناعة، ... وغيرها.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٨) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

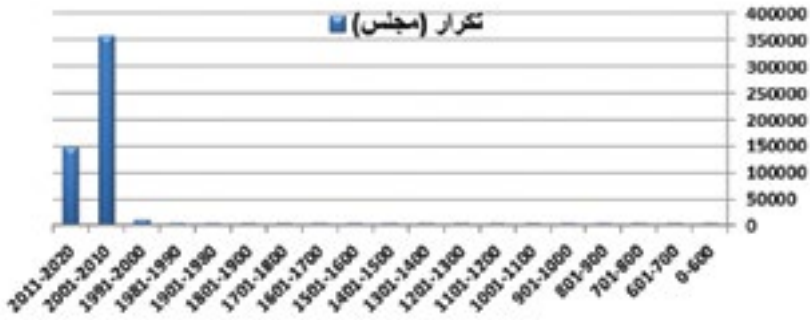
المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
تثبيط الهمم	منذ عام ١٩٨١م	إعاقة الشخص عن عمل ما، وإضعافه وجعله حائزاً
تثبيط المناعة	منذ عام ١٩٩١م	عدم قدرة الجهاز المناعي على حماية الجسم

جدول رقم (٨) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي تمثل في:

- اتجاه الدلالة السياقية لـ (تثبيط الهمم) بعد التلازم اللفظي إلى الانتقال الدلالي من مجال حسي إلى مجال معنوي نفسي الذي يعني طريقة من طرق توجيه الميول النفسية بطريقة مستهجنة عن طريق المجاز الاستعاري بجامع الإحباط في كل.
- أفاد التلازم في (تثبيط المناعة) التخصيص الدلالي، فقد أضيف ملمح خاص بالمجال الطبي، ويعني المناعة التي تقوم بتثبيط الجهاز المناعي وتخميده، وعدم قدرته على حماية الجسم مما يؤدي إلى حدوث أو انتشار العدوى في الجسم.

٥- الكلمة المركزية (مجلس):



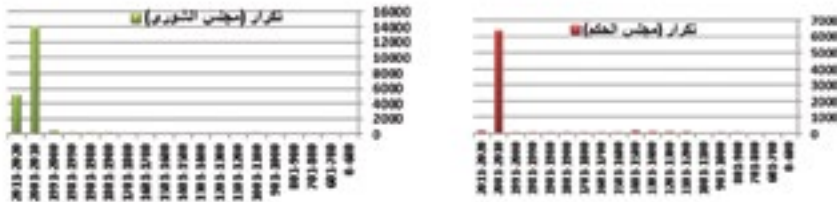
شكل رقم (٩) يوضح ورود كلمة مجلس عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترة الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٥٣٣٠٧٧	بين ٦٠٠٠ م	الحكم، الشورى، الأمناء، القضاء، العمداء، وزراء، الجامعة، الرئاسة، الخدمة، العموم، الاحتياطي، التعليم، الدولة، النقابة، الكلية، المفوضين، القسم، المستشارين، العلاقات، المنطقة.

جدول رقم (٩) يوضح متلازمات كلمة مجلس

تعني كلمة (المجلس) في الأصل موضع الجلوس، وقد كان بداية ظهورها في الاستعمال اللغوي تتراوح بين (٠-٦٠٠م)، واستمر تواترها بشكل عال، وبمعان دلالية حسب سياقاتها المتعددة، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (الحكم، الشورى،...) وغيرها.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (١٠) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
سلطات عليا في الدولة، ولكل منها مسؤوليات	منذ عام ٨٠١م	مجلس الحكم
	عام ١٠٠٠م	مجلس الشورى

جدول رقم (١٠) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

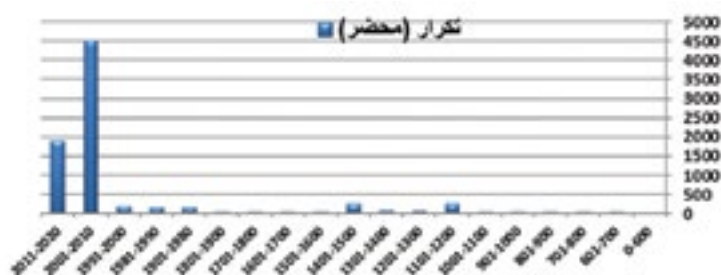
من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه، يلحظ أنه حدث لها تطور دلالي، تمثل في:

تخصيص دلالي؛ إذ اتجهت دلالة المتلازمتين نحو التخصيص، وذلك بإضافة عدد من الملامح التمييزية التي تختص بهما دون غيرهما كملح النظام الإداري، والنظام السياسي الداخلي.

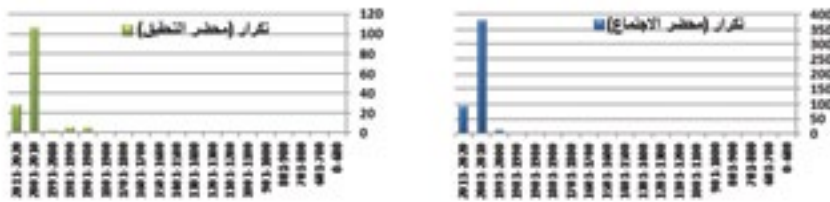
رقي دلالي، اتجهت الدلالة إلى معنى دلالي أكثر رقياً من ذي قبل، والمتمثل في هيئة عليا في الدولة لإدارة شؤونها.

انتقال دلالي عن طريق المجاز المرسل علاقته المحلية، إذ انتقلت الدلالة من الإشارة إلى موضع الجلوس إلى الإشارة إلى هيئة سياسية مجمعة؛ وهذا عُبر بلفظ المحل وأريد الأفراد العاملون فيه.

٦- الكلمة المركزية (محضر):



الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



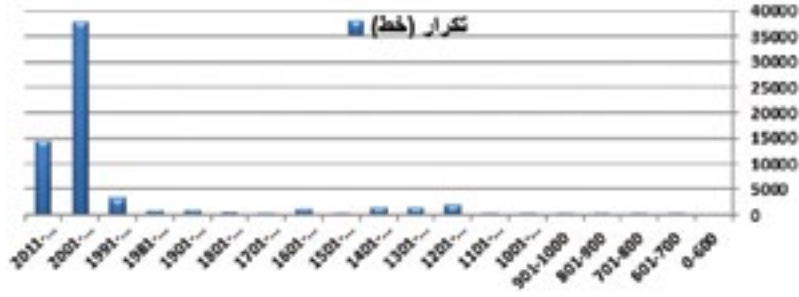
شكل رقم (١٢) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
صحيفة لتدوين بيانات الاجتماع	منذ عام ١٩٩١م	محضر الاجتماع
أصبحت مختصة بورقة رسمية يحررها موظف مختص وفق شروط يحددها القانون لإثبات إجراءات معينة	منذ عام ١٩٠١	محضر التحقيق

جدول رقم (١٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلاحظ أنه حدث تخصيص دلالي للمتلازمتين بواسطة التلازم اللفظي، وذلك بإضافة ملامح دلالية خاصة لكل منهما، فالمتلازمة (محضر الاجتماع) أضيف لها ملامح الاجتماع ومتطلباته (مكان الاجتماع وزمانه وأسماء الحاضرين ومحاور الاجتماع والقضايا التي اجتمعوا من أجلها والقرارات والتوصيات التي خرجت من رحم هذا الاجتماع)، وكتابة محضر الاجتماع الذي يحتاج إلى تدريب ومران. فالمتلازمة مختصة بالجوانب الإدارية. أما المتلازمة (محضر التحقيق)، فقد أضاف لها التلازم اللفظي ملامح الرسمية في الجوانب الإدارية إضافة إلى ملامح التحري والاستجواب، وبذلك يكون حصل لها تخصيص دلالي مختص في مجال الأمن العام.

٧- الكلمة المركزية (خط):



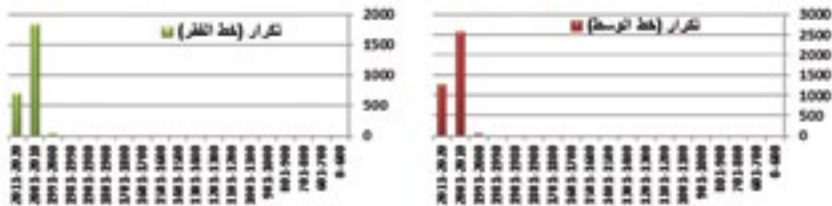
شكل رقم (١٣) يوضح ورود كلمة خط عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٦٤٠٥٨	منذ عام ٦٠١م	الوسط، الفقر، الدفاع، الهموم، أنابيب، أحمر، المرمى، مستقيم، سير، هاتف، سكة، ساخن، هجوم، المواجهة، الغاز، النهاية، المقدمة، الحدود، التماس، هاتف.

جدول رقم (١٣) يوضح متلازمات كلمة خط

الخط في معناه الأصل الطريقة المستقيمة في الشيء^(٢٧)، والخط: الطريق، وهو معنى عام يدل على كل طريق؛ وقد كان ظهور اللفظ منذ عام ٦٠١م، واستمر في التداول والشيوع وتلازم معها مفردات متعددة بمعان دلالية سياقية مختصة في العصر الحديث.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:

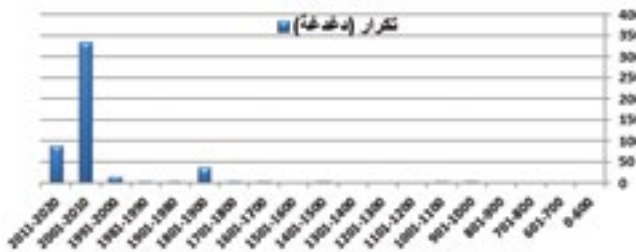


المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
خط الوسط	منذ عام ١٩٩١م	لاعب وسط الميدان
خط الفقر		أقصى درجات الحاجة والعوز

جدول رقم (١٤) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلاحظ أنه حدث تخصيص دلالي للمتلازمتين، وذلك بإضافة ملامح دلالية خاصة لكل منهما، فالمتلازمة (خط الوسط) أضيف لها ملمح خاص بكرة القدم وهو لاعب يتواجد في وسط الميدان، ويصنع بعض الفرص لفريقه. أما المتلازمة (خط الفقر)، فقد أضاف لها التلازم اللفظي ملمح العوز والحاجة.

٨- الكلمة المركزية (دغدغة):



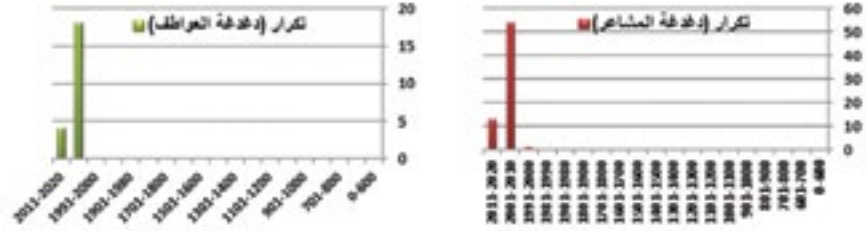
شكل رقم (١٥) يوضح ورود كلمة دغدغة عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات المتلازمة لها باستخدام المقياس الإحصائي هود
٤٨٦	منذ عام ٩٠١م	المشاعر، العواطف، مشاعر، عواطف، مشاعره

جدول رقم (١٥) يوضح متلازمات كلمة دغدغة

تعني الدغدغة في المعنى الأصل التحريك^(٢٨)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٩٠١م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (المشاعر، العواطف، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



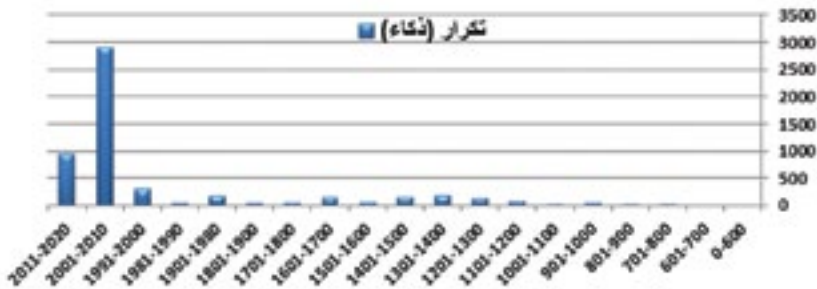
شكل رقم (١٦) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
إثارتها	منذ عام ٢٠٠١م	دغدغة العواطف
		دغدغة المشاعر

جدول رقم (١٦) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلاحظ أنه بواسطة التلازم اللفظي حدث انتقال دلالي من المجال الحسي إلى المجال المعنوي عن طريق المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع التحريك والإثارة لكل منهما.

٩- الكلمة المركزية (ذكاء):



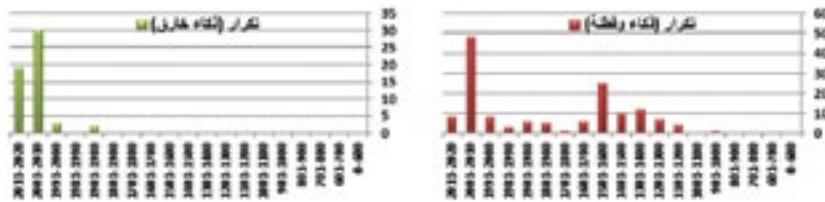
شكل رقم (١٧) يوضح ورود كلمة ذكاء عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هو
٥٢١٧	ظهرت منذ عام ٧٠١م	وفطنة، خارق، الطفل، مفرط، ودهاء، وقدرة، حاد، اصطناعي، وموهبة، وحكمة، كبير، ونباهته، القارئ، وحرص، وخبرة، وفهم، القلب، وحذق، متوقد، ومهارة.

جدول رقم (١٧) يوضح متلازمات كلمة ذكاء

كلمة ذكاء تعني في الأصل سرعة الفطنة وحدة الفؤاد^(٢٩)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٧٠١م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (وفطنة، خارق، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (١٨) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

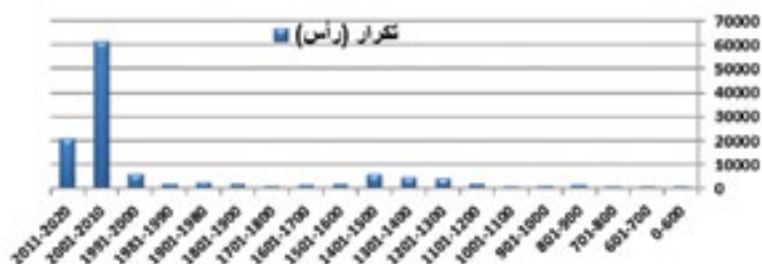
المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
العمليات العقلية المتقدمة ومهارات التفكير العليا.	منذ عام ١٩٠١م	ذكاء وفطنة
		ذكاء خارق

جدول رقم (١٨) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلاحظ أن المتلازمتين بدأت بالظهور منذ عام ١٩٠١م، ولم يحدث لهما أي تطور دلالي عبر تعاقب الأزمنة، وكلاهما من مصطلحات علم النفس، ولكن كل متلازمة تلازمت معها لها ملمح خاص بها، فالفطنة تعني

سرعة الإدراك، والفتنة مرادف للذكاء وهذا ما أورده لسان العرب، والذكاء والفتنة تعني الماهر الحاذق، الذي أدرك المعنى والمقصد وتنبه إليه وفهمه، أما الذكاء الحارق فتعني ما خالف العادة أو الطبيعة؛ فيقال فلان يتمتع بذكاء حارق. وكلاهما تعنيان القدرة على التحليل والتركيب والتمييز والتكيف مع المواقف المختلفة.

١٠ - الكلمة المركزية (رأس):



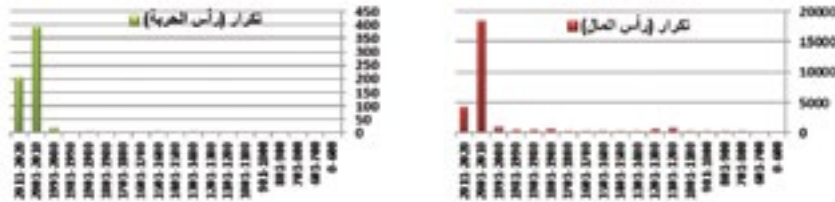
شكل رقم (١٩) يوضح ورود كلمة رأس عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
١١٦٤٧١	منذ ٦٠٠-٠م	المال، الحرية، مال، وفد، الهرم، قائمة، الزور، القائمة، النظام، جبل، السلطة، غنم، العين، الدولة، المنافقين، الشهر، الرجاء، الجهاز، الأفعى، مالي

جدول رقم (١٩) يوضح متلازمات كلمة رأس

تعني كلمة (رأس) في الأصل أعلى كل شيء^(٣٠)، ويتراوح ظهورها بين ٦٠٠-٠م، واستمر تواترها على مر العصور إلى العصر الحديث، وتلازم معها عدد من المتلازمات، كـ (المال، الحرية،...) وغيرها.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



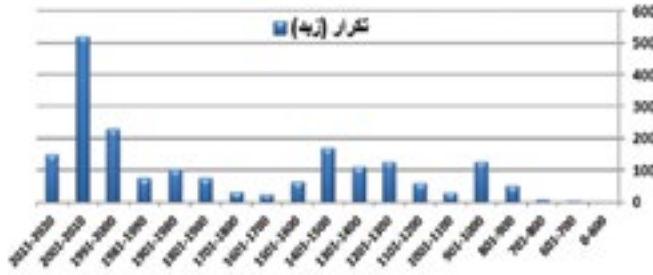
شكل رقم (٢٠) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
مجموع الأموال المستثمرة	منذ عام ٧٠١م	رأس المال
آلة حربية + كرة القدم	ظهرت عام ١٣٠١م	رأس الحربة

جدول رقم (٢٠) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلاحظ أن المتلازمة (رأس المال) بدأت بالظهور منذ عام ٧٠١م، وقد حصل لها انتقال دلالي من المجال الحسي إلى المجال المعنوي (اقتصادي أو تجاري) عن طريق المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع الأهمية لكل منهما، ومعناه الدلالي السياقي مجموع المال المستثمر؛ لإنشاء مشروع اقتصادي أو تجاري. أما المتلازمة (رأس الحربة) التي ظهرت منذ عام ١٣٠١م؛ قد حدث لها انتقال دلالي من مجال محسوس إلى مجال آخر محسوس لعلاقة المشابهة؛ فرأس الشيء وذروته وأعلاه، وبإضافة التلازم اللفظي تغير سياقها الدلالي وأصبحت تدل على آلة حربية مصنوعة من حديد محددة الرأس، وتستعمل في الحروب. أيضاً حصل للمتلازمة تخصيص دلالي بواسطة التلازم اللفظي، وذلك بإضافة ملمح عسكري (كتيبة عسكرية تعمل مباشرة ضد العدو) + ملمح رياضي (وهو لاعب مهاجم في كرة القدم من مهامه إحراز الأهداف والمراوغة بين اللاعبين).

١١ - الكلمة المركزية (زبد):

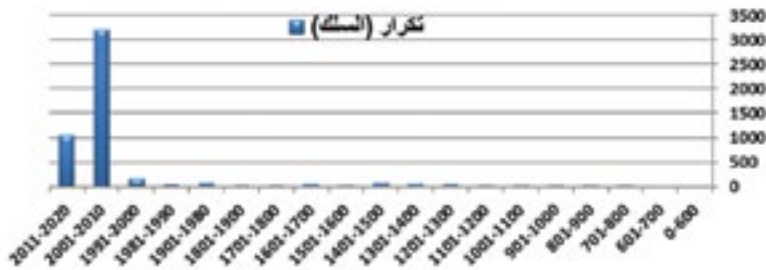


المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
زبد الماء	منذ عام ٦٠١م	موجه ورغوته
زبد البحر		

جدول رقم (٢٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمتين المذكورة في الجدول أعلاه اتضح أنه لم يحدث لهما أي تطور دلالي؛ فملتازمتين (زبد البحر، زبد الماء) ظهرتتا منذ عام ٦٠١م، وزبد البحر يعني موجه ورغوته، وهي ظاهرة كونية تحدث نتيجة امتزاج ما تحمله مياه البحر من أسماك ميتة، ومتعفنة، وشوائب، وأملاح مشكلة بذلك رغوة حقيقية.

١٢ - الكلمة المركزية (السلك):



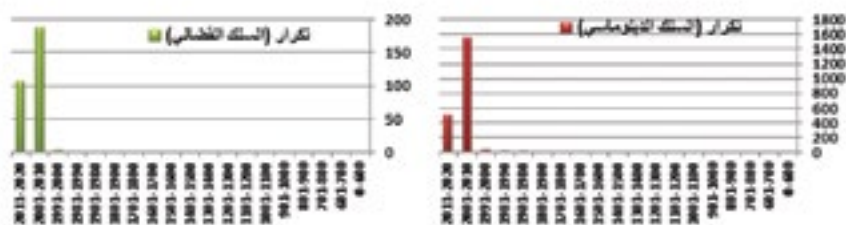
شكل رقم (٢٣) يوضح ورود كلمة السلك عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٤٩٢٠	منذ عام ٧٠١م	الدبلوماسي، القضائي، العسكري، التعليمي، القتضلي، الوظيفي، السياسي، المعدني، الكهربائي، الجامعي، النحاسي، التريوي، الخارجي، الأكاديمي، الحكومي، الأول، الشرطي، الثانوي، الديني.

جدول رقم (٢٣) يوضح متلازمات كلمة السلك

السلك في الأصل يعني الخيط الذي يُخاط به^(٣١)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٧٠١م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (الدبلوماسي، القضائي،...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٢٤) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
السلك الدبلوماسي	منذ عام ١٩٩١م	المفوض من وزارة الخارجية لشغل وظائف دبلوماسية خارج الدولة
السلك القضائي	منذ عام ١٩٩١م	من يعمل بالقضاء

جدول رقم (٢٤) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

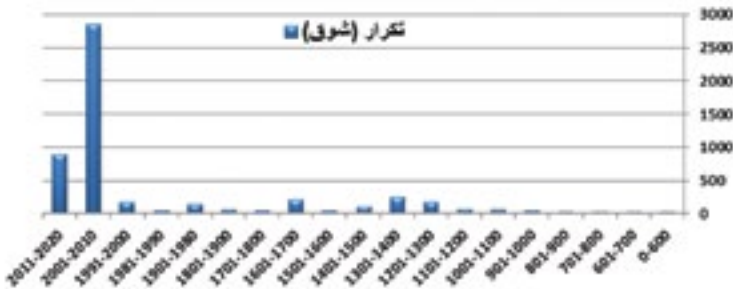
من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه؛ فقد حدث لها تطور دلالي، وبدأ ظهورها منذ عام ١٩٩١م، وطالها هذا التطور من عدة وجوه، وهي كالتالي:

- اتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، فقد كانت تعني قبل التلازم على الخيط؛ لتصبح بعد تلازمها مع كلمة (الدبلوماسي) مختصة بمعنى خاص؛

وذلك بإضافة ملمح دلالي مختص بمن يعمل ممثلاً سياسياً لدى إحدى الدول. أما المتلازمة (السلك القضائي) أيضاً اتخذت منحى دلالياً سياقياً مختصاً، فعندما يسمع أحدنا المتلازمة (السلك القضائي) مباشرة يتجه الاستدعاء للمعنى الدلالي المختص بالقضاء، فهنا حصل للمتلازمة تخصيص دلالي؛ إذ أضيف إليها ملمح دلالي وهو من يعمل بالقضاء.

- أيضاً بفضل التلازم اللفظي اتجهت السياقات الدلالية للمتلازمات أعلاه نحو الرقي الدلالي؛ فبعد أن كانت قبل التلازم تدل على الخيط البسيط؛ أصبحت بعده تدل على من يعمل في هذه الجهات التي لها من الأهمية بمكان، ويتقلد مناصبها. وقد يُعزى حدوث هذا الرقي وهذا الانتقال نتيجة للتطورات والمستجدات الحديثة التي أوجبت الاحتياج اللغوي لمثل هذه المتلازمات.

١٣- الكلمة المركزية (شوق):



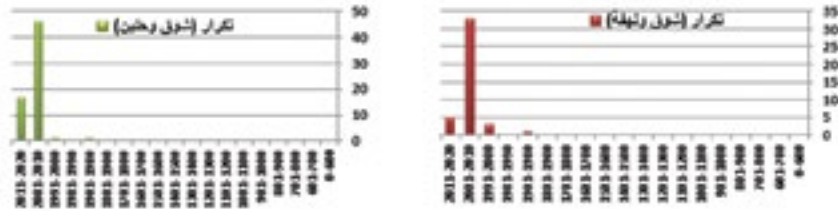
شكل رقم (٢٥) يوضح ورود كلمة شوق عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٥١٣	يتراوح بين عام (٦٠٠-٠ م)	ولهفة، وحنين، عارم، شديد، وحب، خالد، دائم، مغلق، للقاء، ومحبة، عظيم، العيون، الحبيب، وانتظار، المحبين، الصادقين، دفين، لرؤية، جارف، وأمل.

جدول رقم (٢٥) يوضح متلازمات كلمة شوق

الشوق في معناه الأصل يعني نزاع النفس إلى الشيء، وقد يتراوح أول ظهور لها في الاستعمال اللغوي بين الأعوام (٠ - ٦٠١م)، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (ولهفة، وحنين، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية



شكل رقم (٢٦) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
شوق ولهفة	منذ عام ١٩٠١م	كلها درجات للشوق بحسب سياقاتها
شوق وحنين		

جدول رقم (٢٦) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه اتضح أنه لم يكن هناك أي تطور دلالي للمتلازمتين، فقد بدأت بالظهور منذ عام ١٩٠١م، واستمرت حتى وقتنا الحالي بنفس المعاني؛ فالشوق يكون لشيء حاضر، واللهفة الرغبة الجارحة، والحنين لا يكون إلا لشيء ماضٍ. وكلاهما درجة من درجات الشوق؛ فالترادف بين هذه المفردات المتلازمة صوّر المعاني بحسب سياقاتها.

١٤- الكلمة المركزية (صفقة):



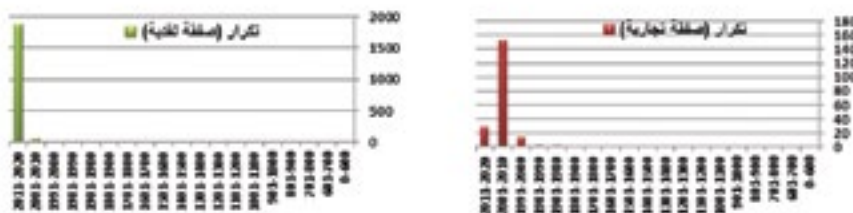
شكل رقم (٢٧) يوضح ورود كلمة صفقة عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٢٥٠٧٧	أول ظهور للكلمة كان بين عام (٦٠٠٠-)	تجارية، نقدية، بيع، تبادل، شراء، واحدة، عقارية، رابحة، استحواذ، بقيمة، تبادل، طائرات، خاسرة، الأسلحة، سياسية، التعاقد، ناجحة، لشراء، اندماج، الغاز، سرية، ضم، منفذة، تصدير، قياسية

جدول رقم (٢٧) يوضح متلازمات كلمة صفقة

المعنى الأصل للصفق: الضرب الذي يسمع له صوت، والصفقة للبائع والمشتري، وقيل للبيعة صفقة؛ لأنهم كانوا إذا تبايعوا تصافقوا بالأيدي؛ إعلاناً بالموافقة على البيع^(٣٢)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي قبل عام ٦٠١ م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (تجارية، نقدية، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



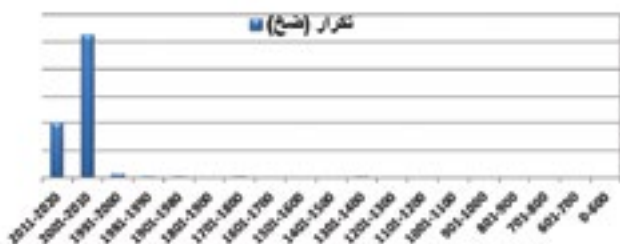
شكل رقم (٢٨) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترة الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
بيع وبيع أسهم، أموال...	منذ عام ١٩٠١م	صفقة تجارية
		صفقة نقدية

جدول رقم (٢٨) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه، اتضح أنها ظهرت معاً منذ عام ١٩٠١م، وبتضامهما وتلازمهما معاً، اتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي؛ لتصبحا بعد التضام أكثر تخصيصاً بالصفقات والأرباح التجارية والنقدية، كما حدث لهما انتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال المعنوي (التجاري) بواسطة المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع الفرح والسرور في كلي.

١٥- الكلمة المركزية (ضخ):



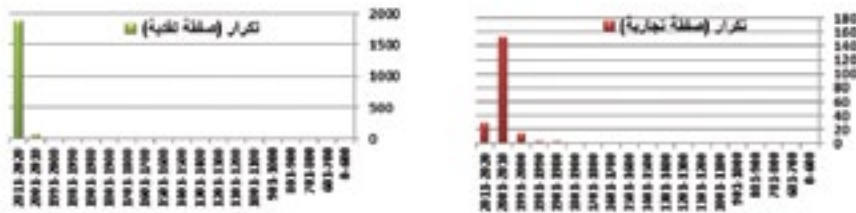
شكل رقم (٢٩) يوضح ورود كلمة ضخ عبر الزمن

المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود	الفترة الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
استثمارات، المياه، النفط، دماء، الغاز، الدم، سيولة، كميات، أموال، البترول، الماء، مبالغ، الوقود، مليارات، رأسمال، الهواء، البخار، البنزين، الملايين، المال.	منذ عام ١٣٠١م	٧٤٢٢

جدول رقم (٢٩) يوضح متلازمات كلمة ضخ

الضخ في معناه الأصل هو الصب والسكب المستمر^(٣٣)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ١٣٠١ م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (استثمارات، المياه، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٣٠) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

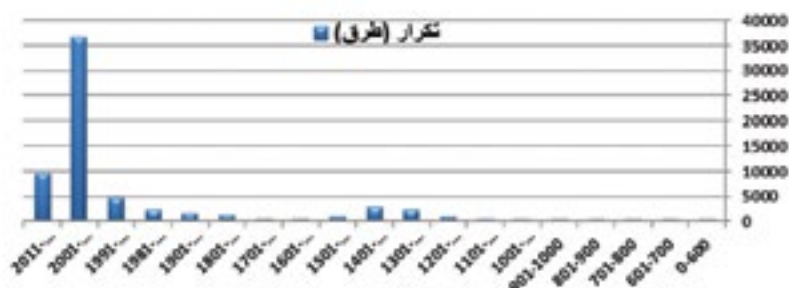
المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
ضخ استثمارات	منذ عام ٢٠٠١ م	إدخال الأموال الاستثمارية إلى السوق
ضخ المياه	منذ عام ١٩٩١ م	ضخ المياه سكبها

جدول رقم (٣٠) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمة (ضخ استثمارات) ظهرت منذ عام ٢٠٠١ م، واتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، فقد كانت تدل قبل التلازم على الصَّب بقوة؛ لتصبح بعد تلازمها مع كلمة (استثمارات) مختصة بالمجال الاقتصادي؛ وذلك بإضافة ملمح دلالي مختص بالأسواق المالية أو المجال الاقتصادي. أما المتلازمة (ضخ المياه) فلم يحدث لها أي تطور دلالي؛ حيث أن السكب والصب أساساً مختص بالسوائل.

أيضاً بفضل التلازم اللفظي اتجهت السياقات الدلالية للمتلازمة (ضخ استثمارات) أعلاه نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي (الصَّب) إلى المعنوي التجريدي وهو إدخال الأموال الاستثمارية إلى السوق. وهذا الانتقال نتيجة للتطور والتقدم في شتى المجالات ومنها المجال الاقتصادي.

١٦ - الكلمة المركزية (طرق):



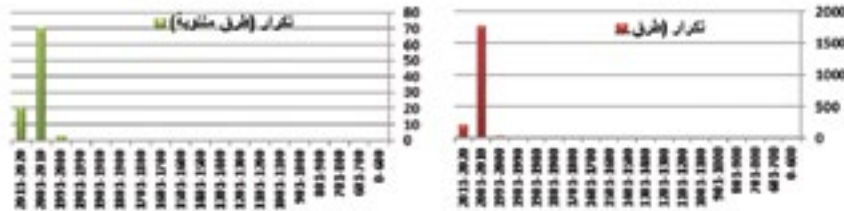
شكل رقم (٣١) يوضح ورود كلمة طرق عبر الزمن

المفردات المتلازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود	الفترة الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
تدريس، ملتوية، وأساليب، جديدة، الوقاية، كثيرة، متعددة، ووسائل، مختلفة، رئيسية، عديدة، البحث، المواصلات، علاج، وجسور، سريعة، الري، الطعن، الباب، وشوارع، القوافل.	منذ عام ٣٠٠م	٦٤٦٤٥

جدول رقم (٣١) يوضح متلازمات كلمة طرق

الطَّرَق (بفتح الطاء) في معناه الأصل الضرب، وطرق الباب، وطرق العملة، والطَّرُق (بضم الطاء) تعني الطَّرُق: جمع طريقة^(٣٤)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٣٠٠م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (تدريس، ملتوية،...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٣٢) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

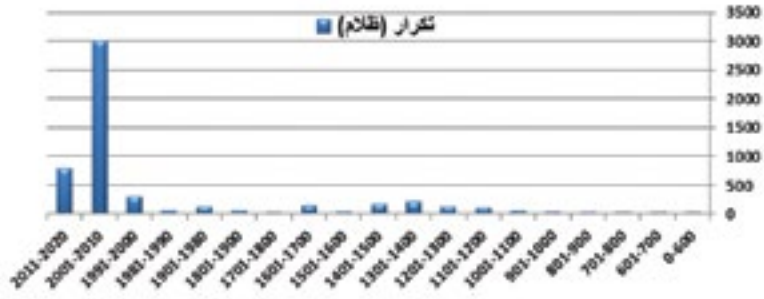
المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
أساليب واستراتيجيات للتدريس	منذ عام ١٩٠١م	طرق تدريس
الاختلاط وعدم الشفافية		طرق ملتوية

جدول رقم (٣٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمة (طرق تدريس) ظهرت منذ عام ١٩٠١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، إذ بعد التلازم أضيفت لها عدة ملامح خاصة بالتعليم، فأصبحت تعني مجموعة من الأساليب والاستراتيجيات التي تستخدم في التعليم والتدريس بكفاءة.

أما المتلازمة (طرق ملتوية)، فقد اتخذت منحى دلاليًا سياقيًا مختصًا، فالالتواء يعني الالتفاف والانشاء، فعندما يسمع أحدنا المتلازمة (طرق ملتوية)، مباشرة يتجه الاستدعاء للمعنى الدلالي اختلاط الأمور وعدم اتباع الطرق السوية الواضحة. وهي من الدلالات الاجتماعية التي تستعمل على نطاق واسع.

١٧- الكلمة المركزية (ظلام):



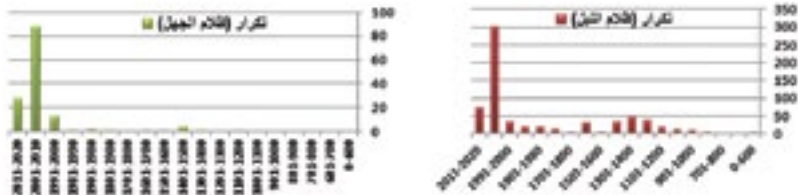
شكل رقم (٣٣) يوضح ورود كلمة ظلام عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٧٦٦	منذ عام ٦٠٠م	الليل، الجهل، دامس، حالك، السجن، العصور، الظلم، الكفر، الشك، القرون، القمر، الجاهلية، السجن، الكون، العالم، الدجى، الليالي، الضلال، القبر، النفس.

جدول رقم (٣٣) يوضح متلازمات كلمة ظلام

الظلام أول الليل، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٦٠٠م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (الليل، الجهل، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً



شكل رقم (٣٤) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
ظلام الليل	منذ عام ٦٠٠م	أول الليل
ظلام الجهل	منذ عام ١١٠١م	التخبط في الفكر والعشوائية والرجعية

جدول رقم (٣٤) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمة (ظلام الجهل) ظهرت منذ عام ١١٠١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي بواسطة المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع التخبط والعشوائية في كل. أما المتلازمة (ظلام الليل) فلم يحدث لها أي تطور دلالي؛ إذ أن الظلام سمة من سمات الليل.

١٨- الكلمة المركزية (عبوة):



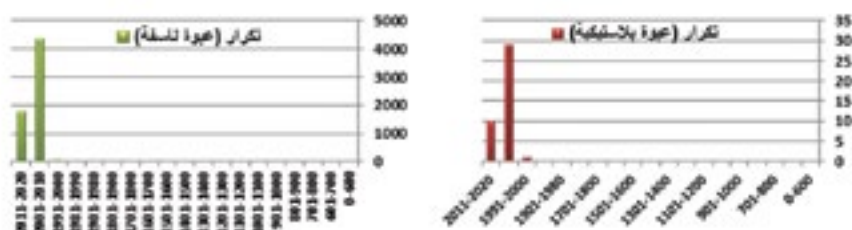
شكل رقم (٣٥) يوضح ورود كلمة عبوة عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٣٠٩٥	منذ عام ١٢٠١م	بلاستيكية، ناسفة، لاصقة، متفجرة، يدوية، المستحضر، زيت، مزروعة، مياه، زجاجية، مفخخة، سعة، كرتونية، واحدة، غذائية، فارغة، حارقة، ماء، حارقة، ماء.

جدول رقم (٣٥) يوضح متلازمات كلمة عبوة

تعني العبوة في المعنى الأصل مقدار ما يملأ، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ١٢٠١م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (بلاستيكية، ناسفة ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



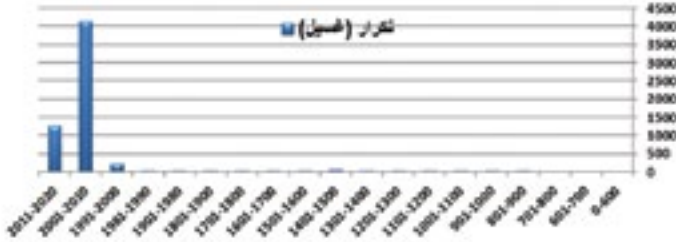
شكل رقم (٣٦) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
عبوة بلاستيكية	منذ عام ١٩٩١م	مقدار ما يُملأ
عبوة ناسفة		شحنة من المتفجرات

جدول رقم (٣٦) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فقد ظهرت منذ عام ١٩٩١م، وكلاهما اتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، وذلك بإضافة ملمح دلالي خاص وهو المتفجرات، ولعل هذه المتلازمة من الوحدات المستجدة تبعاً للأحداث السياسية في العصر الحديث. وكذلك المتلازمة (عبوة بلاستيكية) حدث لها تخصيص دلالي بإضافة الوصف (بلاستيكية) لتخصيص المادة المصنوعة منها وهي البلاستيك.

١٩- الكلمة المركزية (غسيل):



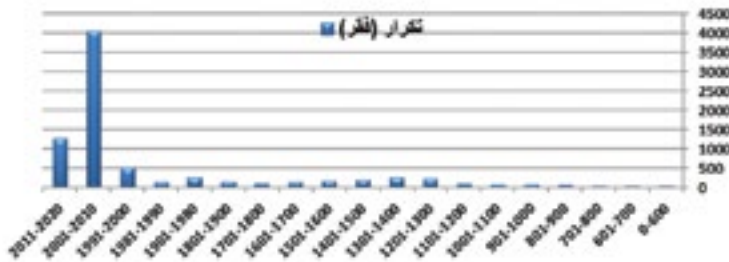
المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
تحويل أموال غير مشروعة إلى مشروعة بطرق معينة	منذ عام ١٩٩١م	غسيل الأموال
محاولة لتغيير مبادئ الإنسان وأفكاره	منذ ٢٠٠١م	غسيل مخ

جدول رقم (٣٨) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمة (غسيل الأموال) ظهرت منذ عام ١٩٩١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال المعنوي بواسطة المجاز الاستعاري بجامع الوضوح والنقاء في كل. وبتضامهما معاً أصبحت دلالة المتلازمة تدل على الأموال غير المشروعة بتحويلها لأموال مشروعة لاستثمارها في أعمال اقتصادية مسموح بها. أيضاً اتخذت الدلالة للمتلازمة منحى دلاليّاً سياقيّاً مختصّاً (تخصيص دلالي)، بإضافة ملمح اقتصادي وهو إضفاء شرعية الأموال المحرمة.

أما المتلازمة (غسيل مخ) بدأت بالظهور منذ عام ٢٠٠١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال التجريدي بواسطة المجاز الاستعاري بجامع التغيير في كل. أيضاً اتخذت دلالتها منحى دلاليّاً سياقيّاً مختصّاً (تخصيص دلالي)، بإضافة ملمح نفسي ويقصد به تغيير وتحويل الفرد عن اتجاهاته وآراءه وقناعاته.

٢٠ - الكلمة المركزية (فقر):



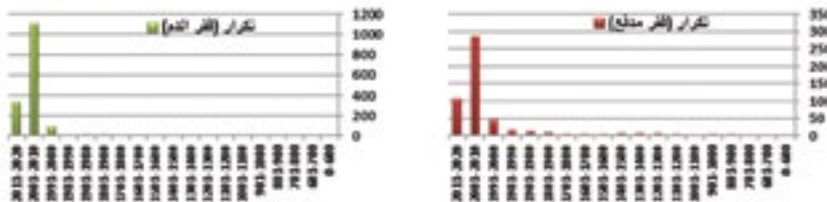
شكل رقم (٣٩) يوضح ورود كلمة فقر عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٧٦٤٦	منذ عام ٦٠٠م	مدقع، الدم، شديد، وبطالة، وجهل، وجوع، وبؤس، ومرض، وحرمان، النفس، الرجل، القلب، وتخلف، الطاقة، وغنى، الامكانيات، وذلة، مادي، الزهاد، المشاعر.

جدول رقم (٣٩) يوضح متلازمات كلمة فقر

الفقر ضد الغنى، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٦٠٠م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (مدقع، الدم، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



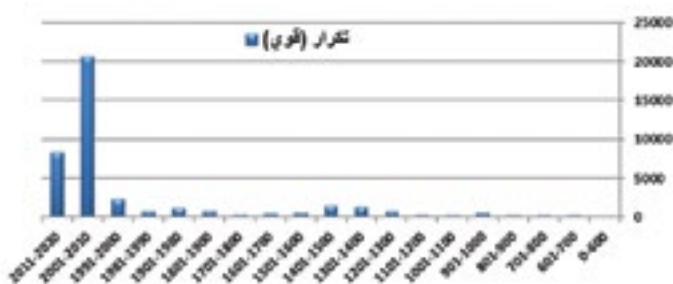
شكل رقم (٤٠) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
من يفتقر إلى أبسط الاحتياجات الإنسانية	منذ عام ٨٠١م	فقر مدقع
نقص الهيموجلوبين في الدم	منذ عام ١٨٠١م	فقر الدم

جدول رقم (٤٠) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

لها تطور دلالي، فملتازمة (فقر مدقع) ظهرت منذ عام ٨٠١م، واتخذت دلالتها السياقية منحني دلاليًا سياقيًا مختصًا (تخصيص دلالي)؛ بإضافة ملمح اجتماعي يمثل أشد درجات الحرمان والعوز، فالفقر فقرًا مدقعًا يفتقر إلى أبسط الاحتياجات الإنسانية كالمطعم والمشرب والمأوى. أما المتلازمات (فقر الدم) فبدأت بالظهور منذ عام ١٨٠١م، واتخذت دلالتها منحني دلاليًا سياقيًا مختصًا (تخصيص دلالي)، بإضافة ملمح طبي يدل على نقص في الهيموجلوبين أو خلايا الدم الحمراء في الجسم

٢١- الكلمة المركزية (قوي):



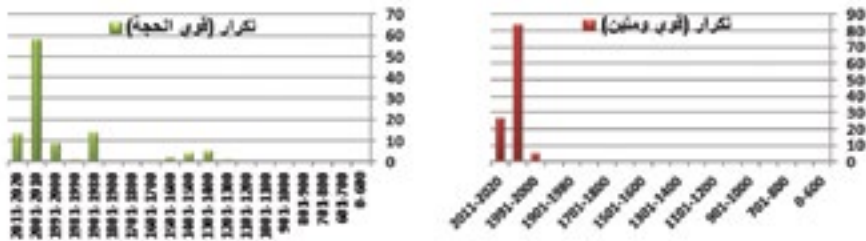
شكل رقم (٤١) يوضح ورود كلمة قوي عبر الزمن

المفردات الملتازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
ومتين، الحجة، سياسة، وفعال، البنية، النفس، الشكيمة، المعارضة، و متماسك، ومؤثر، وفاعل، وقادر، عزيز، الشخصية، لل غاية، ومباشر، ومثير، العزيمة، الإيمان، الإرادة	منذ عام ٦٠١	٣٨٦٣٤

جدول رقم (٤١) يوضح متلازمات كلمة قوي

القوي ضد الضعيف، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٦٠١م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (ومتين، الحجة، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



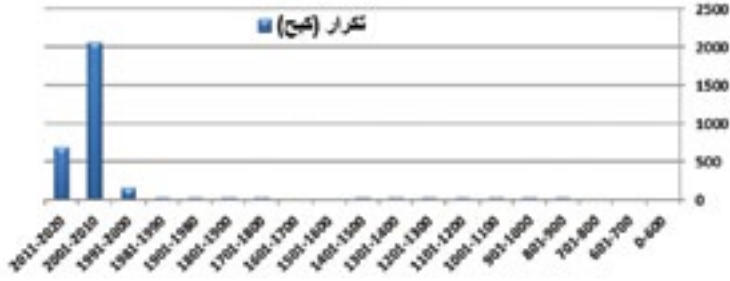
شكل رقم (٤٢) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
قوي الرأي	منذ عام ١٩٩١ م	قوي ومتين
قوي الدليل والبرهان	منذ عام ١٢٠١ م	قوي الحجة

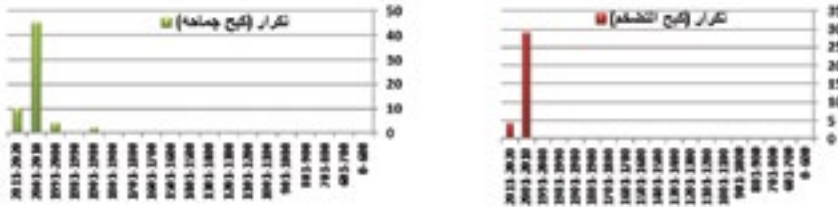
جدول رقم (٤٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمة (قوي ومتين) ظهرت منذ عام ١٩٩١ م، وبالتضام والتلازم حدث زيادة تأكيد معنى القوة. واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال التجريدي عن طريق المجاز الاستعاري بجامع القوة (الجسدية والمعنوية) في كل. أما المتلازمة (قوي الحجة) فقد بدأت بالظهور منذ عام ١٢٠١ م، واتخذت منحى دلاليًا سياقيًا مختصًا (تخصيص دلالي) وذلك بإضافة ملمح قوة العقل ومهاراته العليا.

٢٢- الكلمة المركزية (كبح):



الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



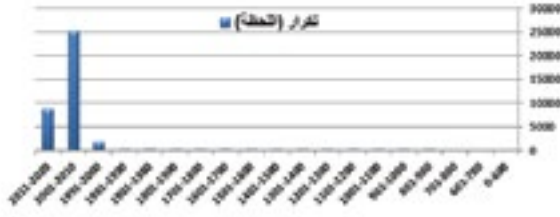
شكل رقم (٤٤) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
كبح التضخم	منذ عام ٢٠٠١م	منع تدفق الأموال
كبح جماحه	منذ عام ١٩٠١م	تحكم في نفسه

جدول رقم (٤٤) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه، فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمة (كبح التضخم) ظهرت منذ عام ٢٠٠١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال المعنوي بواسطة المجاز الاستعاري بجامع المنع في كل. وبتضامهما معاً أصبحت المتلازمة تدل على منع تدفق الأموال الاستثمارية في الأسواق التجارية. أيضاً اتخذت الدلالة السياقية للمتلازمة منحى دلاليًا سياقيًا مختصًا (تخصيص دلالي)؛ بإضافة ملمح اقتصادي وهو منع تضخم الأموال في السوق. أما المتلازمة (كبح جماحه) فقد بدأت بالظهور منذ عام ١٩٠١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال المجرد (نفس) بواسطة المجاز الاستعاري بجامع المنع بقوة في كل. أيضاً اتخذت دلالتها منحى دلاليًا سياقيًا مختصًا (تخصيص دلالي)، بإضافة ملمح نفسي وهو التحكم في النفس والسيطرة عليها.

٢٣- الكلمة المركزية (اللحظة):



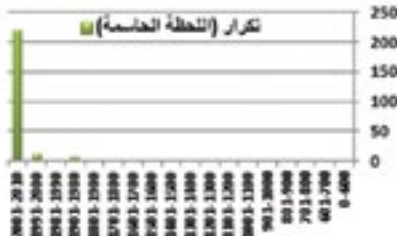
شكل رقم (٤٥) يوضح ورود كلمة اللحظة عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٣٦١٩٥	منذ عام ٨٠٠م	التاريخية، الحاسمة، الراهنة، الأخيرة، الأولى، المناسبة، الحرجة، الأنية، الفاصلة، الفارقة، التالية، الحالية، العابرة، الهاربة، العصبية، المواتية، الحضارية، الدرامية، الخاطفة، الإبداعية

جدول رقم (٤٥) يوضح متلازمات كلمة اللحظة

تعني اللحظة، النظرة من جانب الأذن^(٣٦)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٨٠٠م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (التاريخية، الحاسمة، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٤٦) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
الفترة التي تسبق حدثاً هاماً	منذ عام ١٩٠١م	اللحظة التاريخية
		اللحظة الحاسمة

جدول رقم (٤٦) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمين ظهرت منذ عام ١٩٠١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، فبعد أن كانت تدل الكلمة في معناها الأصل على معنى اللمحة؛ أصبحتا دالتين على الفترة التي تسبق حدثاً هاماً أو لحظة منتظرة، لأنها في مضمونها تعني مرحلة انتقالية من شيء لشيء و مرحلة توقف ما قبلها يختلف عما بعدها

٢٤- الكلمة المركزية (منحة):

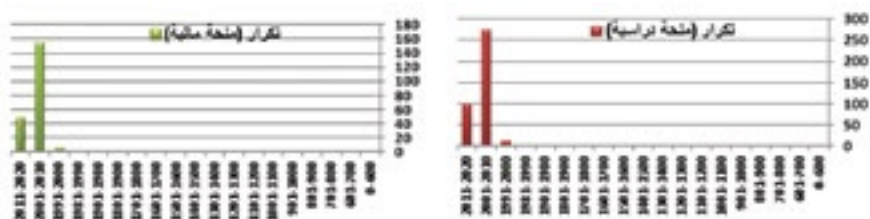


شكل رقم (٤٧) يوضح ورود كلمة منحة عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٧٥٦٣	منذ عام ٨٠٠م	دراسية، مالية، مجانية، زواج، بقيمة، إلهية، سكنية، تعليمية، ربانية، الزواج، شهرية، سنوية، الخالق، أرض، حكومية، تدريبية، سامية، تفرغ، التطوير، للعاملين، بحثية.

جدول رقم (٤٧) يوضح متلازمات كلمة منحة

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



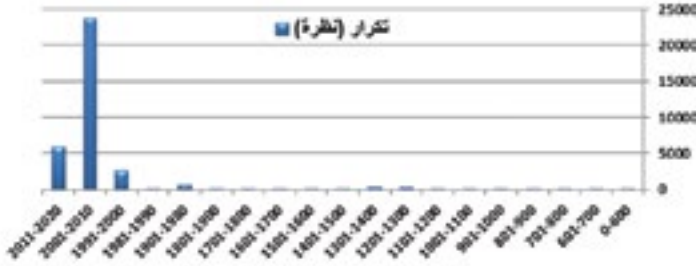
شكل رقم (٤٨) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازما مع الكلمة المركزية
الدعم المالي الذي يقدم للطالب لاستكمال دراسته	منذ عام ٢٠٠٠م	منحة دراسية
المردود المالي للتحفيز		منحة مالية

جدول رقم (٤٨) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فقد ظهرت منذ عام ٢٠٠٠م، واتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي؛ إذ أضيف إليها ملمح دلالي مختص لكل منها، وهو الدعم المادي الذي يُعطى للطالب لاستكمال دراسته بناء على معايير محددة. والمردود المالي يُعطى للتحفيز والتحسين.

٢٥- الكلمة المركزية (نظرة):



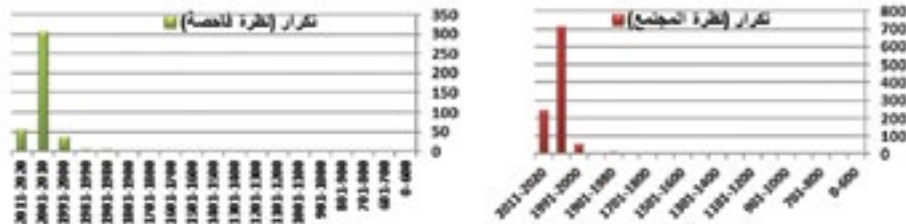
شكل رقم (٤٩) يوضح ورود كلمة نظرة عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترة الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٣٤٦٠٦	منذ عام ٦٠٠م	المجتمع، فاحصة، سريعة، عامة، مستقبلية، شاملة، واحدة، جديدة، ثقابة، خاصة، دونية، شمولية، الناس، الإسلام، سلبية، إجمالية، مختلفة، خاطفة، تاريخية، قاصرة.

جدول رقم (٤٩) يوضح متلازمات كلمة نظرة

النظرة تعني في المعنى الأصل اللمحة بالعجلة^(٣٧)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٦٠٠م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (المجتمع، فاحصة، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:

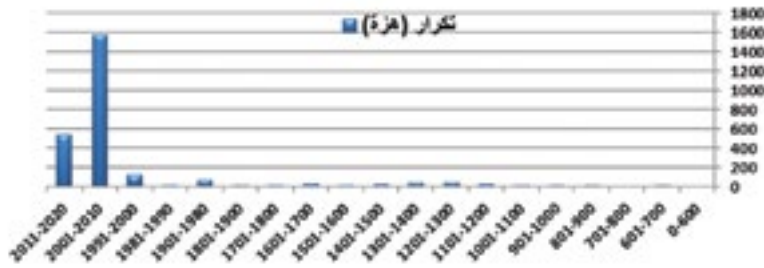


المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
نظرة المجتمع	منذ عام ١٩٠١م	آراء المجتمع ووجهة نظره
نظرة فاحصة		نظرة دقيقة شاملة

جدول رقم (٥٠) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمة (نظرة المجتمع) ظهرت منذ عام ١٩٠١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى التجريدي، فبعد أن كانت تدل في الأصل على اللمحة السريعة؛ أصبحت بعد تلازمها مع كلمة (المجتمع) دالة على معنى مجرد يمثل وجهة نظر المجتمع وآرائه حول الكثير من القضايا. أما المتلازمة (نظرة فاحصة) فقد اتخذت منحى دلاليًا سياقيًا مختصًا، فهنا حصل للمتلازمة تخصيص دلالي؛ إذ أضيف إليها ملمح الدقة الشاملة

٢٦ - الكلمة المركزية (هزة):



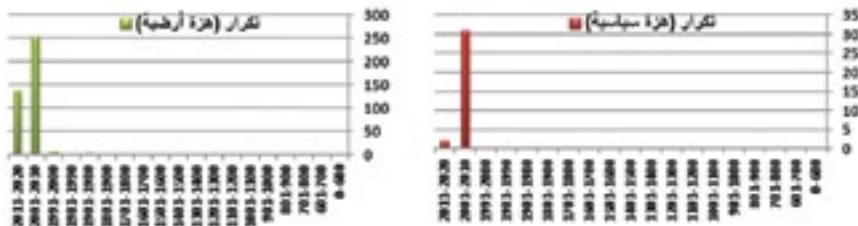
شكل رقم (٥١) يوضح ورود كلمة هزة عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٢٥١٨	منذ عام ٢٠١٠م	سياسية، أرضية، عنيفة، ارتدادية، قوية، كبيرة، اقتصادية، نفسية، زلزالية، خفيفة، محسوسة، أخرى، عميقة، كبرى، مالية، وجدانية، فكرية، الجماع، بسيطة، جديدة.

جدول رقم (٥١) يوضح متلازمات كلمة هزة

تعني الهزة في المعنى الأصل التحريك^(٣٨)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٢٠١٠م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (سياسية، أرضية، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



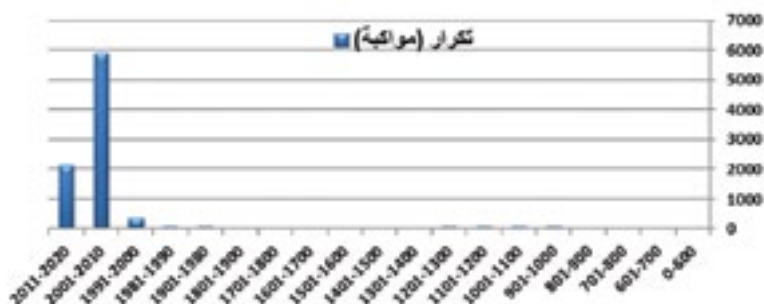
شكل رقم (٥٢) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
هزة سياسية	منذ عام ٢٠٠١م	اضطراب سياسي
هزة أرضية	منذ عام ١٩٠١م	حركة مفاجئة للقشرة الأرضية

جدول رقم (٥٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد ظهرت في العصر الحديث، وحدث لهما تطور دلالي، فاتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، فبعد أن كانت تدل في الأصل على الهز والتحرك؛ أصبحت بعد تلازمها مع كلمة (سياسية) دالة على الاضطراب السياسي البسيط، وبتلازمها مع (أرضية) أصبحت مختصة بالحركة المفاجئة للقشرة الأرضية.

٢٧- الكلمة المركزية (مواكبة):



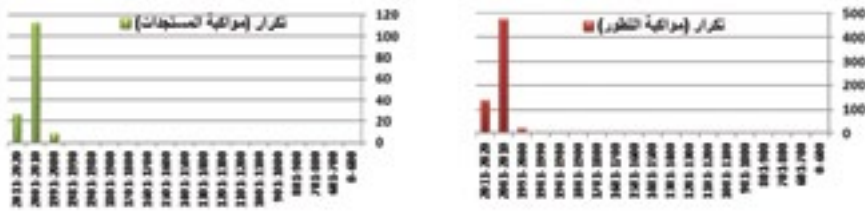
شكل رقم (٥٣) يوضح ورود كلمة مواكبة عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترة الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٨٣١٦	منذ عام ٩٠١م	التطور، المستجدات، العصر، التغيرات، التقدم، الأحداث، متطلبات، التحولات، للعصر، الطلب، الحدث، النمو، تطلعات، النهضة، الموضة، التقنيات، التطوير، الركب، التكنولوجيا، الزيادة.

جدول رقم (٥٣) يوضح متلازمات كلمة مواكبة

مواكبة تعني في المعنى الأصل مسايرة الركب، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٩٠١م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (التطور، المستجدات، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



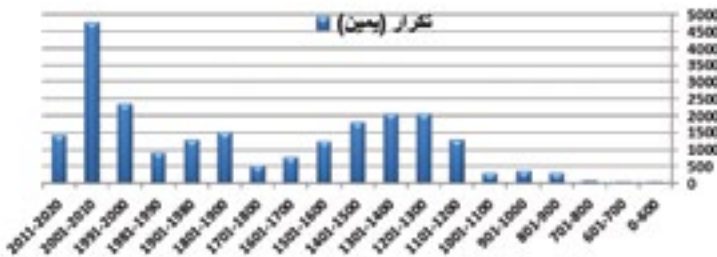
شكل رقم (٥٤) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
مسايرة التطورات المستجدة الحديثة	منذ في عام ١٩٩١م	مواكبة التطور مواكبة المستجدة

جدول رقم (٥٤) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فقد ظهرت منذ عام ١٩٩١م، اتخذت دلالتها منحى دلاليًا سياقيًا مختصاً (تخصيص دلالي)؛ إذ أضيف إليها ملمح دلالي وهو مسايرة التطورات الجديدة في العصر الحديث ومتابعتها.

٢٨- الكلمة المركزية (يمين):



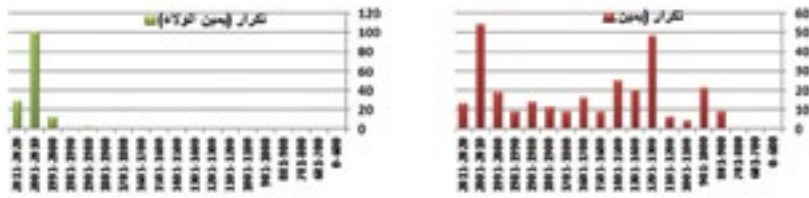
شكل رقم (٥٥) يوضح ورود كلمة يمين عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود
٢٢٧٧٩	بين (٦٠٠-٠م)	وشمال، الولاء، الوسط، ويسار، الدولة، العرش، الطريق، المدعى، الطلاق، الاستظهار، كاذبة، الداخل، واحدة، مكفرة، الله، الرحمن، منعقدة، متطرف، اللغو، المرمى.

جدول رقم (٥٥) يوضح متلازمات كلمة يمين

اليمين نقيض اليسار، وقد تراوح بداية ظهورها في الاستعمال اللغوي بين الأعوام (٠-٦٠١م)، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (وشمال، الولاء،...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٥٦) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معاً

المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
يمين وشمال	منذ عام ٨٠١م	متضادتين
يمين الولاء	منذ عام ١٩٠١م	إثبات المحبة والطاعة

جدول رقم (٥٦) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمة (يمين الولاء) ظهرت في العصر الحديث نتيجة لمفرزات التطورات

الحديثة، واتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، إذ أضيف إليها ملمح دلالي، وأصبحت تدل على أداء اليمين وإثباته في المحبة والولاء والطاعة. أما المتلازمة (يمين وشمال) فقد بدأت بالظهور منذ عام ٨٠١م، ولم يحدث لها أي تطور دلالي؛ فهي محتفظة بدلالاتها ولم تتغير.

خاتمة الدراسة

- وظفت هذه الدراسة آليات المدونات المحوسبة وما تتيحه من أدوات برمجية وأساليب إحصائية لمعالجة التطور الدلالي وقياسه، وتتبع الدلالات الجديدة إحصائياً عبر العصور ومعرفة دلالاتها السياقية، وما حدث لها من مظاهر التطور الدلالي، وقد أسفرت عن عدد من النتائج، لعل من أهمها، ما يلي:
- أهمية البرامج الحاسوبية ومنهج المدونات في تأطير وتفسير النظريات اللغوية.
- أهمية لسانيات المدونات في الكشف عن التطور الدلالي للتلازم اللفظي، ولا يُغفل دور السياق وأهميته في تحليل الظواهر اللغوية للمتتابعات اللفظية.
- أن وجود المدونات والبرامج الحاسوبية والمقاييس الإحصائية تساعد المحلل في التنبؤ على قوة التلازم، وأن المقياس الإحصائي Loglikelihood يُعد المقياس الأنسب لقياس شدة الترابط بين الكلمات - حسب رأي الباحثة -.
- طبيعة المستجدات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العالم، والتي أسهمت في بروز بعض المتلازمات، كـ (غسيل الأموال، مجلس الشورى، عبوة ناسفة).
- كثرة التداخل بين أمثلة التخصيص والانتقال الدلالي عن طريق الاستعارة، ولعل ذلك يرجع إلى أن المجاز الاستعاري سبب من أسباب اتساع الدلالات؛ كما في (مجلس الدولة)؛ حيث يشترك في أكثر من مظهر دلالي كمظهر التخصيص الدلالي ومظهر الرقي الدلالي، ومظهر الانتقال الدلالي.
- خلو ألفاظ مواد الدراسة المتغيرة من مظهر الانحطاط الدلالي، وارتقاء الدلالة

- وانحطاطها يخضع لمعايير تقديرية خاصة بنظرة الجماعة اللغوية.
- أن الدلالة الحسية الجديدة قد تستخدم مجاورة للدلالة المعنوية؛ مثل: (مجلس / مجلس الشورى)؛ فما زال استخدام المجلس بمعنى موضع الجلوس، وبمعنى الهيئة المكونة من عدد من الأفراد للبت في عدد من الأمور والقضايا.
 - أثبتت الدراسة أن التخصيص الدلالي هو أكثر المظاهر وروداً، فقد جاء بنسبة ٦٢,٥٠٪، يليه الانتقال الدلالي بنسبة ٣٦,٣٠٪، ثم الرقي الدلالي بنسبة ١٤,٧٪، وأن أبرز أنماط نقل الدلالة ظهوراً، النقل من المجال الحقيقي إلى المجال المجازي لعلاقة المشابهة. وأن النقل التجريدي دليل على ارتقاء العقل الإنساني وتطوره.
 - ورود كثير من الدلالات الجديدة التي اتجهت نحو التخصيص، وهذا دليل واضح على رحابة هذا المجال واتساعه. إلا أنه يأتي بدرجات مختلفة ضيقاً واتساعاً، فهناك الخاص، والأخص.
 - أن دراسة التطور الدلالي من خلال منهجية لغويات المدونات الحاسوبية لا يزال مجالاً بكرّاً، ويحتاج إلى الكثير من الدراسات اللغوية الدلالية التي تثرى الجانب اللغوي الحاسوبي.

توصيات

- إجراء دراسات دلالية حاسوبية قائمة على النظريات الدلالية الحديثة، كنظرية الحقول الدلالية والتحليل التكويني.
- حبذا لو وجدت قاعدة بيانات مخصصة للدراسات اللسانية الحاسوبية للغة العربية استرشاداً للباحثين وتقنياً لمزيد من الدراسات اللغوية الحاسوبية.
- ضرورة الاستفادة من المدونات اللغوية في الدراسات اللغوية بكافة مستوياتها النحوية والصرفية والأدبية؛ لتوفر أدوات حاسوبية وأساليب إحصائية كمية تضيء الدقة والموضوعية.
- الاستفادة قدر الإمكان من المدونة العربية، فهي مدونة ضخمة ومدعومة

- بأساليب برمجية تساعد في اجراء العديد من الدراسات اللغوية الحاسوبية.
- أهمية دعم معاجم المتلازمات اللفظية بتواريخ تقريبية لبداية ظهور المتلازمة.
- حبذا عند بناء المعاجم الحديثة إضافة حقل لتوضيح التطور الدلالي للمفردة بعد ظهورها مع متلازمتها.

الهوامش

(١) (ماريوباوي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار، ص ١٥٦).

(٢) (علي، نبيل، العربية والحاسوب، ص ٣٤٤).

(٣) (McEnery, Wilson, Corpus Linguistics)

(٤) (الخولي، محمد، معجم علم اللغة النظري، ص ٢٥٠).

(٥) (العبود، جاسم، مصطلحات الدلالة العربية، ص ١١٥)

(٦) (نهر، هادي، علم الدلالة التطبيقي، ص ٤٨٥)

(٧) (أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص ٢٣)

(٨) (أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ص ٥٥)

(٩) (أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ص ١٩٠)

(١٠) (عمر، أحمد، علم الدلالة، ص ٢٤٥)

(١١) (أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص ١٥٤)

(١٢) (المرجع السابق، ص ١٥٨)

(١٣) (المرجع السابق)

(١٤) (عبدالحق، فاضل، مغامرات لغوية، ص ٦٥)

- (١٥) (حيدر، فريد، علم الدلالة نظرياً وتطبيقاً، ص٨٦)
- (١٦) (Oahey, Fixed Collocational Patterns...)
- (١٧) (McEnery, T& all, Corpus- based Language...,P.7)
- (١٨) (حسان، تمام، اللغة العربية مبناهاً ومعناها، ص٢١٧)
- (١٩) (عمر، أحمد، علم الدلالة، ص٧٣)
- (٢٠) (Sinclair, Jones, Daley, English Collocation Studies; The)
- (OSTI Report, p.20)
- (٢١) (مكائري، توني وهاردي، أندرو، ترجمة: المجلول، سلطان، لغويات المدونة الحاسوبية المنهج والنظرية والتطبيق، ص٩٥ -)
- (٢٢) (p:26 A700M+ Arabic Corpus: KACST Arabic Corpus)
- (Design and Construction,Al-Thubaity, A)
- (٢٣) (ابن منظور، لسان العرب، أزم، ١٢ / ١٦)
- (٢٤) (الجواليقي، أبو منصور، المعرب من الكلام الأعجمي، ص١٢٥)
- (٢٥) (ابن منظور، لسان العرب، ث ب ط، ٧ / ٢٦٧)
- (٢٦) (ابن منظور، لسان العرب، ح ض ر، ٤ / ١٩٤)
- (٢٧) (ابن منظور، لسان العرب، خ ط، ٥ / ١٠١)
- (٢٨) (ابن منظور، لسان العرب، دغ دغ، ٧ / ٣٧١)
- (٢٩) (ابن منظور، لسان العرب، ذك أ، ١٤ / ٢٨٧)

- (٣٠) (ابن منظور، لسان العرب، رأس، ٦/ ٩١)
- (٣١) (ابن منظور، لسان العرب، س ل ك، ١٠/ ٤٤٣)
- (٣٢) (ابن منظور، لسان العرب، ص ف ق، ١٠/ ٢٠١)
- (٣٣) (ابن منظور، لسان العرب، ض خ خ، ٣/ ٣٥)
- (٣٤) (ابن منظور، لسان العرب، ط ر ق، ١٠/ ٢٢١)
- (٣٥) (ابن منظور، لسان العرب، ك ب ح، ٢/ ٥١٨)
- (٣٦) (ابن منظور، لسان العرب، ل ح ظ، ٧/ ٤٥٨)
- (٣٧) (ابن منظور، لسان العرب، ن ظ ر، ٥/ ٢١٧)
- (٣٨) (ابن منظور، لسان العرب، ه ز ز، ٥/ ٤٢٣)

المراجع العربية

- أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، القاهرة: مكتبة الأنجلو، ٢٠٠٤ م.
- أولمان، ستيفن: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، ط١٢، القاهرة: دار غريب للنشر، ١٩٩٧ م.
- الجواليقي، أبو منصور: المعرب من الكلام الأعجمي، تحقيق: ف. عبد الرحيم. ط١. دمشق: دار القلم، ١٩٩٠ م.
- حبش، نزار: مقدمة في المعالجة الطبيعية للغة العربية، ترجمة: هند الخليفة، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٤ م.
- حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ط٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩ م.
- حيدر، فريد: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٦ هـ.
- الخولي، محمد: معجم علم اللغة النظري، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢ م.
- رشوان، محسن والمعتز بالله، والسعيد: المعالجة الآلية للنصوص العربية، الرياض: مركز الملك عبدالله الدولي، ٢٠١٩ م.
- رشوان، محسن والمعتز بالله، والسعيد: الموارد اللغوية الحاسوبية، الرياض: مركز الملك عبدالله الدولي، ٢٠١٩ م.
- الطراونة، سليمان: اللغة العربية في القرن العشرين، الموسم الثقافي الثالث والعشرون، الأردن: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٥ م.
- عبد الحق، فاضل: مغامرات لغوية، ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٥ م.
- العبود، جاسم: مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م.
- علي، نبيل: اللغة العربية والحاسوب، مج١٨، ع٣، القاهرة: عالم الفكر، ١٩٧٨ م.

- عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ط٦، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦م).
- المجيلول، سلطان: البحث اللغوي في المدونات العربية الحاسوبية بين الممكن والمحتمل والمأمول، ضمن كتاب المدونات اللغوية العربية، بناؤها وطرائق الاستفادة منها، تحرير: صالح العصيمي، ط١، الرياض: مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٦هـ.
- مكناري، توني وهاردي، أندرو: لغويات المدونة الحاسوبية المنهج والنظرية والتطبيق، ترجمة: سلطان المجيلول، (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٦م).
- نهر، هادي: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨م.

المراجع الأجنبية

- Al-Thubaity, A (2014): A700M+ Arabic Corpus: KACST Arabic Corpus Design and Construction. Language Resources and Evaluation,
- Andrew & McEnery (2009): Corpus Linguistics and the Description of English, Hans Lindquist, Edinburgh University.
- Bennett, Gena (2010): An Introduction to Corpus Linguistics, Michigan.
- Glynn, D. (2014): Techniques and Tools: Corpus methods and statistics for Semantics. University of Paris
- Hoey, M. (2005): Lexical priming: A new theory of words and language. London: Routledge.
- McEnery, T & Hardie (2012): Corpus Linguistics, Cambridge Uni-

versity Press.

- McEnery, T, Xiao, R. & Tono, Y. (2006): Corpus-based Language Studies: an advanced resource book, London: Routledge.
- Oakey, D. (2009): "Fixed Collocational Patterns Insolexical and Isotextual Versions of a Corpus", in: Baker, P. ed., Contemporary Corpus Linguistics, London: Continuum, 2009, pp. 140-158.
- Rychly, P. (2008) Lexicographer-Friendly Association Score, in RASLAN. Masaryk University, Brno.
- Sinclair, Jones, Daley (2004): English Collocation Studies; The OSTI Report, edited by Ramesh, Krishnamurthy, University of Birmingham.
- Stubbs, M. (1995): Collocations and semantic profiles: on the cause of the trouble with quantitative methods. Functions of language; synopsis of linguistic theory, 1930-55, in: F. R. Palmer (ed.), Selected papers of J.R. Firth 1952-1959.

في المناويل المعجمية

أ.د. عبدالعزيز المسعودي^(١)

الملخص:

تقدّم الورقة مفاهيم المنوال والمنولة والمعجم الذهني وأهمّ الفرضيات والنظريات المتعلقة بالبنية الذهنية للمعجم مثل نظرية الكويرات الذرية ومنوال بيوت العنكبوت، ثم تعرّض عيّات من المناويل المعجمية مع تحديد خلفياتها النظرية والأصناف التي تنتمي إليها حسب المسارات الذهنية المباشرة أو غير المباشرة، وحسب المهام والوظائف النفسية-اللغوية التي تضطلع بها في حالتها الأداء الإنتاجي مثل مناويل الاستدعاء والانتقاء، أو الأداء الاستقبالي مثل مناويل التعرف. وقد حاولنا في كلّ ذلك بيان خصوصية كلّ منوال ومواطن قوّته وضعفه ومدى واقعيته النفسية. كما تفترض الورقة وجود منوال معجمي خفيّ يمكن استخراج مكوّناته باستقراء المدونات المعجمية العربية القديمة؛ لذلك حلّلنا نماذج من المعجم العربيّ تبين ملامح هذا المنوال وتبرز أهميته في بناء مناويل معجمية جديدة تراعي خصوصيات اللغة العربية وتربط حاضر الدرس المعجمي الحديث بماضيه العريق عند اللغويين العرب.

الكلمات المفتاحية: المنوال - المنولة - المعجم الذهني - مناويل التعرف -

مناويل الانتقاء - نظريات الكويرات الذرية - نظريات بيوت العنكبوت.

١- جامعة القصيم

Abstract:

This paper introduces the definitions of Model, Modalization, and Mental Lexicon, as well as the main assumptions and theories relating to its mental structure such as Atomic Globule Theories and Cobwebs Theories. It will then expose samples from lexicon models while delineating their theoretical background and the categories to which they belong according to their direct or indirect mental processes, and also according to the psycholinguistic aims and functions which they convey both in productive competence like retrieval models, and selection models, or in receptive competence like recognition models. We have in all this pointed out the specificity of each model, its strengths and weaknesses, as well as the extent of its psychological reality. Likewise, the paper subsumes the existence of a hidden lexical model the components of which can be extracted by scrutinizing samples from lexical corpora in Classical Arabic. Thus, samples from Arabic dictionaries were analyzed which clarify the pattern of such a model and its importance in the structuring of new lexical models that observe the characteristics of Arabic and link the ongoing modern lexicon study with its glorious past of Arabic Lexicography.

Keywords: Model – Modalization – Mental Lexicon – Recognition Model – Selection Model - Atomic Globule Theories - Cobwebs Theories.

١- المقدمة

الأصل الأوّل لمصطلح منوال model هو كلمة modus التي تعني في اللاتينية الكيفية والطريقة. وهذا المفهوم الأصلي يظلّ جامعا للمناويل على اختلاف أنواعها ووظائفها؛ بما أنّ المنوال بالمفهوم السائد في الدوائر العلمية هو صورة لجزء من العالم الواقعي^١ تشتمل على بعض خصائصه ولا تشتمل عليها كلّها؛^٢ لأنّ المنوال (أو النموذج) يكون دائما أبسط من الظاهرة التي يريد الباحث تمثيلها أو تفسيرها.

وللمناويل منزلة خاصّة في مجال العلوم الصحيحة ثمّ العلوم الإنسانية؛ لأنّ العلم عندما يسعى إلى تبسيط الظواهر يجد ضالّته في المناويل فيؤلي أهمية خاصة لبنائها وفحصها ومراجعتها ومقارنتها بعضها ببعض. فهي من هذا المنظور الإبستيمي حوامل معرفتنا بالعالم، بل إنّ الجوانب المهمة من البحث العلمي قد تصبح قائمة على المناويل لا على الواقع نفسه.

والمناويل اللسانية حيّل يلجأ إليها اللسانيون للتغلب على صعوبات الوصف اللغوي^٣ ويلجأ إليها الدارسون عامّة لتقريب الأشياء أو الظواهر المتشعبة المراد درسها من الأذهان، وحسب نوع الممارسة العلمية أو التقنية؛ تكون المناويل. ورغم كثرة المناويل وتنوّعها فإنّ مناويل النحو التوليدي تظلّ أشهرها وأكثرها حضورا عند جمهور المتابعين للدراسات اللغوية، وهي أساسا مناويل لسانية تركيبية؛ أمّا في اللسانيات العربية فقد قدّم مصطلح المنوال إلى القارئ واستعمل بمفاهيم متفاوتة من حيث التجريد ووقع التوسّل به إجرائيا في بعض البحوث الأكاديمية لاستقراء الفكر النحويّ واللغويّ. فافترض المجدوب (١٩٩٨) وجود منوال نحويّ عربيّ ذي طبيعة إجرائية وسعى إلى تقديم الأدلة الاختبارية على ذلك. ورسم خالد ميلاد (٢٠٠١) ملامح منوال نحويّ تداوليّ انطلاقا من مصنّفات النحويين والبلاغيين وتحديدًا ممّا كُتب في مبحث الإنشاء؛ واقترحت بسمة الشكيليّ (٢٠١٤) منوالا موحدًا شاملا لعلوم البلاغة قوامه مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أمّا الشريف (٢٠٠٢) فلئن استعمل مصطلح المنوال بمفهوم مضيق^٤، فإنّ نظريته في الإنشاء النحوي تعتبر منوالا شاملا لصور تحقّق الملكة اللغوية في العرفان الاجتماعيّ.

نخلص، إذن، إلى أنّ المنوَلَة (أو النمذجة) ممارسة علمية منتشرة تشمل مختلف

مستويات الدرس اللساني ولا تقتصر على النحو التوليدي، وأن المناويل اللسانية متنوعة ولا تقتصر على مستوى التركيب أو الصرف أو الأصوات ممثلة في منوال الفونيم، وإنّما تشمل أيضا المناويل المعجمية باعتبارها أداة ضرورية لفهم جوانب مهمة من الظاهرة اللغوية ووصف مساراتها الذهنية. لهذا السبب استقرّ العزم على التعريف بأبرز ما جدّ في المنوالة المعجمية خلال العقود الأخيرة (العنصر ٣)، على أن يسبق ذلك تعريف بالمعجم الذهني (العنصر ٢) لأنّ المناويل المعجمية تستند بالضرورة إلى تصوّر مسبق يحكم علاقتها بالنحو وبالمملكة اللسانية عامة ويفسّر كيفية انتظام المعجم الذهني واشتغاله في حالتي التلقّي والإنتاج، وفي مسارات التعرف والانتقاء. ثمّ نختم البحث بآفاق المنوالة المعجمية انطلاقاً من التقاليد المعجمية العربية.

وإذا انطلقنا من التصنيف الثنائي لمناويل محاكاة المعجم (العلوي والملاخ، ٢٠١٤: ٢٥١) إلى مناويل ذات طابع هندسي تهتم بتنظيم المعارف المعجمية، ومناويل مهتمة بسيرورات اشتغال المعجم الذهني، فإنّ النوع الأول يمكن أن يكون همزة وصل بين المناويل المعجمية المحوسبة وبعض التقنيات المستعملة في الصناعة المعجمية العربية القديمة وهو ما سنعرضه في العنصر (٤) على أن نبدأ أولاً بعرض نماذج من مناويل السيرورات الذهنية في العنصر (٣-١).

٢- المعجم الذهني

يُرجّح أن مصطلح «المعجم الذهني» قد ظهر أول مرة على يد أولدفيلد^٧ وأصبح مفهوماً أساسياً في اللسانيات النفسية رغم أنّ الدارسين لا يعرفون حقيقة المعجم الذهني على وجه اليقين، فهو بمثابة الصندوق الأسود، شأنه في ذلك شأن الذهن نفسه. ومع تقدّم البحث اللساني وتعدّد المناويل المعجمية بدأت تتبدّد بعض الأوهام التي سادت التصرّور التقليدي؛ ومن بين تلك الأوهام اعتبار المعجم الذهني قائمة من المفردات^٨ وهو تصوّر مخالف للواقع اللغوي لسبيين على الأقل:

- من حيث الواقعية النفسية: مفهوم القائمة مخالف لطبيعة المعجم الذهني؛ لأنّه متأثر متأثراً واضحاً بالمعجمية التطبيقية، وبمنهجية تنظيم المعاجم المادية الورقية، وقد أثبتت الاختبارات النفسية أنّ المعجم الذهني غير مُهيكل في

شكل قائمة.

- من حيث المكوّنات: لا يتكوّن المعجم من مفردات فحسب؛ وإنما يتكوّن في مستوى ما دون المفردات من وحدات تصريفية واشتقاقية، أو ما يسميه البعض مورفيات تابعة، ويتكوّن في مستوى ما فوق المفردات من علاقات سياقية من قبيل علاقات التضامّ التركيبي (Colligation (Firth, 1957, Yuanwen, 2017) والتلازم اللفظي Collocation... فهو حسب العرفانيّين مكوّن لغويّ تفاعليّ يشتمل على معلومات تخصّ نطق الكلمات ومعانيها وخصائصها الإملائية والصرفية والإعرابية والسياقية..

المعجم الذهني، إذن، ليس قائمة ساكنة من المفردات؛ وإنما هو - في منظور اللسانيّات العرفانية- مستودع أو خزان نشط تجتمع فيه كلّ التمثيلات المعجمية المرتبطة بالكلمات^٩ في مستوى الذاكرة الفردية للمتكلّم، وهو المكوّن اللغويّ الذي يشتمل على معاني المفردات واللفاظم وخصائصها النطقية والتركيبية والموسوعية والمقامية. ويمكن تلخيص حصيلة ما توصّلت إليه البحوث في اللسانيّات العرفانية بشأن المعجم الذهنيّ في أمرين بارزين:

- المعجم الذهنيّ واحد غير متعدّد: زعم بعض اللسانيّين^{١٠} وجود معجمين في الذهن، أحدهما خاصّ بالكلمات المألوفة المتواترة وثانيهما بمثابة خزان رئيس تُجمّع فيه سائر المفردات، لكنّ جمهور الباحثين على غير هذا الرأي لأنّ الاختبارات النفسية تثبت بوضوح سرعة معالجة المفردات في حالتيّ التعرّف والانتقاء وترجح وحدة المعجم الذهنيّ ولا ترجح تعدّده. وقد قدّم بعض الباحثين أمثال فورستر (١٩٨١) أدلّة اختبارية كافية في هذا الصدد.

- المعجم الذهنيّ منظم: أوّل سؤال تبادر إلى الأذهان منذ اهتمام الباحثين ببنية المعجم الذهنيّ هو التالي: هل يوجد نظام في المعجم الذهنيّ؟ والجواب عن هذا السؤال أضحى محلّ إجماع؛ مفاده أنّ المعجم الذهنيّ منظم بطريقة ناجعة والدليل عليها قدرة المتكلّم على استحضار الكلمة المناسبة في بضعة أجزاء من الألف من الثانية انطلاقاً من منبهات سمعية أو بصرية (Sprida, 2008).

ولئن أجمع اللسانيّون وعلماء النفس على مبدأ نظاميّة المعجم فإنّهم قد اختلفوا

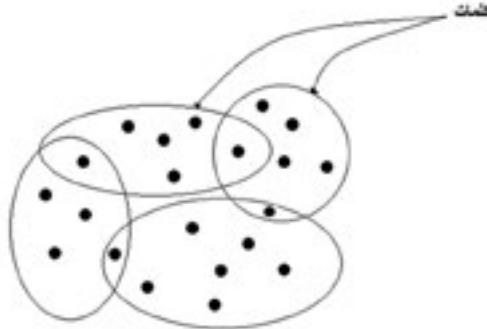
حول كيفية تخزين الكلمات في الذهن وبالتالي حول المسارات المحتملة لاستعمال المفردات والتعرّف عليها، فكانت أجوبتهم فرضيات متنوعة جمّعها البعض^{١١} في صنفين كبيرين من النظريات:

- نظريات الكويرات الذرية Atomic Globule Theories (سنسميها اختصاراً النظريات الذرية)؛
- نظريات بيوت العنكبوت أو شبكات العنكبوت Cobwebs Theories (سنسميها اختصاراً النظريات الشبكية).

١-٢ النظريات الذرية

يرى أصحاب النظريات الذرية أنّ الكلمات تُبنى من مجموعات من الذرات المعنوية التي تجعل الكلمات ذات الذرات المشتركة مرتبطة بعضها ببعض^{١٢}، وتقوم هذه النظريات أساساً على علاقات مفهومية تتحقّق في شكل سمات دلالية وفي إطار حقول معجمية؛ فتتعلق الأسماء مثلاً، في صلب حقل المقاعد على أساس سمات دلالية مثل: بظهر/ دون ظهر - بمتكئ/ دون متكئ - يتسع لشخص / يتسع لأكثر من شخص - بأرجل / دون أرجل، الخ؛ وكلّ نوع من المقاعد يتكوّن من مجموعة من السمات ينفرد بها، ويشارك في سمات أخرى مع غيره.

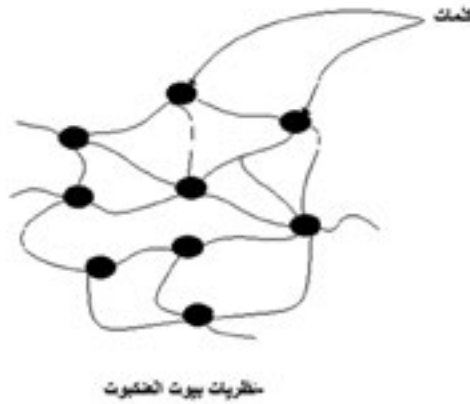
ويقترح أيتشسون^{١٣} في هذا الصدد الخطاطة الموالية لتمثيل هذا الضرب من النظريات؛ فرسم الكلمات المتعلّقة في الذاكرة المعجمية في شكل دوائر، والسمات الدلالية أو الذرات المعنوية في شكل نقاط، والتعلق الذريّ بين الكلمات في شكل تقاطعات بين الدوائر.



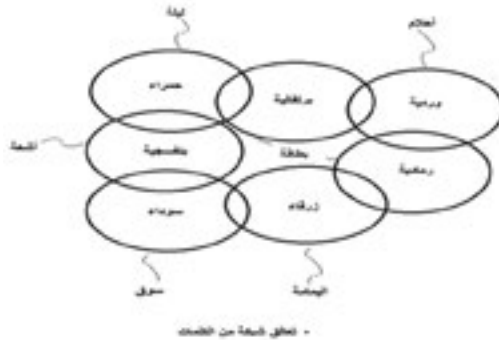
- نظريات الكويرات الذرية

٢-٢ النظريات الشبكية

يرى أنصار النظريات الشبكية أو ما يُسمّى نظريات بيوت العنكبوت أنّ الكلمات لا تترابط في ما بينها على أساس ذري؛ وإنما على أساس علاقات بينها المتكلمون^{١٠}. وتكون هذه العلاقات مادية قوامها التشابه الصوتي كالعلاقة بين صوت وموت، وبين كتاب ومكتبة أو سياقية تلازمية تأسست نتيجة التردد المستمر في الاستعمال مثل جنون العظمة، الجنون فنون، حبّ جنوني... وفي ما يلي خطاطة اقترحها أيتشسون Aitchison لتمثيل كيفية انتظام الكلمات في الذهن من منظور شبكي:



ونقتبس من أيتشسون^{١٠} الخطاطة التالية لنقرب إلى الأذهان أشكال الترابط في الذاكرة المعجمية؛ وقد اخترنا تعويض الأمثلة الإنجليزية بأمثلة من اللغة العربية تنتمي إلى حقل الألوان؛ حيث يبدو ترابطها ناتجا أساسا عن تلازمها سياقيا في الاستعمال مثل: أحلام وردية وأشعة بنفسجية... أو تلازمها جدوليا paradigmatic في الذاكرة؛ حيث يستدعي اسم لون معين أسماء الألوان الأخرى :



يتبين ممّا تقدّم اتفاق الدارسين على وجود معجم ذهني موحد محكم التنظيم بدليل سرعة استحضار المتكلم ما يحتاجه من المفردات؛ وفي سرعة الاستحضار تلك دليل قاطع على وجود علاقات بين الكلمات تجعل تنشيط واحدة منها قادحا لتنشيط غيرها. وهذه العلاقات تبدو- من خلال الاختبارات والفحوص الإجرائيّة- متنوّعة: منها القويّ ومنها الضعيف، منها الدائم ومنها الوقتيّ، منها ما يخضع للسياق ومنها ما لا يخضع له، ومنها المنطقيّ ومنها التلازميّ...^{١٦}. ويعكس هذا التنوّع العلاقيّ - إلى جانب النظاميّة- تعقيدا في بنية المعجم الذهنيّ، ويمثل صعوبة إضافية أمام المَنوَلَة ويفسّر تعدّد المناويل المعجميّة وتنوّع مسارات البحث اللساني، وتعدّد المقاربات النظرية والتصورات المنهجية للمعجم وللظاهرة اللغويّة عامّة (الملاخ وعلوي، ٢٠١٤) ولا تعيننا في هذه الدراسة منزلة المعجم من المقاربات العرفانية أو من المناويل اللسانية والوجائية أو المنظوميّة Modular وإنّما تهمّنا المناويل المعجميّة الصريحة.

المناويل المعجميّة

يجد الباحث في المناويل المعجميّة أصنافا موزّعة حسب المسارات الذهنيّة والمهام المعجميّة وحسب المجالات البيئية التي يتقاطع فيها المعجم مع مستويات لغويّة أخرى مثل الدلالة والتركيب والأصوات^{١٧}. ويمكن تصنيف المناويل المعجميّة صنفين كبيرين حسب مجال التخصص في إطار العلم العرفانيّ Cognitive Science، هما:

- مناويل الذكاء الاصطناعيّ وهي مناويل هندسيّة حوسبيّة تسعى إلى معالجة اللغات الطبيعية آلياً بضرب من الهندسة اللغويّة تقتضي وضع مناويل مشكلنة وخوارزمات. وتتنوع الأطر النظرية لهذه المناويل^{١٨}، فمنها نظرية من المعنى إلى النص لإيغور مالتشوك Igor Mel'čuk^{١٩} ونظرية النحو الموجّه بالرأس^{٢٠} لبولارد وصاق Pollard & Sag ومنها ما يعود إلى النحو التوزيعيّ عند هاريس Harris، مثل نظرية أصناف الأشياء لقاسطون قروس Gross...

- مناويل عرفانية وهي بالأساس مناويل المعجم الذهنيّ وكلّ ما اتصل بها من مسائل متعلقة بكيفية تمثيل المفردات وتخزينها في الذهن والنفاد إليها؛ أي بكلّ ما له صلة بالمعالجة الذهنيّة للمعجم باعتبارها فرعاً من مسارات ذهنيّة

أشمل، لذلك يقع هذا المبحث في مجال تتمازج فيه تخصصات علم النفس وعلم الأعصاب وعلم اللسان. والنوع الثاني هو الذي يعيننا في هذا البحث.

١-٣ مناويل السيرورات الذهنية وأصنافها

تمكّن الباحثون على تخوم علم النفس وعلم الأعصاب واللسانيات من بناء مناويل تتكهّن بكيفية تخزين الكلمات في المعجم الذهني وكيفية التعرف عليها في حال التلقّي أو في حال التلفظ وذلك بالنفاذ إليها وانتقائها واستحضارها. وفي حالة النفاذ إلى الكلمات تُصنّف المناويل المعجمية حسب طبيعة المسارات المقترحة إلى مناويل مباشرة ومناويل غير مباشرة.

١-١-٣ المناويل المباشرة:

يشتغل المنوال المباشر - حسب البعض - بمثابة المعالج في جهاز الكمبيوتر فيتمّ العثور على الوحدة المعجمية بمجرد قراءة حروفها الأولى أو نطقها ومثال ذلك منوال مورطن Morton (١٩٨٢) المعروف بمنوال المولّدات Logogen، ومنوال مارسلن - ولسون (١٩٨٧) المعروف بمنوال المَفْرَزة أو الكتبية Cohort^{٢١}. وهو منوال للتعرف السمعي على الكلمات يبدأ في طور أوّل بتنشيط كلّ الكلمات التي تشترك في حرف أو جزء من المقطع الأوّل ثم يقع تضيق الاختيار تدريجياً حسب تعاقب الصواتم (الفونيمات) وصولاً إلى نقطة التفرد التي يقع فيها التعرف على الكلمة باعتبارها مختلفة عن سائر الكلم المتّمي إلى المفردة نفسها، ويمكن توضيح هذا الضرب من المسارات الذهنية للتعرف السمعي عبر المراحل المحتملة لانتقاء كلمة منزه:



في الوادي الأول من اليمين يقع تنشيط عدد من الكلمات التي تبدأ بالميم بمجرد نطق الصوت الوظيفي / م / والفتحة القصيرة / — / ثم يقع تنشيط عدد من الكلمات التي تبدأ بالمقطع المغلق / م — ن / في الوادي الثاني، ثم بالمقطعين / م — ن / ز — / في الوادي الثالث، وأخيراً يُنطق الصامت / ه / فيمثل نقطة التفرد التي لا تشترك فيها كلمة منزّه مع أي من الكلم في العربية.

ولعل نقطة الضعف في هذا المنوال اقتضاؤه عدم الانحراف Undistortion أثناء نطق الأصوات اللغوية وهذا بعيد عن واقع التواصل الشفهي الذي لا يخلو من زلات اللسان، وتحريفات النطق العفوية أو الناتجة عن بعض السمات النطقية الخاصة بالإنجاز الفردي لبعض الحروف.

٢-١-٣ المناويل غير المباشرة

المناويل غير المباشرة متعدّدة أشهرها^{٢٢} منوال عالم النفس فورستر (١٩٧٦) المعروف بمنوال البحث المتسلسل المستقل^{٢٣} وهو بمثابة سيناريو بحثٍ عن ملفات أو كتب في رفوف مكتبة، يكون منطلقه نُتف من المعلومات تهم موضوع الكتاب أو عنوانه أو اسم مؤلفه، يليه البحث في فهارس المكتبة ثم البحث عن الكتاب أو الوثيقة في الأروقة والرفوف... وعلى هذا النحو يكون النفاذ المعجمي منظومياً Modular ينطلق من الشفرة الصوتية أو الشفرة الهجائية (الرموز المكتوبة) للكلمة أو من خصائصها الصرفية أو التركيبية أو الدلالية، ويكون البحث في قوائم أو ملفات مصنّفة حسب هذه الخصائص اللغوية المختلفة في مداخل تترابط في ما بينها بمشيرات Pointers تتصدّرها الكلمات الأكثر تواتراً في الاستعمال، وعندما تتم المطابقة بين المدخل وبين المثير - أي الشكل اللغوي المكتوب أو المنطوق - يشير المدخل إلى الملف الرئيس للمعجم الذهني حيث تتوفر كلّ البيانات المتعلقة بالكلمة؛ وبذلك يقوم هذا المنوال على عمليات تنشيط متسلسلة متعاقبة مستقلة بعضها عن بعض، وهي تنتشر من مستوى إلى آخر دون أن تنتظر بالضرورة الحسم في المستوى السابق. واجه هذا المنوال القائم على استعارة القاموس نقداً من وجوه عديدة؛ منها البطء المحتمل الناتج عن التسلسل وعن المنظومية Modularity بما تقتضيه من استقلال

بين المستويات وعدم قابلية التفاعل بين الكلمة والسياق^{٢٤}؛ وكل هذا لا تدعمه الواقعية النفسية بناء على سرعة التعرف على الوحدات المعجمية التي نلاحظها في الأداء العادي للمتكلمين. وهذا ما ألجأ فورستر إلى تعديل منواله التسلسلي القائم أساساً على محاكاة اشتغال الحاسوب^{٢٥} وجعله يتأسس على مبادئ المعالجة التفاعلية المتوازية.

٣-١-٣ التصنيف الثلاثي لمناويل معالجة الكلمات

يقترح هاندكه (٢٠١٢) Handke تصنيفاً ثلاثياً لمناويل معالجة الكلمات في الذهن حسب طبيعة المسار الذهني المتعلق بـ (أ) الإدراك الأولي في مرحلة ما قبل المعالجة المعجمية أو (ب) مرحلة الاستعادة المعجمية Lexical Retrieval والتعرف على الكلم في حالة الأداء الاستقبالي أو (ج) مرحلة الانتقاء المعجمي أثناء الأداء الإنتاجي.

أ- مناويل ما قبل المعالجة المعجمية: Prelexical Processing Models

هي مناويل خاصة بالقناة السمعية أو بالقناة البصرية تقترح تفسيراً لكيفية التقاط السمات Feature Detectors المكونة لصورة معينة، وهذه السمات تكون في شكل خطوط وحدود خاصة بكل صورة تنبعث من الأجسام في شكل موجات طاقة^{٢٦}. والملاحظ في المستوى البيولوجي هو اشتراك الثدييات في الخصائص العامة لمناويل اللواقط Template Matching المتمثلة في التقاط العين للصورة ثم إرسالها إلى المركز العصبي حيث تقع مقارنتها بأنساق Patterns مخزنة في الذاكرة يسميها المختصون قوالب Templates^{٢٧}. وعلى نحو مشابه بُنيت المناويل الخاصة بالقناة السمعية مع اعتبار الفارق النفسي والعصبي بين الحاستين.

ب- مناويل التعرف على الكلم Models of Word Recognition

يرى البعض أنّ المناويل المعجمية المُدخلتة أي المناويل الذهنية الخاصة بالمعجم تُصنّف حسب المهام وحسب طبيعة المعالجة الذهنية إلى مجموعتين أساسيتين هما مناويل التعرف ومناويل الانتقاء، أمّا مناويل ما قبل المعالجة المعجمية فمعالجتها

العرفان العام، وهي ليست خاصّة بالعرفان اللغويّ لأنّ لواقط المعلومات تتعامل مع المحيط العرفانيّ عامّة، وتلتقط المعلومات اللغويّة وغير اللغويّة على حدّ سواء. وهذه الحقيقة تدعم المبدأ العرفانيّ العام القائل بعدم انفصال الملكة اللغويّة عن سائر الملكات العرفانيّة الأخرى.

يبدو التعرّف على الكلم في ظاهره مسألة بسيطة؛ إذ يكفي أن يُسجّل المتلقّي الكلمة ويجزّئها إلى مقاطع ويبحث عنها في مستودع الألفاظ في الذهن؛ غير أنّ هذا التصور المبسّط لا يتناسب مع الواقع النفسيّ ومع الظروف الطبيعيّة للتواصل؛ إذ من الممكن أن يتابع المتلقّي سيلّ المقاطع الذي يبلغ حوالي عشرين (٢٠) مقطعاً في الثانية ثم إنّ المقاطع قد تتداخل وتتعامل صوتياً فيكون بعضها عرضة لتحريفات نطقية كبيرة.

والأقرب إلى الواقع النفسيّ حسب بعض مناويل التعرّف هو التعامل التقريبيّ عن طريق التخمين انطلاقاً ممّا يسمعه المتلقّي من مقاطع، فيعرض ما يسمعه على معجمه الذهنيّ ليختار من بين عناصره المرشّح الأنسب في ضوء ما تقتضيه مطابقة الكلمات المسموعة للمعاني المقصودة. وهنا توجد مقاربتان: مقارنة «الكلمة كلمة» ومقاربة «سباق الخيول»، في الحالة الأولى يختبر المتلقّي الكلمات واحدة بعد الأخرى طبقاً للمنوال التسلسليّ المنظوميّ، وفي الحالة الثانية تُؤخذ الكلمات دفعة واحدة بصفة تفاعليّة متزامنة وكأنيّما في سباق ثم تقع معالجتها بصفة متوازية، ومن الدارسين من يقترح الجمع بين المقاربتين^{٢٨}.

ومناويل التعرّف أنواع منها منوال المفرزة أو الكتيبة الذي قدمناه ضمن المناويل المباشرة ومنوال المعالجة بالتوازي Parallel Processing Model، والمناويل التسلسليّ Serial Model وهو من المناويل غير المباشرة الخ.

ج- مناويل انتقاء الكلم Models of Word Selection

يؤكد بعض الدارسين أنّ عمليّة الانتقاء المعجميّ غير عمليّة الوسم الصوتيّ، فالعثور على الكلمات يقتضي أولاً انتقاء المعنى الأساسيّ وقسم الكلام الذي يناسبه، وهما يكونان معاً ما يعرف باللمّة Lemma^{٢٩} أو الجذع حسب بعض الترجمات، ثم

يلي ذلك البحث عن «الأصوات التي تكسو تلك اللمّة»^{٣٠}. وهذا التقسيم الشائقي لطوري الانتقاء تتأكد وجاهته من خلال حالات تعثر الإنجاز الكلامي أو ما يُعرف بظاهرة «طرف اللسان»، أي من خلال انتقاء اللمّة مع عدم العثور على الشكل الصوتي المطابق لها، وهذا الموقف يعبر عنه المتكلم عادة بعبارات من قبيل: «الكلمة على طرف لساني...»، لكنّه يجد صعوبة في استحضارها.

وأبرز لغز حاولت مناويل الانتقاء^{٣١} الإجابة عنه يمكن تلخيصه في السؤال التالي: ما الذي يحدث في الذهن عندما ينتقي المتكلم مفردة معيّنة؟ فعلى سبيل المثال، يستعير منوال الوثب فوق الأحجار Stepping- Stone Model لوضعية المتكلم وهو ينتقي الكلمات، وضعية شخص يعبر مياه النهر بالوطء فوق الأحجار فيثبت ساقه (أو ساقه) على الحجر الأول قبل أن يثب إلى الحجر الموالي، وهو بذلك يُنهي كلّ طور من أطوار العبور قبل أن يبدأ الطور الموالي. على هذا النحو يتصرّف المتكلم عندما ينتقي اللمّة قبل أن ينتقي الشكل الصوتي المطابق لها، ويفترض أصحاب هذا المنوال وجود علامة^{٣٢} في الطور الأول تشير باتجاه الطور الموالي^{٣٣}. لكنّ منوال «شلال الماء» وهو منوال تفاعلي متواز، لا يفصل بين الطورين ولا يشترط انتقاء سلسلة الأصوات بعد الفراغ من انتقاء اللمّة، وإنّما يسمح بالتفكير في المعنى أثناء انتقاء الأصوات ويأخذ في الاعتبار إمكانية تعديل عملية الانتقاء في ضوء المعلومات السياقية الجديدة التي قد تعدّل مسار المعالجة الذهني، وهو ما يعني أنّ البيانات التي يقع تنشيطها في طور سابق تظل سارية المفعول في الطور الموالي^{٣٤}.

نلاحظ من خلال عيّات المناويل المعجمية التي استعرضناها تنوعاً حسب طبيعة المسار العرفاني والخلفيات النظرية والمنهجية، فبعض المناويل منظومي وبعضها الآخر ترابطي تفاعلي، ثم إنّ المناويل التي تشترك في الخلفية النظرية وفي بناء المسار العرفاني نفسه وفي طبيعة المخرجات قد تختلف في بناء الآليات الداخلية للمنوال؛ ومن هنا اختلفت الاستعارات المختارة لتسمية المناويل، وهو اختلاف راجع كذلك إلى طبيعة المنولة باعتبارها محاكاة تقريبية للوقائع النفسية قائمة على التكهن والتخمين. ولئن كان لكلّ منوال نقاط ضعفه ونقاط قوّته فإنّ كلّ منوال جديد يعتبر إضافة مهمّة في وصف جوانب غامضة من المعجم الذهني، ويعتبر خطوة إلى الأمام تسهم في تعميق فهمنا للمعجم وللمملكة اللغوية عامّة.

٤- نحو منوال مُحوسَب يستثمر مكتسبات التقاليد المعجميّة

إنّ المطَّلَع على تقنيات صناعة المعاجم العربيّة القديمة يلاحظ أنّ الصناعة المعجميّة التقليديّة، على بساطتها الظاهرة، تقوم على انسجام ضمنيّ أساسه حدوس اللغويّين التي تسعى ضمّنيّاً إلى محاكاة الذاكرة المعجميّة الجماعيّة واستبطانها بطريقة لاواعية؛ والثابت لدينا من خلال قراءة بعض المصنّفات المعجميّة أنّ المعاجميّ (صانع المعاجم) عندما يضع المدخل يبدو حريصاً على إبراز سماته الإفراديّة قصد تمييزه تميّزاً واضحاً من المداخل الأخرى ولا سيما القريبة منه شكلاً أو معنى، وذلك بتقديم كلّ المعلومات اللازمة للتعرفّ عليه أو استعماله استعمالاً يطابق سنن اللغة ويستجيب لمقتضيات التداول.

والانطباع العامّ الحاصل من خلال استقراء عيّنات من المعاجم العربيّة هو أنّ واضعيها - على ما بينهم من اختلافات جزئيّة في منهجيّات الوضع - يلتقون أثناء التوثيق المعجميّ في مراعاة الشروط التالية:

- الأفراد المعجميّ: تخصيص مدخل لكلّ شكل معجميّ - كلمة أو متلازمة - تتوفر فيه سمة التفرّد بمدلول معجميّ يختصّ به دون غيره.
- الكفاية الوصفية: يسعى مؤلّفو المعاجم إلى تقديم أقصى ما يمكن من البيانات اللغويّة والموسوعيّة والتداوليّة اللازمة لتخصيص المدخل المعجميّ وجعله مفهوماً وقابلاً لإعادة الاستعمال طبقاً لما تقتضيه معايير الاستعمال اللغويّ. وهذا ما يجسّم الدور العلميّ والبيداغوجيّ للمعاجم اللغويّة العامّة.
- النجاعة اللغويّة: تحرير النصوص المعجميّة بلغة واصفة خاصّة بالصناعة المعجميّة تجمع بين دقة التمثيل والاقتصاد في المواد.
- وحدة المنهج: تقوم الصناعة المعجميّة على جملة من المبادئ المنهجية الضمنيّة التي تبدو شبه موحّدة في عرض المداخل وتشكيلها ووصفها لدى المؤلّف الواحد أو عند جُلّ المؤلّفين.

بناء على ما لاحظناه يمكن أن نسلم بوجود منوال معجميّ خفيّ اتّبعه اللغويّون العرب وتواضعوا عليه ضمّنيّاً. وهو منوال تتوفر فيه شروط الواقعيّة النفسيّة

والنجاعة الوصفية لأنّ المعجمي^{٣٥} لا يصف ما سمعه من كلام العرب وما جمعه من المعاجم الأخرى بصفته متلقياً فحسب، وإنما يصف ما سمع وجمع وكأنّه يستحضره من ذاكرته المعجمية فيستدعيه باعتباره متكلماً أيضاً؛ وهذا من شأنه أن يجعل المتلقّي يقرأ الشروح المعجمية فيستبطنها متمثلاً جلّ خصائص المداخل الدلالية إضافة إلى خصائصه الشكلية السياقية المتعلقة بالتطريز الصوتي وبالتعليق التركيبي وخصائصه الجدولية التي تشمل العلاقات الاشتقاقية والانتظام الجذري بين المداخل التي تنتمي إلى حقل اشتقاقي واحد وهو انتظام يمكن أن يعكس التمثيل الذهني الذي يتعامل مع الجذور باعتبارها وحدات لغوية مخزنة في الذاكرة منفصلة عن القوالب الصرفية^{٣٦} ولا شك أنّ هذا الضرب من المناويل سيكون مختلفاً عن المناويل الصرفية الخاصة باللغات اللصقيّة أو السلسليّة Concatenative مثل اللغات الأوروبية سيما بعد أن قدّمت بعض الدراسات^{٣٧} أدلةً اختبارية مستمدة من أخطاء مريض بالحُسبة تثبت وجود معجم ذهني خاص باللغة العربية يمثل الوحدات الجذرية مكوّناً من أبرز مكوناته.

إذا سلّمنا - بناء على ما تقدّم - بوجود منوال معجميّ ضمّنيّ لدى اللغويين العرب القدماء؛ وإذا صحّ اعتباره منوالاً لا يخلو من محاكاة الذاكرة المعجمية الجماعية جاز لنا أن نزعّم أنّه يمكن أن يكون منطلقاً مناسباً لبناء مناويل للمعجم الذهنيّ وللمعاجم الآلية تأخذ في الاعتبار خصائص اللغة العربية الاشتقاقية والتركيبية، وذلك بعد إعادة صياغته بصفة صريحة تستجيب لمقتضيات الشكلنة الصارمة التي تقبلها الآلة ويقتضيها بناء المناويل الهندسية المحوسبة. وهذه الحوسبة أو المنولة المنشودة تقتضي أولاً رصدًا شاملاً للسّمات المعجمية التي اعتمدها اللغويون العرب في لغتهم الواصفة.

٤-١ منوال السمات المعجمية

نسلمّ في هذا البحث بإمكانية بناء منوال وصفيّ صريح للمعجم العربي مستمدة عناصره الأساسية من تقاليد الصناعة المعجمية العربية، وتحديدًا من مداخل المعاجم العربية حيث نلاحظ فيها أمرين مهمّين:

أولاً: تحتوي العناصر المكوّنة للمداخل المعجميّة على نوعين من

الدلالات:

- دلالات ذاتيّة ^{٣٨} Autonymiques: أي دلالات المفردات بأبنيتها الذاتيّة على مقولات نحوية أو صرفية أو معجميّة، مثلاً يدلّ الفعل أتى بصيغته الصرفيّة على البناء للفاعل، ويدلّ الفعل جُسنّ على البناء للمفعول، ويدلّ أعلم بصيغته الاشتقاقية على الجعل واستعلم على الطلب... ويدلّ المدخل نظارات ذاتيّاً بصيغته الصرفية على الجمع.. وهكذا لا يحتاج مؤلّف المعجم إلى التصريح بمثل هذه المعلومات بعد كل مدخل لأنّها التصريح بها يعدّ حشواً يتنافى مع نزوع الصناعة المعجميّة إلى الاختصار والاقتصاد في المواد.
- دلالات علاقيّة: أي دلالات تفصح عنها الخصائص التركيبية للرؤوس المعجميّة الفعلية مثل خاصيّتي التعديّة واللزوم، فمن بنية المدخل أتى Ø بمعنى «جاء وقرب» نستنتج أنّ الفعل مقتصر على الفاعل، ومن البنية التركيبية للمدخل أتى الأمر بمعنى «فعله» نعرف أنّ الفعل متعدّد مباشرة، ومن المدخل أتى عليه كذا بمعنى «مرّ به» ندرك أنّ الفعل متعدّد بحرف الجرّ على؛ ومن المدخل أتى فعلاً فاحشاً أو فاضحاً بمعنى أفحش هو فعل خفيف Light Verb أو فعل عماد يكون جزءاً من متلازمة لفظية تعتبر وحدة معجميّة متشعبة.. وهكذا تتوفّر المداخل الفعلية على معلومات تركيبية دقيقة رأى القدامى أن لا داعي إلى التصريح بها في إطار العبارات الشارحة مادام حضورها الذاتي وتحققها في التركيب مغنياً عن الوصف.

ثانياً: تكون المداخل المعجميّة في شكل أنساق تركيبية دلالية

تشمل نوعين من المفردات :

- مفردات ذات معنى معجمي ثريّ تتصدّر التركيب مثل أتى، أو معمولات للرأس المعجمي الذي ينتقيها حتى تكون قيّداً دلاليّاً يخصّص معناه ويحدّد مجاله المعجمي مثل المرأة في المدخل تسوّرت المرأة بمعنى لبست السوار؛ أو الشاة والعنز في قولهم جزّ الشاة وحلق العنز على اعتبار أنّ الجزّ يكون في الصوف والحلق يكون في الشعر (ابن فارس، الخصائص)، الخ.

- أسماء عامة مثل الشيء و الأمر، وأسماء مبهمة مثل هو، وكنايات من نوع فلان وكذا، مثال ذلك: أتى الأمر: فعله وأتى عليه كذا: مرّ به...

المطلوب من خلال هذا التشخيص الأوّلي هو استقراء المعاجم وجرد قوائم في الأسماء العامة والمبهات وتحديد ما تمثله من سمات معجمية لتكوين معجم مقوليّ موحد يعتمد على واضعو المعاجم في لغتهم الواصفة سواء أكانت لغة طبيعية أو صورية.

ويمكن وضع منهجية واضحة «لترجمة» هذه المفردات - التي تنتمي إلى اللغة الواصفة عند المعاجمين القدماء - إلى سمات مقولية كونيّة مناسبة للمعالجة الآلية ولناويل التحليل الإعرابي Parsers والإحصائي. لكن يجب - قبل ذلك - تفكيك الشفرة المقولية لتلك اللغة التقنيّة وكشف ملامحها باستقراء المدونة المعجمية العربية استقراء شاملاً. ويمكن توضيح منهجية الاستقراء تلك وما يواجهها من تحديات بفحص سريع لعيّنات من مادة أتى في (١-٢).

إذا انطلقنا من المدخل الرئيس أتى وجدنا المداخل الفعلية المتفرعة عنه جملا هي في حقيقة أمرها أنساق معجمية تركيبية يتصدّرها المحمول أتى مشفوعا بنوعين من المتعلّقات:

- مفردات ذات معنى معجمي ثريّ وهي من صنف الموضوعات أو المخصّصات المعجمية.

- وحدات وظيفيّة ذات معان مقولية مجردة تستوجب رفع الإبهام عنها بالرجوع إلى شواهد من الاستعمال.

النوع الثاني نتوسّع في تحليله لاحقا (العنصر ٤-١-١)، أمّا النوع الأوّل من المتعلّقات - أي الوحدات المعجمية الثرية - فتوضيحه في المثالين (١-٢):

(١) أتى الرجل والمكان: جاءه.

(٢) أتى المرأة: باشرها.

يتكوّن (١) - في حقيقة الأمر - من مدخلين دجما اختصارا في مدخل واحد بما أنّ المعنى المعجمي الإجمالي واحد وهو حدث «الإتيان» أي القدوم والفرق مقتصر على الهدف. ونسوق شاهدين أوّلهما على إتيان المكان (٣)، وثانيهما على إتيان الشخص (٤):

(٣) ... وأما الفاضل الزهاوي مفتي الحنفية ببغداد فهو من بلدة السليمانية أتى بغدادَ وسكن بها ٣٩.

(٤) ... وفي حديث آخر للشيخ الصدوق أن رجلاً أتى أمير المؤمنين فشهد أنه رأى رجلين بالكوفة من المسلمين يصلّيان لصنم ٤٠.

الرجل والمكان في (١) يعتبران من الأسماء العامة وذكرهما من باب توضيح سياقات الاستعمال الممكنة، لكنّ التخصيص حاصل في المثال (٢) إذ يمكن إدراجه في إطار ما سماه ابن فارس سنن العرب في كلامها، لأنّ المعنى في قولهم أتى المرأة غير المعنى في أتى الرجل وأتى المكان. وهذه المعاني الخاصة أو الشاذة بمفهوم بلومفيلد لها أولوية الرصد في المعاجم.

٤-١- المبهمات والكنائيات في المداخل المعجمية

لا تحتوي المداخل المعجمية على أسماء عامة ووحدات معجمية ذات محتوى دلاليّ ثريّ فحسب، وإنّما تشتمل أيضاً على مبهمات وكنائيات وظّفها اللغويّون ضمن تقنيات صناعتهم المعجمية واستعملوها في مداخل معاجمهم محقّقين بها الدقة والاختصار. ويمكن استقراء تلك المبهمات لتحديد مدلولاتها. ولعلّ أكثرها تواتراً في النصوص المعجمية ضمير الغائب هو، ومثاله في (٥):

(٥) أتى عليه (هـ) الدهر: أهلكه.

يعوّض هو الاسم مفرداً مذكراً؛ ومن المفترض - في غياب المزيد من التخصيص - أن يشمل الضميرُ العاقلَ وغير العاقلِ إذ يبدو لنا من عاداتهم إذا أرادوا تمييز الأسماء، في ضوء مفهوم العاقليّة، استعملوا كلمات مثل الرجل أو فلان للعاقل والشيء والأمر لغير العاقل، ويمكن إجراء اختبار للتثبت من إمكانية حضور سمة العاقليّة وذلك بتعويض الضمير في (٥) بمجموعة من المفسّرات في (٦):

(٦)

أ- أتى الدهرُ على الطفل / البنيان: هدمه ودمره...

ب- أتى الدهرُ على القوم / الأقوام: أهلكهم وأفناهم

ج- أتى الدهر على الرجل : أهلكه؟؟

يكون مفسّر الضمير هو من غير العاقل طلالاً أو نحوه (٦- أ) ومن العاقل قوماً من الأقوام (٦- ب) لكننا قد نتردد في مقبولية (٦- ج) لأنّ الدهر - وهو الزمن الطويل - قد لا يتناسب مع عمر الإنسان وهو قصير، وإن ورد استعمال الدهر تحوّزاً في سياقات أخرى من قبيل « فلان يصوم الدهر » أي كامل أيام السنة وهذا راجع لمداول كلمة الدهر.

وعلى العموم يتبيّن لنا في (٦) أنّ الضمير يعود على العاقل وغير العاقل، وهو ما يفهم استلزماً من اكتفائهم بسمتي الأفراد والتذكير. وفي هذا الاختبار الذي أجريناه دليل كاف على اقتصادهم في جهاز الوصف واقتصارهم على السمات المفيدة التي تميّز المداخل وتخصّصها.

والملاحظ أيضاً أنّ كلمة الدهر في (٦) عوّضتها عبارة كذا في المدخل الفرعي (٧):

(٧) أتى عليه كذا: مرّ به^{٤١}

وكذا كنايةٌ بحثنا عن لوازمها في شواهد من الاستعمال فوجدنا منها (٨):

(٨)

أ- الثنيّ من الإبل ما أتى عليه خمس سنين وطعن في السادسة، والثنيّ من البقر ما أتى عليه ستان وطعن في الثالثة [...] والجذع العظيم من الضأن وهو عند الفقهاء ما أتى عليه أكثر الحول^{٤٢}.

ب- مَنْ أَتَى عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ سَنَةً فَلَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ شَرُّهُ فَلْيَتَجَهَّزْ إِلَى النَّارِ^{٤٣}.

ج- هَلْ أَتَيْعَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (الإنسان، ١)

د- [...] ما معك من القرآن؟ قال كذا وكذا. قال زوّجْتُكها بما معك من القرآن. (حديث)^{٤٤}.

نلاحظ أنّ عبارة كذا يمكن أن تكون كناية عن المقدار المحدّد من الوقت (٨ أ-)

(ب) أو المدة غير المحددة (٨- ج) أو العدد مطلقاً (٨- د)؛ لكنها تظلّ -على العموم- كناية عن المجهول وما لا يُراد التصريح به كقولهم فعل كذا وقال كذا... وفاعل أتى

قد يكون حيناً من الدهر معلوماً أو غير معلوم (٨)، وربما كان جائحة أو كارثة أو ظاهرة اجتماعية وبذلك يقترن المركب الفعلي « أتى عليه كذا »^{٤٥} بمتعلقات معجمية ذات دلالة سلبية نذكر أمثلة منها في (٩) :

(٩)

أ- أتى الانفجار على معظم سيارات الموكب.

ب- أتى الحريق على طوابق المستشفى الستة.

ج- أتى الفساد والاستبداد على الحرث والنسل.

د- انتشار نوع من أمراض النباتات أتى على الكثير من الخضروات المستنبطة^{٤٦}.

هذه، إذن، عيّنات محدودة تُبيّن السبيل التي يمكن أن تُسلك - في طور أوّل- لرصد اللغة الواصفة عند المعاصرين العرب القدامى على أن تُشفّع - في طور ثان- بالكشف الشامل عن طبيعة الجهاز الواصف الذي تواطؤوا عليه، والتقصّي الدقيق لمنهجياتهم في استعماله وتوظيفه، وهو في حقيقته جهاز مقوليّ يمكن أن يشكّل لبنة أساسيّة لبناء مناويل معجميّة عربيّة صريحة تتماشى مع مقتضيات الأنساق المعرفيّة الجديدة ومتطلّبات الصناعة المعجميّة الحديثة، سواء أكانت هذه المناويل عرفانيّة تسعى إلى تمثيل المعجم الذهني وآليات اشتغاله في علاقة بالملكة اللغويّة عامّة أو مناويل حاسوبية هدفها محاكاة الأنشطة الذهنيّة أو المعالجة الآليّة للبيانات اللغوية في اللسان العربيّ. وفي كلتا الحالتين تنتمي هذه المناويل المنشودة إلى العلم العرفانيّ وأهمّ مكوناته كما هو معلوم الذكاء الاصطناعيّ واللسانيّات العرفانيّة وعلم النفس العرفانيّ.

ملاحظات ختامية

لقد حدث تطوّر كبير في مجال الصناعة المعجمية من حيث التقنيّات والأهداف. فبعد أن كان هدف المعاجم التقليديّة الرئيس هو التوثيق صار هدف المعاجم الحديثة يتجاوز ذلك إلى المعالجة الآليّة وتطبيق النظريّات المعجمية في ضوء ما حدث من مستجدّات في مستويي الذكاء الاصطناعي والنظريّات اللسانية الحاسوبية والعرفانية. ثمّ أصبحت المنولة شرطاً ضرورياً لدراسة المعجم الذهنيّ وتحقيق الكفاية التفسيرية لجوانب غامضة من الملكة اللغوية. بل أصبح من البديهيّ القول إنّ كلّ نشاط معجميّ ذهنيّ قائم بالضرورة على آليات عرفانية قابلة للمنولة، وكلّ نظام معجميّ أو بنك بيانات معجمية يجسّد بالضرورة منوالاً لسانياً أحكم بناؤه على أسس قابلة للتبرير العلميّ.

غير أنّ هذا التطوّر الكبير الحاصل في مستوى النظريّات والتطبيقات لا يجب أن يحوّل دون الاستفادة من المدونة المعجمية التقليديّة، وإعادة النظر في تقنيّات الصناعة المعجمية عند القدامى عساها تكون منطلقاً جيّداً للمنولة والشكلنة. فالانطلاق من اللغة الواصفة في المعاجم القديمة يمكّننا من توظيف الجهاز المقوليّ المستمدّ من خصوصيّات اللغة العربية ويجنّبنا استعمال جهاز مقوليّ بعض مكوناته مستمدّ من لغات هندية أوروبية تختلف في بُناها اللغوية ٤٧ وأصولها الوراثية عن اللغات السامية. وبذلك يُبنى المستقبل العلميّ والتكنولوجيّ للغة العربيّة على ماضيها العريق في صناعتيّ النحو والمعجم.

الهوامش:

١ العالم الواقعي كما يفهمه العرفانيون يتسع ليشمل الوقائع والأحداث الذهنية.

٢ 3 : Lave & March, 1993.

٣ المجدوب، ٢٠١٩: ١٦.

٤ من أنواع المناويل نذكر: - المناويل البيانية: مثل الخرائط والرسوم (الصورة منوال للواقع كما يقول فتقنشتاين) - المناويل الرياضية: تمثل الواقع بمعادلات ورموز رياضية - المناويل المجسمة أو الحقيقية Scale Models: تمثل الخصائص الظاهرة من الأشياء : مجسم لجسر أو سيارة أو منزل - مناويل الظواهر : يمثل ظاهرة معينة مثل مناويل التواصل ومناويل المناخ ومناويل الاحتباس الحراري... - المناويل التماثلية analogical مثلا الحاسوب هو منوال يحاكي الذهن البشري - المناويل الإحصائية: مجموعة من المقاييس التي تضبط احتمالات انتشار العينات في الفضاء - المناويل الظاهرية : لا تستند إلى نظرية وتكتفي بتمثيل المستوى الظاهر من الأشياء - المناويل المؤمثلة : الأمثلة هي تبسيط مدروس لشيء معقد يُراد جعله قابلاً للطرق والمعالجة...

٥ غلفان، ٢٠١٠، المجدوب، ١٩٩٨...

٦ جاء المصطلح في نظرية الإنشاء النحوي للكون بمفهوم القالب التركيبي مثل منوال [...] إن...] وهو مفهوم موجود في اللسانيات البنوية بالخصوص.

٧ Oldfield, 1966.

٨ Chomsky, 1965.

٩ Bonin, 2004: vii.

١٠ Glanzer & Ehrenreich, 1979.

١١ 75 : 80-Aitchison, 2003.

١٢ 76 : Aitchison, 2003.

١٣ نفسه.

١٤ 76: Aitchison, 2003.

١٥ نفسه، ص 94، 94.

١٦ نفسه، ص ١٠١.

١٧ من هذه المناويل المعجمية نذكر: مناويل النفاذ المعجمي Lexical Access Models - مناويل القرار المعجمي Lexical Decision Task Models - مناويل الانتشار المعجمي Lexical Diffusion Models - مناويل المحلّلات المعجمية Lexical Analyzer Models - مناويل الأفراد المعجمي Lexical Models of Individuation - المناويل الدلالية المعجمية Lexical Semantic Models - المناويل السماعية المعجمية Acoustic and Lexical Models

١٨ Bolshakov & Gelbukh, 2004: Computational Linguistics: Models, Resources, Applications.

١٩ Meaning-Text Theory.

٢٠ Head Driven Phrase Structure Grammar

٢١ المَفرزة أو الكتيبة استعارة تعني في الأصل مجموعة من المحاربين في الجيش الروماني منتظمة في صفوف متعاقبة تقلّ أعدادها تدريجياً وصولاً إلى القائد في مقدمة الجيش.

٢٢ نذكر منها أيضاً: Paat et alii, 1982; Norris, 1986; Becker, 1979 ...

٢٣ 266: Serial Search model, Garman, 1990.

٢٤ 19: Garrod & Pickering, 1999: 20. 57-Randall, 2007: 55.

٢٥ الملاح، علوي، ٢٠١٤: ٢٤٤-٢٤٥.

٢٦ Morrone & Burr, 1988.

https://www.zeepeedia.com/read.php?pattern_recognition_27template_matching_models_human_flexibility_cognitive_psychology&b=85&c=14

٢٨ 230 : 231-Aitchison, 2003.

٢٩ اللمّة (أو الجذع) هي الشكل المعجميّ الأصليّ الذي يقبل التحليل إلى معنيّ أساسيّ وانتماء مقوليّ إلى قسم من أقسام الكلام . وقد تردّدنا في استساغة هذا التعريب الصوتي لمصطلح Lemma ثمّ وجدنا له حافزاً دلاليّاً بعد إرجاع الشكل الصوتي إلى معنى اللمّ في العربيّة لأنّ الأمر في مستوى العرفان، متعلّق بضرب من اللمّ لشتات المعنى بواسطة العضو الذهني، وهو ما يتحقّق على ما يبدو، في منطلق المسار الذهنيّ، بتحديد المعنى الأساسيّ وقسم الكلام الذي يناسبه.

٣٠ 220 : Aitchison, 2003.

٣١ من هذه المناويل نذكر: منوال الشلال المائيّ Waterfall Model والمناويل الكهربائيّ المفصّل Elaborate Electricity Model.

٣٢ لم توضّح هذه المناويل طبيعة القرائن المشيرة Pointers وهي في تقديرنا ذات طبيعة دلاليّة تصريفيّة. فالانتقال من طور إلى طور في منوال الأحجار محدّد ويوجّه المحتوى الدلاليّ وما يقتضيه من تركيب صوتيّ صرفيّ إعرابيّ.

٣٣ أتشيسون، ٢٠٠٣: ٢٢١ .

٣٤ 54 : 55-Berman, 2004.

٣٥ نقصد به واضع المعاجم.

٣٦ الملاخ، علوي، ٢٠١٤: ٢٤٩.

٣٧ 2008, 2000, Idrissi, Béland, Prunet.

٣٨ 331 : 1989, Milner.

٣٩ الحيدري، إبراهيم، عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الكتب العلمية لبنان، ١٩٧١، ص ٨١.

٤٠ الكاش، علي، اغتيال العقل الشيعي، إصدارات إي كتب، لندن، ٢٠١٥، ص ٤٠٤.

٤١ المعجم الوسيط، مادة (أ. ت. ي).

٤٢ الحمزاوي، محمد، الفوائد البهية في القواعد الفقهية دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٧١، ص ٢٢٦.

٤٣ الشوكاني، محمد بن علي، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، دار الكتب العلمية، ص ٨٧٠.

٤٤ السندي، أبو الحسن نور الدين، صحيح البخاري بحاشية السندي، دار الكتب العلمية، ج ٣، ١٩٧١، ص ٤١١.

٤٥ نلاحظ في مداخل أتى وجود تناغم دلالي Semantic Prosody سلبى بالنسبة إلى المتوالية «أتى على»، وتناغم دلالي إيجابي بالنسبة إلى «أتى» في عبارات مثل «أتى أكله وأتى ثماره» وكذلك في «أتى ب»: كما في الشاهد: «يبدو أن العمل الشاق قد أتى بنتائج عظيمة»..

٤٦ الشواهد المذكورة من النت (متصفح قوقل).

٤٧ تقدّم الدرس اللساني في مستوى الكليات لا يتنافى مع العناية بالخصوصيات بحكم أهميتها في الوصف اللساني وفي المعالجة الآلية للألسن (انظر المسعودي، عبد العزيز، ٢٠١٦).

المراجع العربيّة:

- الشريف ، محمد صلاح الدين، الشرط والإنشاء النحوي للكون، كلية الآداب منوبة، ٢٠٠٢.
- الشكيلي، بسمة بلحاج رحومة، المنوال البلاغي العربي من البناء القائم إلى البناء الممكن، مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة ، ٢٠١٤.
- علوي، حافظ إسماعيلي، الملاح، محمد، المعجم الذهني والتقييس الحاسوبي، في « المعجميّة العربيّة قضايا وآفاق » ، إعداد وتقديم منتصر أمين عبد الرحيم ، حافظ إسماعيلي علوي، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، دار كنوز المعرفة العلميّة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن، ٢٠١٤.
- غلفان، مصطفى، الملاح محمد، علوي، حافظ اسماعيلي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي ، علم الكتب الحديث، ٢٠١٠.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا، الصاحبّي في فقه اللغة ومساثلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ١٩٧١.
- المجدوب، عز الدين، مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، جامعة القصيم ، ٢٠١٩.
- المجدوب، عز الدين، المنوال النحوي العربي، كلية الآداب سوسة ، دار محمد علي الحامي، ١٩٩٨.
- المسعودي، عبد العزيز، تفضية الزمان بين الكونيّة العرفانيّة والخصوصيّة الثقافية، حوليّات الجامعة التونسية ، ع. ٦١، ٢٠١٦.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤.
- ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداوليّة، جامعة منوبة ، المؤسسة العربية للتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

المراجع الأجنبية

- Aitchison, J. 2003: Words in the Mind: An Introduction to the mental Lexicon, Blackwell Publishing.
- Al-Dala'ien, O. & Mudhsh, B.& AL-Takhayinh, 2015: Mental Lexicon: A Conceptual Framework, International Journal of Scientific and Research Publications, Volume 5, Issue 5, May 2015.
- Berman, R. 2004: Language Development across Childhood and Adolescence, Benjamins Publishing Company.
- Bolshakov, I. & Gelbukh, A. 2004: Computational Linguistics: Models, Resources, Applications, Instituto Politécnico Nacional.
- Bonin, P. 2004: Mental Lexicon "Some Words to Talk about Words", Nova science Publishers, New York.
- Garman, M. 1990 : Psycholinguistics, Cambridge University Press.
- Garrod, Martin J. Pickering, Simon, 1999: Language Processing, Psychology press, UK.
- Glanzer, M., & Ehrenreich, S. L.1979: Structure and Search of the Internal Lexicon. Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior, 18, 381-398.
- Handke, Jurgen. 2012: The Structure of the Lexicon: Human versus Machine, Walter de Gruyter.
- Harley, Trevor, 2004: The Psychology of Language: From Data

to Theory, Psychology Press, New York.

- Lave, A. March, G. 1993: An Introduction to Models in the Social Sciences, University Press of America.
- Milner, J.C. 1989 : Introduction à une Science du Langage, Paris, Seuil.
- Morrone, Concetta & D. C. Burr 1988: Feature Detection in human Vision: a phase-dependent energy model, Proc. R. Soc. Lond.B.235, 221-245.
- Oldfield, R.C. (1966): Things Words and the Brain, Quarterly Journal of Experimental Psychology.
- Prunet, J-F, Béland, R. and Idrissi A. (2008): On The mental Representation of Arabic Roots, Linguistic Inquiry, vol. 39, no 2: 221-259.
- Prunet, J-F, Béland, R. and Idrissi A. (2000): The mental representation of Semitic words, Linguistic Inquiry 31: 609-648.
- Randall, M.2007: Memory, Psychology and Second Language Learning, Benjamins Publishing Company.
- Watkins, Amie: Accessing the Mental Lexicon, SILO. TIPS.
- <https://silo.tips/download/accessing-the-mental-lexicon>
- Yuanwen, L. (2017): A Corpus Study of Collocation in Chinese English Learners, Routledge.

تسكين اللغة: (إشكالات المنطوق والمكتوب في اللسانيات الحديثة)

د. عزمي محمد عيال سلمان^(١)

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تناول نظام الكتابة بوصفه أحد أهم العوامل الثقافية في تثبيت اللغة وتسكينها، وقد تبين للباحث أن العقل يميل لحظة تكوين ثقافة ما إلى أن يبنى أمامه صورته الخاصة، وإنَّ هذا ليظهر بالمعنى الحقيقي في الجهد الذي يبذله كي يُدخل الوحدة في كل ما هو مُختلف ومُتعدد. وهكذا فإن جوهر وجود الكتابة، بوصفها مُنجزاً ثقافياً، هو إدخال الوحدة على كل ما هو مُختلف ومُتعدد في أصوات الكلام المنطوق، وإنَّ التغير الصوتي الذي يخضع له الكلام، بعد ذلك، نادراً ما يُغيّر من هذا المنجز الثقافي، بل إن هذا التغير الصوتي الذي يتعد بالصورة المنطوقة عن الصورة المكتوبة عادة ما يُنظر إليه على أنه خراب نطقي، ولذلك فلا بُدَّ من تسكين اللغة بإخضاعها لسلطان الحرف المكتوب للحد من هذا الخراب اللاحق بها، وهذا مظهر من مظاهر الانتصار للصورة المكتوبة على الصورة المنطوقة قبل أن تظهر اللسانيات الحديثة. وقد كشف سوسير عن هذا الخلل المنهجي الذي وقع فيه النحاة وعلماء اللغة من قبله، وبيّن في تحليلات دقيقة أثر الكتابة في العمليات اللغوية محاولاً بذلك أن يُعيّن فوائدها وعيوبها وخطورتها. وحتى يستقيم المنهج كان على سوسير أن يُحدّد موقع الكتابة الحقيقي من اللسانيات، فهذه المسألة لم تُقَمَّ بجديّة قبل سوسير، وقد تمّ تجاهلها من النحويين وفلاسفة اللغة، أو بالأحرى لم يُنَبِّهوا لآثارها البعيدة في العلم الذي يدرسونه. وقد انتهت الدراسة إلى أن اللسانيات الحديثة، وهي تُفصل بين هيئة الكلام المنطوق وشكل اللغة المكتوب، قد جعلت من الأول وسطها الطبيعي الذي لا يحق لها التحرك إلا في مجاله.

١- أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية. كلية العلوم والآداب. جامعة نجران. المملكة العربية السعودية.

Abstract:

This study aims to address the writing system as one of the most important cultural factors in the stabilization of language. It will be found that the mind, in its attempt to build its own image, tends to form a culture. This is indeed shown in its effort to bring unity into everything that is different or multiple. Thus, the essence of writing, as a cultural achievement, is to bring unity into the different and multiple sounds of spoken speech, and the phonetic change to which speech is subjected rarely affects this cultural achievement. A spoken image of a written image is usually seen as a rhetorical devastation, so it is necessary to soothe language by subjecting it to the authority of the written graph in order to reduce this subsequent devastation. This is a manifestation of the triumph of the written image on the spoken image before the emergence of modern linguistics. Saussure revealed this systematic imbalance in which grammarians and linguists have fallen. He precisely analyzed the impact of writing on linguistic processes in an attempt to identify its benefits, disadvantages and importance. To correct the method, Saussure had to determine the true status of writing. However, this issue was not properly evaluated by him, and was ignored by grammarians and philosophers of language; or rather they did not pay attention to its distant impact on the science they study.

مقدمة

لا يوجد اليوم في اللسانيات الحديثة أي نزاع نظري كبير بين من يُريد أن يُفسّر عملية التغير اللغوي من وجهة نظر واحدة، كأن يرى أن العوامل الداخلية هي السبب في تغير اللغة فقط، أو أن يُفسّر العملية مبرزًا الظروف الخارجية دومًا. فاللسانيات البنيوية تتحدّث بكل تقدير عن المبادئ الذاتية لتغير اللغة: (مبدأ الاعتباطية ومبدأ الاختلاف ومبدأ القيمة)، غير أننا نجد أيضًا أصواتًا أخرى تتحدّث عن حالات تكون فيها المبادئ الذاتية غير كافية، فتذهب إلى أنه مَهْمَا رفعنا من شأن تلك المبادئ فإنها لن تصل إلى أن تكون مجموعة وصفات تسمح بتفسير كل شيء انطلاقًا من أي شيء^(١).

ولهذا فإننا نجد هذه الأصوات قد حصرت عملية التغير اللغوي في الظروف الخارجية، وجعلت منها عوامل تتحدّ لتخلق شدًّا أوتار بين ما يُسميه (باختين) بـ(قوى اللغة الجاذبة) و(قوى اللغة الطاردة). فتشمل القوى الجاذبة العوامل الثقافية والسياسية والمؤسسية التي تسعى إلى فرض نظام شفري واحد أو نوع من السكون على اللغة في الاستعمال، وتُعدُّ هذه العوامل قوى جاذبة؛ لأنها تُجبر المتكلمين على اعتماد هوية لغوية مُوحَّدة. وأما القوى الطاردة فتشمل العوامل الاجتماعية والبيولوجية التي تدفع المتكلمين خارج المركز الواحد ونحو التنوع والاختلاف، ويُمثّل هذه القوى، بشكل اعتيادي، الناس الذين نجدهم جغرافيًا وعدديًا واقتصاديًا في محيط النظام الاجتماعي^(٢).

وقد سعت هذه الدراسة التي نضطلع بإنجازها إلى تناول أهم عامل ثقافي يقف بين تغير اللغة وثباتها، وهو نظام الكتابة، فالكتابة تحاول دائمًا إقناعنا، نحن مستخدميها، بقيمتها عبر إظهار ذاتها كنظام مُحدّد يُسكن الكلام المنطوق في حالة من الكينونة الثابتة؛ نظام يقبض على المنطوق بتحويله إلى شيء مرئي وملمس؛ بتحويله إلى حَجَر أو جلد أو ورق.

وهذا تعين ثقافي لا يتوافق مع طبيعة اللغة الراسخة، فهو يجب ضمن غطاء مُنغلق تطور اللغة وتغيرها، فكل استعمال للكلام يُبرهن على تغير دائم ليس لنظام الكتابة قدرة على مجاراته وتمثيله. فاللغة لها قدرة الانقلاب الذاتي على كل تعيين لأي

هُويّة راسخة أو مفروضة تحاول حجب الواقع، ولا يُستثنى من ذلك الأمر التعيين الذي يفرضه نظام الكتابة على هُويّة اللغة.

فعلى الرغم من التصالح الدائم بين شكل اللغة المنطوق وشكلها المكتوب منذ بضعة آلاف من السنين، إلا أن اللغة اليوم تنقلب على هذا الوضع مع ظهور تقنيات جديدة أكثر أمانة في تعيين هُويّتها. وسند اللغة في ذلك هو اللسانيات الحديثة التي ترى في شكل اللغة المنطوق، ضمن أي غطاء يشف عنه، هو الوسط الوحيد لأي إجراء أو دراسة تتغيّ الووقوف على عمليات اللغة الطبيعية.

وقد استقت هذه الدراسة مُحَدِّداتها، وهي تبني موضوعها، من دروس سوسير في الألسنية العامة، ففي الباب السادس المعنون بـ(تمثيل اللغة بواسطة الكتابة) يُشير الفصل الأول منه إلى ضرورة دراسة هذا الموضوع، فالكتابة وإن كانت في حدّ ذاتها لا تمت إلى نظام اللغة الداخلي بصلة، فإنه يستحيل علينا أن نُسقط من حسابنا هذه الطريقة التي تُصوّر بها اللغة على الدوام، فيُصبح من الضروري إذاً أن نعرف فائدة الكتابة وعيوبها ومخاطرها. ومن الجدير ذكره أن الباحث وهو يتتبع دور دروس سوسير في إثارة هذا الموضوع في الدراسات العربية، فإنه لم يقف، بحسب اطلاعه، على دراسة حديثة تكفّلت ببيان إشكالات الكتابة في الدرس اللساني المعاصر، ومن هنا كان لزاماً على الباحث أن يفرد هذه الصفحات لتتناول جوانب متنوعة من الموضوع.

وبالالتكاء على المنهج الوصفي التحليلي، حاولت الدراسة ضمن أهدافها المتعددة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي يُمكن صياغتها على النحو الآتي: ما هي السائد التي تتحول إليها قناة اللغة (السمعية - الشفهية) لتوسيع شرطها التواصل؟ ولماذا يُعدُّ السند الكتابي أكثرها أهمية؟ وما هو الفرق بين الكلام المنطوق والشكل المكتوب من حيث تمثيل اللغة؟ وما الأثر الذي يتركه استعمال الكتابة على الوسط المنطوق؟ وهل هنالك أسباب علمية لتجديد الكتابة وتفضيلها على هيئة اللغة المنطوقة؟ وكيف للكتابة أن تكون تحليلاً أولاً للغة؟ وكيف قامت الكتابة بإعطاء دُفع حاسم

للبحث النحوي؟ وهل تُشكّل الكتابة خطراً على هيئة اللغة المنطوقة؟ ولماذا لا تُدرج اللسانيات المعاصرة اليوم شكل اللغة المكتوب ضمن مواضيعها الأساسية؟ وغير ذلك من الأسئلة الأخرى التي إن استطاعت الدراسة أن تُجيب عنها جميعها، فإنها ستكون بذلك قد حققت الغاية التي وُضعت من أجلها، والله وليّ التوفيق.

١. سَنَائِدُ اللُّغَةِ الْمُحَوَّلَةِ:

هنالك شيء يُميّز اللغة بحد ذاتها، وهي حقيقة أن اللغة كنظام يمكن أن تتمايز عن أي نظام تواصل آخر بقدرتها على التحوّل، فاللغة البشرية لا تبدو مرتبطة ارتباطاً لا فكاك منه بخصوصيات القناة السمعية الشفهية؛ إذ إن الظاهرة الأشد إثارة للدهشة في اللغة تتمثّل بوجود سَنَائِدٍ مُحَوَّلَةٍ لقناتها الطبيعية، ويُقصد بذلك كل تحول يطرأ على سند سمعي شفهي لصالح سند آخر، وذلك من أجل توسيع الشّرط التواصل، لكن من غير ضمانات تحفظ للغة هويتها وخصائصها الطبيعية.

ومن هذه السَنَائِدُ المُحَوَّلَةُ ما يَسْتَعْمِلُ جسم الإنسان مع الإبقاء على السند السمعي الشفهي، مثل التحويل إلى لغة الصغير، ومنها ما لا يُبقي على هذا السند، مثل التحويل إلى لغة الحركة. وتتمثل النقطة الأساسية بإمكانية التحويلات التي لا تستمر في استعمال جسم الإنسان على غرار لغة الضرب على الطبول أو إشارات الدخان أو أعمدة إشارات المرور. وقد عرف العالم الحديث ازدياداً في السَنَائِدُ المُحَوَّلَةُ بهدف التواصل عن بعد، وتتمثل بسَنَائِدٍ تماثلية، كتغيرات شدة التيار الكهربائي التي استعملت في الهواتف الأولى، وتلك المتعلقة بأموال الراديو أو الأمواج الرقمية، كالمورس الذي يُعدُّ في الواقع ترميزاً للكتابة، وتقنيات ترقيم الصوت التي تتجاوز بصورة كبيرة حدود اللغة، وهي اليوم الأسرع انتشاراً^(٣).

ومن بين هذه السَنَائِدُ المُحَوَّلَةُ هنالك السند الكتابي الذي يُعدُّ بلا جدال الأكثر أهمية، ليس لأنه يستعمل ثنائية الأبعاد للمكان المُسَطَّح فحسب، وإنما كذلك لأنه يُمثّل السند الأول الذي أتاح للكلام البشري أن يبقى ويدوم خارج وجود قائله. وفي الحقيقة إن خبرتنا الأساسية باعتبارنا موجودات خاضعة للزمان هي أن كل

الأشياء تفر منّا، وأن كل أحداث حياتنا تتلاشى شيئاً فشيئاً، حتى إنها في أحسن الأحوال تتوهج بوميض غير حقيقي غالباً في فعل التذكر الذي يكون عن بُعد، وإنه عندما يكون علينا أن نُبقي على شيء ما، فإن هذا يكون راجعاً إلى كونه سريع الزوال، ويُهدد بالفرار من قبضتنا، وليس أدل على ذلك من كلامنا المنطوق، فما نتلفظ به يبقى دائماً خارج النطاق أو يتملّص من المساعي الرامية إلى حيازته.

ولهذا لجأت البشرية قديماً إلى طريقتين للإبقاء على القرب فيما يتعلّق بالمنطوق، الأولى منهما هي ابتكار أساليب شفوية تستند إلى تقاليد تُدير الكلام المنطوق على نحو أدبي. فحقيقة الشعر، على سبيل المثال، تكمن في إبداع إبقاء القرب، والقصيدة الغنائية تتيح لنا أن نعيش القرب على ذلك النحو الذي يتم فيه إبقاؤه في الشكل الموزون لها. ولكن القصيدة لا تتلاشى لأن الكلمة الشعرية تُوقَف تماماً زوال الزمان، بل لأنها أيضاً تبقى مكتوبة. وبذلك تظهر الطريقة الثانية للإبقاء على القرب، والمتمثلة باختراع الكتابة الذي يتيح لنا أن نعيش القرب على نحو يتم فيه إبقاؤه في الشكل المكتوب للأدب ومن خلاله^(٤).

ويجب هنا التمييز بين الأسلوب الشفهي وأسلوب الكلام المحكي؛ لما لهذا التمييز من علاقة بظهور الكتابة؛ إذ يُشير هذا الأخير إلى الاستعمال العادي للكلام، البعيد إلى حدٍّ ما عن اللسان المكتوب في حالة التخاطب. أما الأسلوب الشفهي فهو يستند إلى تقاليد تُدير الكلام المنطوق على نحو شعائري مُهدَّب، فهو نوع أدبي بحق، يحفظ صروح الثقافة لكن دون ترك أثر مكتوب. ويبدو أن ظهور الكتابة مرتبط بهذا الأسلوب وتابع له، وربما كان ذلك في لحظة شَعَر فيها الإنسان بأن هنالك شيئاً مما يقوله يستحق التسجيل ويستحق عناء الاحتفاظ به. ويتعلّق الأمر هنا في الحقيقة بتقليد ثقافي يبدو أنه يُبرّر ابتداء مصطلح (الأسلوب الشفهي) الذي أصبح موازياً لمصطلح (الكتابة الأدبية)^(٥).

فالأسلوب الشفهي - أو (اللغة الأدبية) كما في اصطلاح سوسير - يُكسب الكتابة مزيداً من تلك القيمة التي هي غير جدية بها. فللغة معاجها وكُتُبها النحوية، والتعليم في المدارس إنما يكون بالإحالة إلى الكُتُب وبواسطة الكُتُب. وهكذا يكون للصورة التي تتجلّى عليها اللغة قانون يُنظّمها، وما هذا القانون في حد ذاته سوى

مجموعة من السنن المكتوبة الخاضعة في الاستعمال لقواعد صارمة، هي قواعد الرسم. ولهذا السبب تراهم يُنزلون الكتابة المنزلة الأولى من حيث الأهمية، فيغيب عنهم في نهاية الأمر أن الإنسان يتعلّم الكلام قبل أن يتعلّم الكتابة، فيعكسون الآية عكسًا^(٦).

ومن هنا تطرح اللغة الأدبية مشكلًا كبيرًا؛ مشكل النزاع الذي ينشب بينها وبين لغة التخاطب اليومي، وعلى الألسني أن يفحص العلاقات المتبادلة بينهما؛ إذ ليست كل مستويات استعمال اللغة تتساوى في قَدْر ثباتها وتغيرها، فالتطور غير المنقطع كثيرًا ما يحجبه عنّا ما يوليه الناس من عناية باللغة الأدبية. فاللغة الأدبية - وهي نتاج الثقافة - تترأب على اللغة العادية، وتكون خاضعة من حيث وجودها لظروف خارجية وملابسات مغايرة، تتمكّن من خلالها أن تفصل مجال وجودها عن المجال الطبيعي؛ أي مجال لغة التخاطب اليومي. ثم تظل اللغة الأدبية، بعد أن تتكوّن، على قَدْر كبير من الثبات والاستقرار بوجه عام، ويكون من شأنها أن تنزع إلى أن تبقى هي هي لا تتغيّر، وفضلاً عن ذلك فإن خضوعها للكتابة يوفر لها ضمانات خاصة تضمن بقاءها على حال لا تتغير. وقد زعم بعض العلماء أن غياب (الحرف) و(الأدب) من شأنها أن يترك لغة التخاطب اليومي في حالة تقلّب دائمة، وهي أشبه ما تكون بتلك التي تعاني منها اللهجات عديمة الشكل لشعوب أميركا البدائية، مما يجعل دراستها عديمة الفائدة لعلم الاشتقاق، ولا تترك في الذهن سوى ومضات غامضة، وفي معظم الأحيان خاطئة^(٧).

وفي حقيقة الأمر إن وجود الكتابة لا يمنع من تقلّب اللغة بقدر ما يمنع من أن تمضي اللغة في سيرورتها الطبيعية، فالكتابة تُبطئ من عملية اشتقاق مفردات جديدة تحتاجها الألسن، وهي بذلك تكون قوى مضادة تُعطل من ولادة تركيبات متطورة للمفردات، وفي مثل هذه الولادة - على بعض تعقيداتها - غنى لعلم الاشتقاق. ويقع جانب من اللوم لهذا الاتجاه على عاتق مناهج التعليم التقليدية، فقد أصرّ أصحابها على قولبة اللغة وفقاً لاستعمال مشاهير الكتاب في العالم القديم، وهي الاستعمالات التي تجسّدت في أعمال مكتوبة فحسب. وقد بدأ هذا الاتجاه منذ زمن بعيد يصل إلى القرن الثاني قبل الميلاد، حين اتخذ كُتّاب القرن الخامس من علماء الإسكندرية

اليونانيين ناهج يحتذونها في كتاباتهم، واستمر هذا الاعتقاد في تفوق اللغة المكتوبة لما يزيد على الألفي عام، حتى أصبح عالمنا الذي يُدار بوسائل الكتابة والتدوين عالماً أدبياً إلى درجة كبيرة تقريباً^(٨).

وإذن فليست اللغة الأدبية - وهي شكل اصطناعي من أشكال اللغة - هي التي من شأنها أن تكون مقياساً على مدى قابلية اللغات الطبيعية للتبدل والتغير. فالتمييز بين التغير الطبيعي العضوي في لسان من الألسن من أشكاله الاصطناعية، وهي أشكال راجعة إلى عوامل خارجية ومن ثمَّ غير عضوية، هذا التمييز من الضرورة بمكان لإعطاء صورة أوضح لتغير اللغة^(٩). فالخصائص المميزة للغات الأدبية تعكس تدخلاً ثقافياً ضد التغير الطبيعي للغة، وإخضاع لغة ما للكتابة هو أساساً أداة لتشكيل اللغة، تُظهر وتؤكد معاً دعوى الاعتراف بجدارية تنوع معين في حد ذاته، والتي من دونها لا يمكن تطوير لغة إلى لغة مشتركة^(١٠).

ومهما يكن من أمر فإن لمصطلح الكتابة معاني مختلفة؛ إذ يمكن أن تُدرج فيه النقوش الحَجَرِيَّة التي تُظهر مشاهد الصيد في العصر الحجري القديم الأعلى، ولكن إذا ما تم الاقتصار على المعنى الشائع، والمتعلِّق بتقنية إعادة تمثيل الكلام بواسطة أثر حامل قابل للحفظ، فإنه يمكن هنا الحديث عن (اختراع) لكن بالمعنى العام للكلمة، حَدَثَ مرة واحدة منذ آلاف السنين، وفي مكان واحد بين دجلة والفرات. فقد كانت الكتابة مُغامرة حاسمة لهذا القسم من البشرية الذي استفاد منها، ويمكن مقابلة هذه المغامرة بتلك المغامرة الضاربة في القدم؛ أي باكتشاف النار^(١١).

وإحدى أكثر المراحل إبداعاً في تاريخ البشرية تقع إبان قدوم العصر الحجري الحديث، وهو العصر المسؤول عن الزراعة وتدجين الحيوانات إضافة إلى تقنيات أخرى. وللتوصل إلى هذا المنجز الحضاري كان لا بُدَّ لآلاف من السنين قامت فيها جماعات بشرية من خلال التجربة والملاحظة بنقل ثمرات أفكارها بهمة وعزيمة مستمرتين، وفي وقت لم تكن الكتابة فيه معروفة بعد. وعندما ظهرت الكتابة بين الألفيتين الرابعة والثالثة قبل الميلاد، فإنَّ ظهورها لم يكن شَرْطاً لتحضُّر البشرية، وإنما كان نتيجة من نتائج مَدَنِيَّتِها. وإذا كانت البشرية قد خَطَّت في العصر الحجري الحديث خطوات عملاقة بدون معرفة الكتابة، فإن لظهور الكتابة أثراً في جمود

الحضارة التاريخية زمنًا طويلاً، فعاشت البشرية منذ اختراع الكتابة وحتى بزوغ فجر العلم الحديث خمسة آلاف سنة، تقلّبت فيها المعارف أكثر مما تزايدت.

وقد حتّم ظهور الكتابة تغيرات عميقة في شَرط الوجود الإنساني، وهذه التحولات كانت من طبيعة فكرية؛ فامتلاك الكتابة يُضعف قدرة بني الإنسان على تثبيت معارفهم، وينظر إليها بكونها ذاكرة اصطناعية ينبغي أن تقترن تنميتها بوعي أفضل بالماضي، وبكفاءة أكبر في تنظيم الحاضر والمستقبل. ويرغب اليوم كثير من العلماء بجعل الكتابة عاملاً أساسياً في تقسيم الشعوب إلى فئتين: شعوب تعرف الكتابة وأخرى تجهلها. فالأولى قادرة على مراكمة المكتسبات القديمة، والتقدّم بسرعة أكثر فأكثر إلى الهدف الذي اختطّته لنفسها. بينما الأخرى وهي عاجزة عن حفظ ماضٍ أبعد مما تكفي ذاكرة فردية لتثبيته، ستظل حبيسة تاريخ متغير يعوزه دائماً الأصل والوعي المُستدام بالمشروع^(١٢).

ومع الكتابة بدأ الجنس البشري يتمتّع بوسيلة صارمة طويلة الأمد لتثبيت الكلام، والإبقاء على تاريخ مُهدّد بالنسيان، فقبل الكتابة لم تكن الذاكرة الجمعية عن طريق وسيلة التناقل الشفهي العريقة القدم بمنأى عن الوقوع في أعماق النسيان. وبعد الكتابة - ويا للمُفارقة! - لم تكن الذاكرة الفردية بمنأى عن الضياع، فظهور الكتابة أسهم في ضعف ملكة الذاكرة بشكل كبير، وانتشارها مسؤول عن فقدان الذاكرة الرهيب، حيث جعلت ذاكرتنا بليدة حتى يكاد المرء يعجز عن تذكر أسماء أصدقائه المُقرّين، إننا بكل بساطة نعاني من تردّي ملكة أصبحت مع نُظُم الكتابة وتقنيات التسجيل غير مُجدّية^(١٣).

وعلى عكس الكلام الذي هو جزء من الجهاز الإنساني الأساسي، فإن الكتابة أداة ثقافية يترك استعمالها المعتاد آثاراً في الوسط الذي تُعطي له شكلاً، فمن خلال الكتابة يُزوّد الوسط الطبيعي للغة بعنصر ثقافي، واللغات بوصفها مُنتجاً جمعيّاً وعن طريق توافر معيار مقنن وموضوعي بقدر الإمكان، أصبحت صناعية بإعطائها صورة مكتوبة^(١٤). وهكذا فإنه من الطبيعي أن يتكلّم المرء، وليست كذلك هي الكتابة؛ ذلك أن استعمالها شأن ثقافي، فالوحيدون الذين يُحسنون الكتابة هم أولئك الذين

أخضعوا لتثقيف نُفِّذ بانتباه في المدارس أو ضمن العائلات، وتعلّم الكتابة لا يزال يطرح مشكلات لم يتوقّف التربويون عن السعي في طلب حلول لها. وخلاف ذلك (الكلام المنطوق)، فنحن لم ننظر مطلقاً حتى يومنا هذا في أن نضبط مناهج خاصة كي نكتسب تملُّكاً للسان المنطوق، وتملُّك المرء للكلام المنطوق لا يعني أن يكتسب تملُّكاً للغة، وإنما تملُّكاً للسان مخصوص هو أداة التواصل لمُتَّحد اجتماعي مُعيّن، ونحن على اقتناع بأنه يحصل من تلقاء نفسه، والدليل هو أن كل الناس يتكلمون^(١٥).

فهناك إذن أولية ممنوحة للكلام، فالأطفال يتعلّمون الكلام قبل تعلّمهم الكتابة، وهنالك ملايين الناس يتكلّمون من غير معرفتهم بالكتابة حتى في الثقافات الرفيعة. ولا تُتخذ مثل هذه الوقائع برهاناً على مجرد أسبقية واقعية أو محلية للكلام على الكتابة، وإنما تُتخذ أيضاً برهاناً على أسبقية سائدة وشاملة. فالكلام عملية من التواصل المباشر، تتدفّق فيه الكلمات وكأنها علامات عفوية تشفّ تماماً عن فكره الحاضر الذي يريد مُستمعه الظفر به. أما الكتابة فتتألف من إشارات فيزيقية منفصلة تماماً عن الفكر الذي قد أنتجته، وتؤدّي دورها في غياب المتكلم، فتقرب من فكره بشكل غير أكيد، كما تبدو إشاراتها وكأنها مجهولة المصدر بالكلية؛ أي مبتورة عن أي متكلم أو مؤلف.

ومن ثمّ فليست الكتابة مجرد أداة تقنية لتمثيل الكلام فحسب، وإنما هي أيضاً تشويه للكلام، وهذا الحكم على الكتابة قديم قدم الفلسفة نفسها، ففي محاوره (فيدروس) يشجب أفلاطون الكتابة بعدّها شكلاً لقيطاً من أشكال التواصل؛ أي مفصولة عن الأب أو لحظة الأصل، ولذلك تُثير الكتابة كل أنواع إساءات الفهم بما أن المتكلم غير موجود كي يُوضّح للقارئ ما يدور في ذهنه^(١٦). فالكلام المنطوق وهو يقيم صلة بين إنسان وآخر أو حتى بين الإنسان ونفسه بهذه الطريقة الحية، يمكن له كذلك أن يتخذ الشكل الصارم للعلاقات المكتوبة، ويمكن فك مغاليق هذه العلاقات المكتوبة وقراءتها وتوليدها بحسب قانون جديد للمعنى. فالشكل المكتوب ثابت أما الوعي الذي يملكه المرء حياله فهو الذي يتغير، فالشكل المكتوب لا يفرض عليه معنى واحداً، بل إنه يوحي له بمعان مختلفة عبر أزمنة متعددة^(١٧).

٢. سُلطة الكتابة:

يربط بعض العلماء نشوء اللغة البشرية بهلوسات سمعية، فالكلمات وهي تصدر عن نصف الدماغ الأيمن، كان النصف الأيسر من دماغ الإنسان الأول يحسبها قادمة من مكان ما في العالم الخارجي. وحين اخترعت الكتابة، سُمعت الإشارات المكتوبة كأصوات معزوة إلى آلهة ناطقة، ولم يُدرك الإنسان أن الأصوات تصدر عن دواخله حتى بداية الألفية الأولى قبل الميلاد^(١٨). وهذه نظرة قد يشوبها شيء من الأسطورة إلا أنها تعطي تصوُّراً واضحاً للسلطة العالية التي حظي بها شكل اللغة المكتوب فيما مضى من عمر البشرية، فالكتابة على النقيض من كونها ظل الكلام، تستولي على كُنْه اللغة^(١٩)، فهي أشبه بنظام شمولي لديه ميول دائمة لفرض نوع من الوحدة على كل مظاهر التنوع والاختلاف لكيفيات اللغة المنطوقة. وقد سعى سوسير لأن يضع أسباباً علمية لهذه الهالة من التبجيل التي تُحيط بالكتابة، وأوجزها في ما يأتي:

١. إنَّ تحديد حرف واحد لكل صوت ارتبط لدى الواضع الأوَّل بحاسة السمع التي تميل إلى فرض نوع من الوحدة على النطق المتعدد للصوت الواحد، ورأت في هذا التعدد اختلافاً في درجة النطق لا في طبيعته، وقد ظهر ذلك من خلال تجاوز الاختلافات اللفظية التي تبدو من شخص لآخر ورؤية تلك الوحدة التي تقف خلفها، وهذا ما أدَّى إلى أن تسترعي صورة الكلمات في الخط انتباهنا من حيث هي شيء ثابت متين، فهي أكثر قدرة من الصوت على تشخيص وحدة الكلام عبر الزمان. ومهما يكن هذا الرابط سطحياً ومهما تكن الوحدة التي يُشخصها اصطناعية محضة، فإن إدراكنا له أيسر من إدراكنا لذلك الرابط الطبيعي الحقيقي الوحيد الذي هو رابط الصوت، فقد شقَّ على النحاة أن يُعالجوا بنجاح تلك المنطوقات اللغوية الوقتية قبل اختراع أجهزة تسجيل الصوت^(٢٠).

فهذه الأجهزة تقوم بعكس ما تقوم به الكتابة، فإذا كانت الأخيرة تُشخص وحدة الكلام، فإن أجهزة تسجيل الصوت لا تحفظ سوى الاختلاف، ولا يمكن اللسانيات المعاصرة عدم الاكتراث بمثل هذا التطور الذي تشهده التقنيات اليوم، بل هي وجدت فيه فرصة لتتطور. فدراسة الاختلاف لم تكن غائبة عنها في حقيقة الأمر، وهي سبقت بكثير دخول الأجهزة القادرة على تسجيل واستعادة

ملاحظ الاختلاف بأمانة كبيرة، إلا أن أجهزة تسجيل الصوت سرّعت من إيقاع الحركة التي كانت قد بدأت^(٢١).

وتُعدّ تقنيات التسجيل الحديثة، مع قدرتها العالية على حفظ التنوع والاختلاف في المنطوق، وسيلةً تقف أيضًا في وجه الميل إلى التغير والتعدد، فالتوسّع الجغرافي، الذي هو عامل من عوامل التعدد والازدياد، يزول أثره بعد اليوم بسبب تطور تقنيات الاتصال الحديثة. فالمذياع والتلفاز والفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي... إلخ لا تسمح أبدًا بجعل إنجليزية أمريكا وإنجليزية بريطانيا، على سبيل المثال، لغتين مختلفتين، والحال كذلك بالنسبة إلى فرنسية فرنسا وفرنسية كيبك. ولو كان هذا الوضع قائمًا بشروط الفصل الجغرافي نفسها منذ ستة قرون أو يزيد لجرت الأمور على هذه الشاكلة. فلئن كان مُقدّرًا أن تستمر اللغات في التغير والتعدد وفي أن يحل بعضها محل بعض، فإن هنالك أمورًا كثيرة تدفع إلى الاعتقاد بأن حركة التعدد والازدياد الكبرى التي وسمت التاريخ اللساني العالمي بميسمها منذ عشرات القرون قد أوقفتها ظروف تقنيات التواصل الحديثة^(٢٢).

٢. إنَّ علاقة اللغة بالرسم علاقة متراكبة، فالكلام المنطوق من اللغة هو بحد ذاته رسم لما نراه ونعقله، وهو أداة غير كاملة للقيام بهذه الوظيفة؛ لأنه يقع إزاء المرئي في عجز يجهد عبثًا لتجاوزه، ولأنه أيضًا لا يمكن أن يُحتزل أحدهما الآخر، فعَبَثًا نقول ما نراه؛ لأن ما نراه لا يسكن أبدًا فيما نقول، وعبثًا عملنا على أن نجعل الآخرين يرون بالصور والاستعارات والمقارنات ما نراه بأعيننا، فالمكان الذي تتألأ فيه ليس هو المكان الذي تراه الأعين، وإنما هو المكان الذي يُحدّده تتابع التراكيب اللغوية^(٢٣).

وكذلك شأن الكتابة إزاء الكلام المنطوق، فهي رسم لما نطقه بألسنتنا، وهي كذلك أداة غير كاملة للقيام بإظهار جميع سماته، ومع ذلك فإن ما نطقه يسكن فيما نكتبه ويُحتزل فيه إلى حد كبير؛ لأن التتابع النطقي الذي تظهر فيه الأصوات شبيه بالتتابع الخطي الذي تظهر فيه الحروف، سوى ما يتعلّق بوجود فجوات بيضاء في التتابع الثاني تضع حدًا لنهاية وحدة سابقة وبداية وحدة لاحقة. وهكذا تكون الكتابة في رسمها للمنطوق أكثر دقة وأمانة من الكلام في رسمه للعوالم

المرئية، وما لم يتم اعتبار ذلك نجاحاً مميزاً للكتابة في أداء وظيفتها، فإن عدم اعتباره في الكلام المنطوق أولى.

فالكتابة في إطار العائلة الكبرى للأنساق العلامية تنتمي إلى طبقة التوسيم الخطي، وهي طبقة تجمع أنساق العلامات ذات السمة الدائمة التي لها دعم بصري ومكاني، وتكمن الشارة المميزة للكتابة إزاء التوسيمات الخطية الأخرى في كونها تشير إلى وحدات لسانية، وهي لا تختلف فيما تولّده من انطباعات مرئية عن التوسيمات الخطية الأخرى. فالكتابة الأسطورية، على سبيل المثال، وإن كان التوسيم الخطي فيها لا يُحيل إلى وحدات اللسان إلا أنه يُشير إلى تمثيلات ذهنية معقدة أو إلى أشياء وحوادث واقعية، وفي هذا الجانب لا يوجد ما يُميّز الكتابة الأسطورية من الكتابة العادية، فالتأشير المرئي سمة مشتركة بينهما^(٢٤).

وهكذا فإن تبجيل الكتابة، كما يرى سوسير، عائد إلى كون الانطباعات المرئية أوضح وأبقى لدى معظم الناس من الانطباعات الصوتية؛ لذلك ترى تعلقهم بالانطباعات المرئية أشد وأقوى، وهو ما يفضي بالصورة المكتوبة إلى أن تفرض نفسها على حساب الصوت. فالصورة المكتوبة، بوصفها جانب اللغة الذي يمكن رؤيته ببساطة، تُساعد على المحافظة اللغوية على نحو أسهل، فحالما تُؤسّس نُظُم الكتابة، فإنها تكون شديدة الثبات والمقاومة للتغيير^(٢٥).

٣. إن اللغة تتطور بدون انقطاع، وأما الكتابة فتتزعج إلى الثبات على حالها لا تتغير، فالكتابة المُتَّبعة للقواعد في صورتها الخطية الثابتة بمساعدة الأشكال الورقية أقل خضوعاً للتعديلات الحاصلة في الجانب الزماني والمكاني، ولهذا فإن اللغة المكتوبة تبدو أكثر محافظة من الأخرى المنطوقة، وتُمثّل ثباتاً لا تعرفه هذه الأخيرة، فأى فرد يسمح لنفسه في سهولة تامة بارتكاب خطأ تجاوز القواعد النحوية أو استخدام الألفاظ العامية عند الحديث، بينما لا يسمح بذلك في اللغة المكتوبة^(٢٦).

فالكتابة هي عامل استقرار للغة، وقد يكون الجهل الكبير بها سبباً يزيد من التغيرات الصوتية ويزيد من إيقاعها، فقد عرفت أوروبا أهم التغيرات في العصور الوسطى، قبل ظهور الطباعة، وفي عصر كانت فيه أعداد الأميين

كبيرة^(٢٧). وَيَنْجُرُّ عن ذلك أن الصورة المكتوبة تصبح في النهاية غير مطابقة لما هي عليه، وكلَّمًا عَظُمَ البون بين الخط وما ينبغي أن يُمثَّلَ بالنطق من أصوات قويت نزعة بعضهم إلى اتخاذ الكتابة عمادًا. فعلى الرغم من أنه كلما وُجد بون أو اختلاف بين اللغة وقواعد رسمها فإن حسم الجدل في ذلك قد يكون عسيرًا إلا على الألسنيين، لكن لما لم يكن للألسنيين حق في إبداء الرأي في موضوع الرسم الإملائي تحتمَّ تغلُّب الصورة المكتوبة على الصورة المسموعة^(٢٨).

ولذلك نجد النحاة يُغالون في لفت الأنظار إلى الصيغة المكتوبة، وهذا ما دعاهم إلى أن يقفوا تجاه اللغة وقوفهم أمام شكل قد تَمَّ وضعه بصورة نهائية، ويعرض بدوره بصفة ثابتة ودائمة الشكل نفسه. غير أن في هذه النظرة إغفالاً لطبيعة اللغة التي ما تزال في طور سيورتها، وداخل السيورة لا يمكن للغة أن تعكس نفسها شيئًا ثابتًا ودائمًا، ولذلك لا يحق لنا عدّها شكلًا ثابتًا، ولعادة النحاة هذه ما يُبرِّرها من الوجهة النفسية إلا أن لها عواقب وخيمة جدًّا^(٢٩).

وقد يزداد البون بُعدًا بين الهيئة المسموعة والصورة المكتوبة بحيث تُعدُّ كل واحدة منهما لغة، ويظهر ذلك لدى سوسير في نظام الكتابة الإيديوغرافية، وهو نظام تُمثَّل فيه الكلمة بدليل خطي واحد لا يمت إلى الأصوات التي يتكون منها بأية صلة، ويتصل ذلك الدليل بمجموع الكلمة، ومن ثَمَّ فإنه يتصل - على نحو غير مباشر - بالفكرة التي تعبر عنه. والكتابة الصينية هي المثال الذي يسوقونه عادة لهذا النظام، فالكتابة بالنسبة إلى الصينيين لغة ثانية، ولذلك تراهم إذا ما وردت في كلامهم كلمتان لهما في النطق صورة واحدة، فإنهم أحيانًا يلجؤون إلى الكلمة المكتوبة لتُترجم عن مقصدهم^(٣٠).

ويبدو أن هذه الأسباب التي دعت إلى تبجيل الصورة المكتوبة مُتعلِّقة بذلك الحجاب الذي تُقيمه الكتابة بيننا وبين رؤية اللغة في حيوتها، فذلك الحجاب يمنعنا من رؤية اللغة كما هي في وضعها الطبيعي متغيرةً ومتوتِّبةً باستمرار. ففي هذا الاستسلام لخداع الكتابة إذاً ركون إلى ما هو أيسر السُّبل بدلًا من العناء الذي يجده الباحث في مطاردة شيء لا يثبت، وهو كذلك افتتان بالشوب غير العادي الذي تلبسه اللغة وتتكرَّر فيه، فقد شاءت العادة أن تُموَّه الكتابة على الانتباه بفرض حالة

من الثبات على عناصر اللغة، لا نعود معها قادرين على متابعة حركة التغيّر المستمرة لها^(٣١).

فكثيرة هي اللغات الحديثة، لا سيما الإنجليزية والفرنسية، التي لا تزال تلبس ثوباً قديماً وتتنكر بنظام أبجدي يرتكز على لفظ قديم جداً، فهذا النظام الأبجدي يخفي الكثير من التغيرات الصوتية والفونولوجية التي حدثت. وإن كان المرء على سبيل الفرض مُتصلاًً بالقدر الكافي من الإنجليزية أو الفرنسية، فلن يجد صعوبة في فهم مؤلفات شكسبير أو فولتير عند قراءتها، أما عندما يُتاح له أن يسمعها من الكتّاب الذين ألفوها، فسيجد أن هذه المؤلفات عسيرة على الفهم. فالباحثون والعلماء الثقات لم يتمكنوا من الوصول إلى فهم أفضل للعلاقة بين اللغات المكتوبة والمنطوقة من جهة واللغات المعيارية وغير المعيارية من جهة أخرى إلا بعد أن قاموا ببحوث مستفيضة خلال القرن التاسع عشر؛ أي في تلك الفترة التي تُسمّى الآن بالفترة الكلاسيكية للسانيات التاريخية التي بدأت في سنة ١٨٢٠ واستمرت حتى سنة ١٨٧٠^(٣٢).

وطغيان الحرف المكتوب لا يقف عند حد فرض حالة من الثبات الوهمي على اللغة، بل إن له عملاً آخر معاكساً لما سبق، فهو من شدة ما يفرض نفسه على الجمهور يؤثر في اللغة ويجوّرها تحويراً، وهذا لا يحدث إلا في الألسن الضاربة في الأدبية^(٣٣)، كالعربية الفصيحة، على سبيل المثال، حيث للوثيقة المكتوبة شأن عظيم، ففي هذه الحال قد يصل الأمر بالصورة المكتوبة إلى التسبب في حدوث كيفيات في النطق فاسدة، كما نجده اليوم في نطق كلمتي: (مائة) و(عمرو)، فقد وُجدت (الألف) في الكلمة الأولى و(الواو) في الكلمة الثانية كعلامات خطية ذات قيمة صوتية غير مباشرة، وقد غُفل عن ذلك وأصبح كثير من الناطقين بالعربية يظهر نطق كل حرف من حروفها المكتوبة.

وفي الحقيقة لا تُشكّل مثل هذه الكلمات عائقاً في نطق العربية وفي قراءة نصوصها، فهي كلمات معدودة ليس لها أثر يُذكر. إضافة إلى أنه عندما يتم تخصيص حرف لكل صوت من أصوات الكلام المنطوق لاسم معين، فإننا عندئذ إذا أضفنا أو حذفنا أو وضعنا حرفاً في غير موضعه، فإن الاسم الذي يُكتب، وإن خالف الشكل المنطوق،

فإنه يبقى هو هو، ولن يصبح شيئاً آخر غير هذا الاسم، وهذا ما ينطبق على كل ما هو كفي أو على أي شيء يُقدّم من خلال صورة. وبخلاف ذلك كل ما هو كمّي، فالأعداد ينبغي أن تكون تماماً هي ما هي عليه، أو لا تكون البتة، فالعدد (عشرة)، على سبيل المثال، يصبح في الحال غير العشرة إذا ما زدت عليه وحدة أو طرحتها منه، وهكذا بالنسبة إلى أي عدد آخر^(٣٤).

ومن المحتمل أن هذه التحريفات ستتكاثر عبر الزمن، وأن نطق الناس بالحروف الزائدة في الخط سيتزايد، وهو الاختلاط بعينه، فلهذه التحريفات وجود حقيقي في اللغة إلا أنها ليست تغيرات ناتجة عن عمل اللغة الطبيعي، بل المُتسبّب فيها عامل لا يمت إلى اللغة بصلة، وقد تحدّث بأوهى سبب^(٣٥). ففي القرن الثامن عشر بأسكتلندا كانت كلمة: غضب (wrath) تتردّد بشكل متواصل على منابر الوعظ، حيث إن الشخص المعني بطباعة العِظّات عندما كان يستنفذ خزينته من حرف (w) كان يُجبر على استخدام حرفيّ: (v) بدلاً منه^(٣٦).

ويتعيّن على الألسني، كما يرى سوسير، أن يُفرد لمثل هذه الحالات قسمًا خاصًا يفحصها فيه؛ ذلك أنها تُمثّل حالات مسخ، فوضع علامات تمييزية لبعض الكلمات في مرحلة ما من مراحل عمر كتابة إحدى اللغات وبقاؤها بعد ذلك، من شأنه أن يخلق صورًا مفجعة في التلفّظ، فمن البديهي أن مثل هذا الإجراء، لشدة الحرص فيه على الدقة، سيعمي ما كان يقصد إلى إيضاحه، وسيشوّش على القارئ أمره، وقد لا نجد فيه من الفوائد ما يكفي لتلافي مثل هذه النقائص^(٣٧).

٣. الكتابة بوصفها التحليل الأول للغة:

إن النُظْم التي تدرّس اللغات مع أنها مستقلة إلى حد كبير عن الوسط الذي تنشأ فيه اللغة، إلا أنها يجب أن لا تُبأشّر مادتها اللغوية إلا ضمن وسطها الصوتي، وهو الوسط الرئيس الذي تنمو فيه اللغة، ونتيجة لذلك فإن دراسة الصوت أهم بكثير من دراسة الكتابة أو دراسة الإيحاء أو دراسة أي وسط آخر نتوهمه للغة،

سواء أكان هذا الوسط وسطاً حقيقياً أم محتملاً. فليس الصوت بحد ذاته ولا حتى النطاق الكامل للصوت هو المهم بالنسبة إلى اللغوي، بل إن ما يحظى باهتمام اللغوي هي تلك الأصوات التي تنتجها أعضاء النطق أو تلك التي لها دور رئيس في النظم اللغوية^(٣٨).

فمثل هذه الأصوات يدركها كل المتكلمين الأصليين للغة معينة، من غير استثناء وعلى نحو مضبوط، ويدركون كذلك اختلافاتها الدقيقة جداً في نطاق إنجازها وظيفية تمييزية في تلك اللغة. في حين أن الأجنبي، بما في ذلك الملاحظ المتدرب أو اللغوي المتخصص، غالباً ما يواجه صعوبة بالغة في إدراك تلك الاختلافات، إذا لم تُنجز هذه الوظيفة التمييزية في لغته الأصلية. فالفونيمات المتنوعة التي تُكوّن لغة من اللغات فيها من الاختلافات السمعية الصغيرة والدقيقة جداً إلى حد أنه من الصعوبة في بعض الأحيان ضبطها حتى بالوسائل الحساسة، فالمتخصصون المحدثون في حقل الأكوستيكية يندهشون بحيرة إزاء الإمكانية التي تُدرك بها الأذن البشرية من غير صعوبة ذلك التنوع الضخم في أصوات لغة معينة، بحيث إن هذه الأصوات تكون كثيرة جداً، وتنوعاتها غير مدركة حسيّاً. والفونيمات كذلك ليس لها في ذاتها معان محددة خاصة، فما ندركه في لغة محكية ليس أصواتاً مختلفة في ذاتها، وإنما استعمالات مختلفة عبّرت عنها اللغة؛ أي إنها اختلافات مع أنها في ذاتها من غير معنى، تُستعمل لتمييز كيان من بين كيانات أخرى في مستوى أعلى (المورفيمات، الكلمات)^(٣٩).

ولهذا فاللغة كما يرى سوسير لا تبدو للدارس، وبالذات من غير الناطقين بها، في صورة مجموعة من الدلائل المعينة الحدود سلفاً، إنما هي كتلة صوتية غير واضحة المعالم، تنفلت في أغلب الأحيان عن الملاحظة، ولا يمكن أن نقف فيها على عناصر بأعيانها إلا عن طريق الانتباه والعادة^(٤٠). والذي يضع حداً لسلسلة من الأصوات، ويجعلنا نعرف ونحن نتقل على طول السلسلة أننا انتهينا من كلمة وبدأنا بأخرى هو الانتقال من مفهوم إلى آخر، فالجملة المنطوقة مهما تكن بسيطة كجملة: (the boy kicked the ball) ليس فيها مؤشر عند نهاية كل كلمة وبداية الأخرى، وما يُشير

إلى الفجوة بين الكلمات هو الانتقال من مفهوم إلى آخر، والفونيمات التي تشمل عليها (boy) ترتبط بمفهوم معين، والفونيمات المتتابعة في (kicked) ترتبط بمفهوم آخر، في حين أن مثل: (boyk) أو (icked) لا ترتبطان بأي مفهوم^(٤١).

فالملاحظ قد يستطيع أن يؤكد أن ما قيل في كلام ما يُؤلف سلسلة صوتية ممكنة ومقبولة، ولكنه إذا ما أراد أن يميّز هذا الكلام، فإن العملية ليست مُجرّد تحديد للأصوات واحداً تلو الآخر، وبعد ذلك يكون وضعها مع بعضها بعضاً، فمثل هذا التصوّر البسيط غير واقعي تماماً لعدة أسباب:

١. إن سرعة الكلام تجعل من المستحيل فيزيائياً تحديد كل صوت بمفرده، فالإنسان بمقدوره أن يُحدّد أقل من عشرة أصوات منفصلة في الثانية، في حين أن إصدار الكلام يتضمن ضعف هذا الرقم.

٢. وعلى الرغم من التقدّم الحاصل في الوسائل الإلكترونية، فإنها ما زالت تُقدّم صورة وهمية لشيء (الكلام) هو بطبيعته وهمي، فتحديد الأصوات تحديداً واضحاً ومتناهيًا غير ممكن؛ لأنه ليس لها صفات ثابتة، وذلك لكونها تتداخل بطريقتين: فمن الناحية الأولى لا يوجد فصل واضح بين الأصوات المتجاورة، ومن الناحية الأخرى لا يوجد حدّاً ثابت وصارم بين الأصوات المتشابهة سمعياً. فنحن نسمع الكلام على هيئة سلسلة من الكلمات المعزولة، لكن الحدود بين الكلمات لا يمكن سماعها، وسبب ذلك أن الكلمة في الموجة الصوتية الكلامية تدخل في الكلمة التي تليها من غير إشعار بهذا الدخول؛ إذ لا يوجد وقفات صغيرة بين الكلمات الملفوظة تُشبه تلك الفراغات البيضاء التي نجدها بين الكلمات المكتوبة، فنحن نقوم ببساطة بتخيل حدود الكلمة حين نصل إلى حافة قطعة صوت معينة تتوافق مع مدخل معين في معجمنا العقلي. ويظهر هذا بوضوح حين نستمع إلى كلام بلغة أجنبية؛ إذ لا يمكن أن نعرف في تلك الحال أين تنتهي كلمة ما؟ وأين تبدأ الكلمة التي تليها؟ كما يتّضح عدم وجود الحدود في سلاسل الكلمات التي تستخدم (الجناس)، ويمكن أن يُكوّن منها كلمات بطريقتين مختلفتين^(٤٢).

٣. إن الأصوات لا تتغير من متكلم لآخر فحسب، بل تتغير لدى المتكلم نفسه الذي يُبدّل كلامه بشكل غير واع في أغلب الأحيان، وبما يتناسب وطبيعة المقام، أو الحالة النفسية التي يتكلم بها^(٤٣).

فالاختلافات الهائلة في التنوعات النطقية لم تحل دون تواصل أفراد الجماعة اللسانية الواحدة وتفاهمهم، وما ذلك إلا لوجود ثوابت لا تختلف، ووجود الكتابة في مبدئها كان تحليلاً لسانياً للغة، يتناغم مع نظرة العلم الأولى التي كانت ترى كل شيء مُوحّداً وثابتاً في الكون. واللغة كما يرى (هيراقلطس) هي الشيء الأكثر ثباتاً في عالم دائم التغير، ومن ثمّ فإن هذه النظرة لا تُلقى بالآل لأعراض التعدد والاختلاف. والكتابة هي شكل العثور على الثابت اللامتغير الذي يكمن وراء التدفق والجريان المتغير باستمرار للكلام المنطوق، فلا يوجد شخصان يتكلمان بشكل متماثل تماماً، وقد ينطبق ذلك بالأحرى على عدم تماثل نطق الشخص الواحد في أوقات مختلفة، وكل ما نطق به يمضي ولا شيء يبقى، ولا يمكننا أن نُعيد نطق العبارة نفسها مرتين من غير أن يكون هنالك اختلاف؛ ذلك أن هنالك كيفيات أخرى وأخرى لا تكف عن الظهور والتعدد.

والكتابة بوصفها تحليلاً أولياً للغة ارتبطت بتلك الرؤية التي غضت الطرف عن تعدد المنطوق واختلافه، وسأيرت إغراء التوحّد؛ لاحتوائه أو لإدراجه في شمولية ما، ورأت ما هو ثابت ومُوحّد فيه، فالتعمّن البعيد في اختلاف المنطوق يُطلّعنا على مزيد من الوحدة التي تتراءى خلفه. والكتابة بوصفها تحليلاً لسانياً بدرجات وعي متفاوتة، هي التي أعطت دفْعاً حاسماً للبحث النحوي بكل تأكيد، فاستعمال دليل لغوي واحد لتدوين تلك التنوعات المناطقيّة والفردية التي لا حصر لها لحرف مثل (الجيم) أو (القاف) أو (الكاف) يدفعنا بالضرورة إلى وعي مذهش بوجود ثوابت لا تتغير.

فاللسانيات وُلدت من الوعي بالثوابت، وما هي اللسانيات إذا لم تكن البحث عن الثوابت في مجال الأصوات كما في مجال المعجمية والنحو؟ فاللسانيات هي العلم الوحيد مع الرياضيات التي تمتلك نواة نظرية ثابتة على المدى الطويل، فبالإمكان إرجاع التقابل بين (الاسم) و(الفعل)، على سبيل المثال، إلى أفلاطون وأرسطو،

والواقع أن هذه النواة الثابتة ظهرت على ما يبدو بطريقة مستقلة في تقاليد مختلفة في اليونان والهند ولدى العرب، من غير أن يكون هنالك علاقة تأثر وتأثير^(٤٤).

والعمل المُهم لا يُصبح موضوع دراسة علمية إلا بالقيام بنوع من التشبيء يُشبه ترسيخ الحديث بكتابته، فلدى الغرب وجهة نظر تقول: إن أول خطوة تسمح بمعرفة شيء ما هي معرفة كتابة اسمه^(٤٥)، فالكتابة هي الطريقة الفريدة التي بواسطتها يجعل الإنسان نفسه على ألفة بالكلام المنطوق، فالكتابة تتيح لنا أن نتعرّف إلى كلامنا ونألفه؛ لكونها تُعدّ وسيلة توضيح مُثلّ لوحدات اللغة وعناصرها. وعملية التعرّف هذه تتأسس على أن كل فعل أوّل من أفعال التعرّف إلى شيء ما يكون قد تحرّر بالفعل من إدراكنا العارض لذلك الشيء. ففعل التعرف الذي تُقيمه الكتابة للكلام المنطوق يعني دائماً أننا قد أصبحنا نعرف لغتنا على نحو أوضح مما كان في استطاعتنا لو اقتصرنا على الجانب المنطوق منها، فالمنطوق لا يعطي فرصة لأن يتكرّر للمرة الثانية ليتم التعرّف إليه، وهكذا يقوم الشكل المكتوب باستخلاص الدائم من العابر. والوظيفة الأساسية للكتابة بوجه عام هي أن تُحقّق هذا الشرط الذي جعل منها وضعاً مثاليّاً للسان الذي تُشكّله، وهو شرط لم توافق عليه اللسانيات الحديثة؛ لكون العملية اللغوية لا تقوم إلا على العابر ولا يوجد فيها ما هو دائم، فهي عملية متغيرة باستمرار^(٤٦).

وقد اصطنعت الكتابة رسم حدود ومعالم واضحة بين عناصر اللغة، ولئن كانت الكتابة في حدّ ذاتها لا تمت إلى نظام اللغة الداخلي بصلة، فإنه يستحيل علينا أن نُسقط من حسابنا هذه الطريقة التي نُصوّر بها اللغة على الدوام، وإن نحن تخيلنا انتفاء الكتابة فإن من يُجرّم هكذا من هذه الصورة المحسوسة يوشك أن لا يُدرك من اللغة شيئاً بعدئذ سوى كتلة لا معالم لها، لا يدري ما عسى أن يصنع بها، فيكون، كما يقول سوسير، شأنه شأن متعلّم السباحة يُجرّد من حزام النجاة.

فنحن، كما يذهب سوسير، نلجأ في كل حين وآونة، حتى في لغتنا الأولى، إلى الوثائق المكتوبة، وإذا ما تعلّق الأمر بلسان يتكلّمه الناس في مكان بعيد عنّا بعض البعد، فإن اللجوء إلى الشواهد المكتوبة يصبح أكثر ضرورة وإلحاحاً، ومن باب أولى وأحرى أن يكون ذلك ضرورياً بالنسبة إلى الألسن التي انقرضت. ولو أردنا أن

تتوافر لنا في جميع الحالات وثائق مباشرة لكان ينبغي أن يكون الناس قد قاموا منذ أقدم العصور بما نقوم به اليوم؛ أي بجمع نماذج من التسجيلات الصوتية عن جميع لغات العالم، وحتى في هذه الصورة فإنه يتحتم اللجوء إلى الكتابة كي نُطلع القراء على النصوص المحفوظة المسجلة تسجيلًا صوتيًا. ولهذا ولئن كانت الكتابة في حد ذاتها مُنجزًا ثقافيًا ليس له صلة بالنظام الذاتي للغة، إلا أنه يستحيل علينا أن نتجاوز هذه الطريقة التي تُمثل بها كلامنا المنطوق على الدوام، ومن هنا - كما يؤكد سوسير - تكمن ضرورة معرفة فائدة الكتابة وعيوبها ومخاطرها^(٤٧).

٤. تمايز المنطوق من المكتوب:

يقتضي تحديد اللغة لدى سوسير أن نطرح جانبًا كل ما هو غريب عن جهازها العضوي وعن نظامها، ولتوضيح ذلك عمد سوسير إلى استعمال مصطلح (اللسانيات الخارجية) ليضع تحته كل ما هو بعيد عن نظام اللغة، والأمر يختلف بالنسبة إلى (اللسانيات الداخلية) التي ترى في اللغة نظامًا لا يعرف سوى نسقه الخاص. وسوسير في حديثه عن اللسانيات الخارجية لا ينكر اشتغالها على أشياء ذات أهمية عادة ما تحضر في ذهن عند دراسة الكلام، ومن هذه الأشياء علاقة اللغة بالعلوم الأخرى ومجالات الحياة المختلفة، وكذلك علاقة حاملها بتاريخهم وثقافتهم بما في ذلك الأدب وغيره.

وما يُطلق عليه سوسير عبارة: (اللسانيات الخارجية) له دائمًا صلات بالإنثولوجيا (علم الأجناس البشرية) بدرجة أولى، فجميع النقاط التي بواسطتها تتصل اللسانيات بهذا العلم، وهي جميع العلاقات التي يمكن أن توجد بين تاريخ لغة من اللغات وجنس من الأجناس البشرية أو حضارة من الحضارات. وهذان التاريخان يتداخلان ويقيمان علاقات متبادلة؛ إذ عادة ما يكون لأخلاق أمة من الأمم انعكاس يرتدُّ على لغتها، ومن جهة أخرى فإن اللغة هي التي تضطلع إلى حد كبير بأن تجعل من الأمة أمة.

وفي مرتبة ثانية يُشير سوسير إلى العلاقات الموجودة بين اللغة والتاريخ السياسي،

فإن لبعض الوقائع التاريخية الكبرى من التأثيرات ما لا حصر له في عديد من الظواهر اللغوية. فالاستعمار، على سبيل المثال، ينقل لساناً من الألسن إلى أوساط مختلفة، وهو ما يؤدي إلى تغيرات في صلب ذلك اللسان. وليست السياسة الداخلية للدول دون ذلك أهمية بالنسبة إلى حياة اللغات، فإن بعض الحكومات مثل (سويسرا) تترضي وجود عدة ألسن في ترابها، بينما نجد بلداناً أخرى مثل (فرنسا) تسعى إلى توحيد لغتها. ويفضي كل هذا إلى نقطة ثالثة، وهي علاقات اللغة بمؤسسات شتى كالصالونات والبلانات والمجامع اللغوية والمدارس، فهذه المؤسسات بدورها مرتبطة بالتطور الأدبي في لغة من اللغات ارتباطاً وثيقاً. وأخيراً فإن كل ما يتصل بانتشار اللغات جغرافياً أو بتعدد اللهجات يدخل في اللسانيات الخارجية، ولا شك أن التمييز بين اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية في هذه النقطة بالذات يبدو أكثر مدعاة للاستغراب، وذلك لشدة ارتباط الظاهرة الجغرافية بوجود كل لغة، ولكنها في الواقع لا تمس الجهاز الداخلي من اللسان^(٤٨).

فالسانيات الخارجية إذن تصف الروابط التي يمكن اللغة أن تُقيمها مع ما هو خارجي عنها من خلال مراكمة معلومات عديدة ومتنوعة، فهي تستطيع أن تراكم جزئيات كثيرة من غير أن تكون مُقيّدة بنسق، ومن غير أن يكون لها صلة بنواة اللغة الداخلية. وهكذا فإن كلا نطاقي اللسانيات الداخلية والخارجية يتجاوران دون واسطة، فكل واحد منهما يجلب معه منهجاً غير الآخر، فاللسانيات الخارجية تنطلق من نظرة شاملة يمكنها أن تحشد كميات ضخمة من التفصيلات من غير أن تهدف إلى وضعها في شبكة نظام ما. وعلى عكس ذلك اللسانيات الداخلية، فهي لا تستعمل أية خطة عشوائية، ولا تميز سوى ما يتوافق مع نظام اللغة الخاص^(٤٩).

فبقاء لسان من الألسن ثابتاً ثبوتاً نسبياً يمكن أن يكون ناتجاً عن عوامل خارجية لا تمت إلى اللغة بصلة، مثل تأثير بلاط أو مدرسة أو مجمع لغوي أو نظام كتابة إلخ؛ فنظام الكتابة، وهو موضوع دراستنا، يفرض على اللغة ثباتاً يعود إلى ما يتميز به من طابع رسمي عال، ففي الحضارات كلها، ولأسباب ثقافية وإدارية ودينية... إلخ تتكوّن قاعدة مكتوبة لتكون نموذجاً يسير على نهجه الكتاب، وهؤلاء يلزمون

أنفسهم بما تقدّم ويلغون ما لهم من عادات شخصية أو اختيارات مُفضّلة (إقليمية أو فردية). فتعليم المدارس، على سبيل المثال، قد رسّخ في عدد هائل من الأفراد استخدامًا ثابتًا نسبيًا، يتعارض دومًا وبصورة واضحة مع العادات الشفهية، وقد أمكن لهذا الاستعمال الذي جاء وفقًا للقواعد أن يمارس بدوره تأثيره على لغة الكلام^(٥٠). وهذه العوامل بدورها يساعدها التوازن الاجتماعي والسياسي مساعدة إيجابية^(٥١).

فاستعمال الكتابة يعتمد على جانب كبير من الرسمية حيث يُفترض أن ما يُقال يُشكّل معلومات، ويعني ذلك اعتبار أن اللغة تُستعمل للتعبير عن أفكار، واللغة في حقيقة الأمر قد تتلاعب بأصواتها، وتتيح مجالًا لكي تُستعمل بشكل لعب، مما يؤدي إلى وضع شكل الكلام في الطليعة بدلًا من محتواه، وهكذا لا تكون اللغة فقط لنقل المعلومات. ومن ثمّ تظهر لدينا مشكلة تتعلق بجانب الكتابة الرسمي، وهي أن الكتابة لا تبين بعض الظواهر غير اللغوية كالتلاعب بالأصوات، ولا يمكنها من ثمّ أن تُعمّم أي ملاحظات عنها^(٥٢).

ولهذا فإن اللغة وكتابتها تُشكّلان نظامين متمايزين من أنظمة الدلائل، ولا مُبرّر لوجود الكتابة سوى تمثيل اللغة، وموضوع اللسانيات لا يتحدّد في كونه نتيجة الجمع بين صورة الكلمة مكتوبةً وصورتها منطوقة، بل ينحصر هذا الموضوع في الكلمة المنطوقة فقط، إلا أن امتزاج الكلمة المنطوقة بصورتها المكتوبة امتزاجًا عميقًا انتهى بالصورة المكتوبة إلى اغتصاب الدور الأساس للصورة المنطوقة. حتى إن الأمر قد آل بالناس إلى أن يُعيروا الدليل المكتوب أهمية تفوق أهمية الدليل الصوتي، ومثلهم في ذلك، كما يرى سوسير، كمثال المرء يريد معرفة أحد الأشخاص، فيتصوّر أن أفضل طريقة لذلك هي أن ينظر إلى صورته الفوتوغرافية بدل النظر إلى ملامحه الحية. فللغة إذًا صورة شفهية مستقلة عن الكتابة وأكثر صدقًا منها بكثير، ولكن تعظيم الناس للصورة المكتوبة يمنعهم من تبين ذلك، وقد أخطأ اللسانيون الأوائل في هذا الشأن كما أخطأ قبلهم المختصون في دراسة الآداب واللغات العتيقة^(٥٣).

وقبل هذا أدرك سوسير أن عالم اللغة (بوب) نفسه، على سبيل المثال، لا يُميّز تمييزًا

واضحاً بين الحرف المكتوب والصوت، بل إن من يقرأ ما كتبه يتوهم أن لا سبيل إلى الفصل بين لغة ما وحروف أبجديتها، ثم وقع تابعوه المباشرون في الفخ نفسه. بل إن الأمر وصل، كما يذكر سوسير، بـ(فاسطون دي شان) متحدّثاً عن (برتلو): إنه قد صان اللغة الفرنسية من التلف والاندثار بتصدّيه لتيسير قواعد رسمها^(٥٤).

فاللساني عندما يصل به الأمر إلى مسألة وصف لغات مُعيّنة يجد من الأسباب ما يكفي لاعتبار الصورة المنطوقة والصورة المكتوبة للغة الواحدة متماثلتين بشكل مطلق، وحالة التماثل التامة لا تحدث إلا في النموذج النظري المثالي. وهذه النظرة ما يُبرّرها، فالصوت هو عنصر الإمكانية وقابلية التغير والتشكل اللامحدود، وهو بوصفه المادة الأولى للكلام لا صورة له مطلقاً، فهو مادة لا توجد فعلاً في ذاتها أبداً، فهو محض إمكانية مُجرّدة وغير محددة للسيرورة، فلا يوجد عزل تام للصوت، والصوت المعزول لا وجود له، وحينما نعزل صوتاً ما فإن ذلك يكون بافتراض خلفية معيارية وسياق خيالي مُجرّد، نرى أنه قادر على تجسيد الصوت وتمثيله، وهذه عادة لها من القوة ما يجعل التخلص منها دفعة واحدة وإلى الأبد أمراً مُستعصياً.

ولقد أدرك سوسير ذلك عندما قال: «إن استعمال النحاة للفعل (نطق) وللمصدر منه؛ أي (النُطق) هو تكريس لذلك الشطط وقلب للعلاقة الشرعية الحقيقية التي تجمع بين الكتابة واللغة رأساً على عقب، فقولهم بأن حرف كذا أو كذا يُنطق هكذا أو هكذا دليل على أنهم يجرون صورة الشيء الخارجية مجرى الشيء ذاته»^(٥٥). ولهذا وبشكل مُواز لمصطلح (صوت) يستعمل سوسير مصطلح (هيئة صوتية)، وهو مصطلح مهم جداً؛ ذلك أن سوسير يعتبر أن لا وجود لصوت خام في لسان ما، فكل (صوت) هو في اللسان هيئة صوتية على الأقل، والإشارة التي هي مجرد تتابع موجات صوتية لا تستحق بالنسبة إليه سوى اسم هيئة صوتية، وهكذا يُعرّف المنطوق بأنه هيئة صوتية لها القدرة على الإيجاء^(٥٦). وتجدر الإشارة هنا إلى أن الهيئة الصوتية هي أكثر من مجرد مجموعة أو سلسلة من الأصوات المفردة، إنها أشبه بالإيقاع الذي تُهمَل معه عادة حدة الأصوات بعضها إلى بعض.

ومن ثَمَّ فإن الصوت بلا تشكيل؛ أي ارتباط صوت بأصوات أخرى ضمن

وحدة لغوية ما، لا وجود له، وهكذا يكون في ذاته غير مُحدَّد لكنه قابل للتحديدات المتعاقبة التي تجعل تشكل البنية المنطوقة ممكناً. والمنطوق هو التشكُّل القابل للتغير المحدود وفق ما تمليه قوى التوجيه الذاتي لنظام اللغة، فإمكانيات تغير الصوت المتشكُّل محدودة؛ لأن المادة الصوتية التي تلقت الصورة النهائية التي تجعل من الوحدة اللغوية ما هي عليه هي أيضاً محدودة على نحو ما، وهذا التحديد هو ما أوهم العلماء بوجود شيء من التماثل بين الشكل المنطوق والشكل المكتوب.

فالكتابة لم تبلغ مرتبة الكمال مع كونها اختراعاً حاسماً؛ إذ يلاحظ في الألسنة كافة تعديل تدريجي في النطق تتفاوت سرعته، يُبطل كتابة كانت في البدء أمينة، فالكتابة في مبدأ وضعها عادة ما تكون متناسبة مع الكلام ذائبة فيها، ولكن بعد أن يمضي على اللغة زمن وتأخذ في التغير والابتعاد عن وضعها السابق لا يكون أمام الكتابة سوى الشروع في مقاومة التغير للإبقاء على ملامح الارتباط الأولى. ومن هنا تأتي صعوبة ضبط الإملاء لدى معظم الشعوب؛ مما يُفسّر جزئياً كارثة تعلّمه، فصعوبة التدوين الأبجدي، وهو يحمل آثار نطق قديم يمكن أن تزداد بسبب تغيرات صوتية^(٥٧).

وعندما يوضع نظام كتابي من هذا القبيل، فإنه يعكس في بدايته حالة اللغة عكساً فيه قدر كاف من الخضوع لمقتضيات النطق، اللهم إلا إذا كان ذلك النظام الكتابي قد استعير من لغة أخرى مع ما يحمل في طياته من شائن الاختلالات، فعندما يستعير شعب من الشعوب نظامه الكتابي من شعب آخر ففي كثير من الأحيان لا تلائم إمكانيات ذلك النظام المستعار وظيفته الجديدة ملائمة كافية، فتراهم يلجؤون اضطراراً إلى جملة من الحيل، ومن ذلك استعمالهم حرفين اثنين للدلالة على صوت واحد.

وعلى الرغم من وجود خصائص مميزة جداً للألفبائيات العريقة من حيث مقتضيات النطق، فإن هذا الانسجام بين الخط والنطق لن يُعمّر طويلاً، فقد تكون الصورة المكتوبة منطقية في وقت ما، ولكنها تصبح لا وجه لها بعد أن يمضي عليها قرن من الزمان. ويجب الإشارة هنا إلى أنه في العصور الأولى كان الناس يعتبرون في الكتابة ما يَجِدُّ من تغيرات في طريقة نطقهم، فكان لكل طور من أطوار تاريخ

اللغة طور مناسب في تاريخ الكتابة. ولكن الكتابة بعد ذلك ظلت كما هي ولم تتغير، بينما تواصل تطور اللغة من حيث النطق، ومنذ ذلك الحين نشأ بينها وبين قواعد الرسم اختلاف ما فتى يتضاعف ويستفحل، وفي آخر الأمر لما بقي الناس يصلون بين هذين الضربين من العناصر المتنافرة كان لهذا الأمر انعكاسه المباشر على نظام الكتابة نفسه^(٥٨).

ولا يوجد نظام كتابي حتى الآن يستطيع أن يُقدّم تمثيلاً لجميع المميزات الصوتية المهمة، وعليه فإنه توجد طرائق غير متكافئة عديدة للفظ الجملة المكتوبة نفسها، وتختلف هذه الطرائق بالنبرة والتنغيم وعلامة الإعراب... إلخ، وتُحقّق علامات الترقيم والحروف المائلة والكبيرة في اللغة المكتوبة الهدف نفسه الذي تُحقّقه النبرة والتنغيم في اللغة المنطوقة، إلا أن اللغة المكتوبة لا تستطيع مع ذلك أن تُمثّل اللغة المنطوقة بشكل يفي بالمطلوب^(٥٩).

فالامتياز المُتَعَدّد للكلام يجعل من تمثيل الكتابة له تمثيلاً متطوّلاً وغير تام، حيث يستبعد سمات كثيرة ينطوي عليها الكلام، ويستبعد كذلك وجوهاً من وظيفته، ولذلك فإن نقاش سوسير للكتابة يُشير إلى شيء مُهمّ محل رهان، إنه يتكلّم عن مخاطر الكتابة، مخاطر تنطوي على إخفاء الكلام واغتصاب دوره أحياناً. فاستبداد الكتابة قوي وماكر، ويفضي إلى أخطاء في النطق تُعدّ مَرَضِيَّة؛ أي أخطاء تؤدي إلى إفساد طرائق الأداء السوية، فالكتابة بقدرتها أن تؤثر في الكلام، ولذلك تُصبح العلاقة بينهما أكثر تعقيداً مما بدت عليه للوهلة الأولى^(٦٠).

ومع وجود أنظمة مختلفة للكتابة، فإن اللسانيين يتفقون على أنه لا نظام من أنظمة الكتابة المستعملة عموماً يفي بتدوين كل ما يوجد في اللغة، وكل أنظمة الكتابة لا تسعى من حيث المبدأ إلا إلى تمثيل الألسن، وتعجز عن ذلك بدرجات متفاوتة^(٦١). ولا يمكن لقارئ بواسطة الكتابة وحدها أن يتكلّم بلكنة المتكلّم الأصلي، فالمعلومات التي يمكن وضعها في حروف أبجدية ما زالت محدودة^(٦٢)، «وقد شغل علماء الأصوات أنفسهم حتى وقت قريب بإصلاح الإملاء، بما في ذلك ابتكار رموز أبجدية إضافية وبأنظمة رموز صوتية عامة. وقد أصبح واضحاً في النصف الثاني من

القرن العشرين أنه مع الزيادة في تعقيد البنية الصوتية فإن كل نظام كتابة - مهما تكن درجة إصلاحه - لا بد أن يتجاهل كثيراً من الفروق الصوتية الملحوظة، وإنَّ أي كتابة صوتية ضيقة تكون قريبة من الهدف المتعذر: (رمز واحد للصوت الواحد)، سوف تكون شديدة التعقيد على نحو ميثوس منه فيما يتصل بالاستعمال الفعلي في كتابة لغة معينة»^(٦٣).

ه. تقويض اللسانيات للكتابة:

إذا كان التخلي عن الكتابة في الدرس اللساني الحديث يُعدُّ، من وجهة نظر سوسير، خطوة نخطوها صوب الحقيقة، فإن معناه بالنسبة إلى علماء اللغة الأولين هو أن تَزَلَّ بهم القَدَم، وإنه لوهم شاع بينهم منذ أقدم العصور ولا يزال، فما شاع من اعتقاد بأن اختلال اللسان يكون أسرع إذا انعدمت الكتابة هو الضلال بعينه، كما يرى سوسير. فقد تُخَفَّف الكتابة في بعض الحالات من سرعة التغيرات التي تطرأ على اللغة، لكن وبخلاف ذلك فإن دوام اللغة وبقائها لا يؤثر فيهما انعدام الكتابة بالمرّة، فقد تواصل وجود ظواهر لغوية معينة على جانب كبير من الدقة من غير أي لجوء إلى الكتابة^(٦٤). فالذي يُجَدَّد نطق كلمة من الكلمات ليس صورة رسمها، وإنما هو تاريخها، وأما صورة رسمها في الخط في زمن ما، فتمثِّل مرحلة ما من مراحل تطورها، وهو تطوُّر مفروض على الكلمة اتِّباعه ومضبوط بقوانين دقيقة، وكل مرحلة من المراحل يمكن أن تُضبط بالمرحلة السابقة لها^(٦٥).

فالاعتماد على الشكل المكتوب في دراسة اللغة يقود إلى أخطاء جسيمة، فعلم اللغة المبني على الشكل المكتوب علم مُزَيَّف، ما لم يكن الهدف منه النظرة التاريخية للفترة التي مثل فيها شكل اللغة المكتوب شكلها المنطوق، فالشكل المكتوب يُمكن الاعتماد عليه لصالح مقارنة تاريخية ومعرفية لدراسة تطور اللغات. ولهذا لا يوجد مفهوم للكتابة يسمح بالتفكير بأن جوهر هذه الظاهرة يتماثل مع الكلام المنطوق بشكل قارٍّ، فبروز الكلام لدى البشر متعلِّق بالتغير والتطور، وظهور سند الكتابة مُتعلِّق بحالة ما من حالات الكلام المنطوق، أخذت صفة الديمومة والثبات. فالمنطوق يسبق دائماً المكتوب، والنظام الكتابي للسان ما هو دائماً نسخ مُطوَّر تقريباً لبنية المنطوق، والعلماء يؤرخون للمنطوق بحدود ملايين السنوات، بيد أن البشرية لم تبدأ إلا منذ بضعة

آلاف من السنين في استعمال الأشكال الكتابية، ولم يُعرَف أن ظهور الكتابة المتأخر كان من أجل الإبقاء على الكلام المنطوق وحفظه من الاندثار، ولو صحَّ ذلك لكان عمر الكتابة إذاً من عمر الكلام المنطوق^(٦٦).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تأثير الكتابة في التحليل اللغوي وعلاقتها باللسانيات لم يُقيَّمًا بجديّة قَبْل سوسير، وقد تمَّ تجاهل هذه المسألة من قبل النحويين وفلاسفة اللغة، أو بالأحرى لم يتنبَّهوا لآثارها البعيدة في العلم الذي يدرسونه^(٦٧). ويمكن أن نستثني من هؤلاء (فيلهلم فون همبولت) الذي قدَّم تحذيرات غير مباشرة بهذا الشأن، وذهب إلى أن اللسان ليس عملاً؛ أي نتاجاً متناهياً، ولكنه نشاط؛ أي طاقة، فهو شيء ما، علينا تصوُّره في انتشاره. ومع هذه التحذيرات فقد تصرَّف النحاة كما لو كان اللسان وضعاً مادياً؛ نتاجاً وليس حدثاً، وكأن رسالة (همبولت) لم تُفهم فهمًا كلياً؛ لأنه في الحقيقة لم يكن دائماً واضحاً. فلماذا نمتلك جميعاً انطباعاتاً بأن اللسان نتاج، وليس حدثاً أساسياً؟ لأننا في حقيقة الأمر نُمثِّله بشكل نص مكتوب بصورة عامة، فتأثير صورة الخط تبقى ملحوظة^(٦٨).

وكي تتم دراسة لسان ما، فنحن نُثبِّته ونجمِّده، لا بواسطة صورة الخط المتمثلة بالكتابات التصويرية والتصورية والمقطعية والأبجدية فحسب، ولكن عندما نُوفِّر له كذلك كتابة صوتية، وبذلك لا يكون أمامنا سوى شكل جامد، وهذا ما يُعطي انطباعاتاً بأننا نعمل بواسطة نتاج متناه، فالكتابة بجميع أنواعها أسهمت في حجب الممارسة الحية للكلام، وهي بذلك لا تكون سوى إسقاطات خطية ميتة وغير كافية للأداء النطقي. وفي القرن العشرين، عندما اعتنى العلماء باللغة لذاتها وبذاتها، وفقاً لصيغة دروس سوسير، لم يعد اللسانيون يحتفظون بهذا المظهر على الإطلاق، فقد كشف سوسير عن اشتغالية اللغة الإنسانية وانتشارها، وجميع قُرَّاء دروس سوسير يتذكَّرون، على الأرجح، الرأسين اللذين يتبادلان الرسائل اللغوية^(٦٩).

وقد حذَّر سوسير من أن تكون الكتابة موضوعاً للبحث اللساني، ويبدو ذلك

صراحة في تعامله مع الكتابة؛ إذ يمنحها وضعاً ثانوياً ومُشتقاً، يتعد بها عن أن تُشكّل مع الكلام المنطوق توليفة للتحليل اللغوي. فالشكل المنطوق هو وحده ما يُؤسّس موضوع اللسانيات، وأما الشكل المكتوب فليس سوى وسيلة لتمثيل الكلام، أي هو أداة تقنية أو مُلحقاً برائياً لا ضرورة لوضعه في الاعتبار عند دراسة اللغة^(٧٠).

وإن صحَّ وجود ما يُسمّى بـ (علم الكتابة)، فإن هذا العلم مُزيّف في حال لم تكن هذه الكلمة تعني الرؤية التاريخية لتطور أنظمة الكتابة، وهو علم يجب التخليّ عن مشروعه لصالح مقارنة تاريخية ومعرفية لعلوم اللغة والتقنيات المتعلقة بها، ولا يوجد مفهوم للكتابة مبني على أُسس جيدة ويسمح بالتفكير بأن جوهر هذه الظاهرة يسبق وجود الكلام أو يتساوى معه في القيمة العلمية^(٧١). وتمثل دراسة الكتابة اختصاصاً مغايراً للسانيات، وإن كانت عملياً فرعاً من فروعها، فاللساني لا يأخذ بعين الاعتبار ما يتعلق بالرسم من معطيات إلا إذا أثّرت هذه المعطيات في شكل العلامات الصوتية، وهو تأثير في العموم محدود^(٧٢).

ولقد قدّم سوسير نقداً دقيقاً للسانيات بما هي مقاربات تقنية بحق اللغة، وتمثّل ذلك النقد باختزال دراسة اللغة في شكلها المكتوب، وألحّ سوسير شأنه شأن بعض اللسانيين على أهمية اللغة المنطوقة بوصفها الوسط الطبيعي لرصد وقائعها، وذلك بخلاف الكتابة التي هي مُجرّد مُنجز ثقافي تم اشتقاقه منها. ولا يتعلّق الأمر هنا بكون الكلام سابقاً تاريخياً على الكتابة، أو كون كثير من اللغات ليس لها أنظمة كتابية بعد، وإنما يتعلّق الأمر بالعمليات اللغوية التي لم تكن أبداً سكونية، فالكيفية التي تعمل بها اللغة هي كيفية متحركة باستمرار، وهو ما يُظهره شكل اللغة المنطوق بصورة واضحة، يفتقر إليها شكلها المكتوب.

ومن هذه العمليات اللغوية غير السكونية عملية التغير اللغوي، فقد أثبتت القوانين التاريخية المتعلقة بالتغيرات الصوتية التي يُبرّزها فقهاء اللغة أنها تنطبق بصورة صحيحة على الشكل المنطوق، وليس على الشكل المكتوب، فتغير اللغات

المكتوبة يمكن أن تحكمه طريقة مختلفة تمامًا عن عملية تغير اللغات غير المكتوبة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ذلك لا يعني أن هنالك انقطاعاً تاماً بين شكلي اللغة المنطوق والمكتوب في ما يتعلّق بعملية التغير اللغوي، فخلال القرن التاسع عشر حدث تقدّم كبير في الأبحاث المتعلقة باستقصاء تطور اللغات التاريخي، فبدأ العلماء يدركون بوضوح أكثر من ذي قبل أن التغيرات التي حدثت في اللغة الأدبية المكتوبة في العصور المختلفة يمكن تفسيرها بواسطة التغيرات التي حدثت في اللغة المنطوقة المقابلة لها^(٧٣).

وقد أحدث سوسير وغيره من العلماء انقلاباً في نهج النحاة القديم، فاللسانيات المعاصرة تقوم بعكس ما يقوم به النحو، فهي لا تُعنى سوى بالشكل المنطوق من اللغة؛ أي هي لا تدرس سوى التغير، وقد وجدت في هذا النهج فرصة لتطور. فدراسة عملية التغير اللغوي لم تكن غائبة عن لسانيات القرن التاسع عشر في حقيقة الأمر، إلا أن لسانيات القرن العشرين كانت أقدر على رسم الملامح الحقيقية لعملية التغير اللغوي بدقة أكثر علمية، وهو ما جعلها تصبح علم المتغير؛ علماً لا يدرس العناصر المتغيرة في حالة انعزالها، وإنما ينظر إلى تغيرها في ضوء العلاقات التي تجمعها بغيرها من عناصر النظام الأخرى، وكذلك علماً لا يجعل أسباب التغير منحصرة في الظروف الخارجية الطارئة على نظام اللغة، وإنما يرجعها إلى مبادئ ذاتية تُسهم في تغير النظام الداخلي للغة وحفظ توازنه في آن معاً.

وهذه واقعة كثيراً ما يغفل عنها من ينتمون إلى ثقافات كتابية؛ ذلك أن الشكل المكتوب أسهل منالاً، وهو ما يجعله يبدو واقعياً بصورة لا يختلف فيها عن الشكل المنطوق، وذلك مأزق يسهّل وقوع فقهاء اللغة ودارسي اللغات الميتة فيه، فهم لا يدرسون سوى الوثائق المكتوبة، ولم يسمّعوا أبداً اللغة التي يدرسونها وهي تُنطق. فالكتابة وحدها لا يمكن أن تُقدّم انطباعاً حقيقياً عن المنطوق؛ ذلك أن المعلومات التي يمكن وضعها في حروف أبجدية لا تزال محدودة^(٧٤).

النتائج:

لقد انتهت الدراسة إلى أنه ليس للغة شكل مفضل لتمثيلها، فهي تتيح مجالاً لسناذ كثيرة يُستفاد منها في تمثيلها بدلاً من الاقتصار على سند واحد يكون له طابع الأفضلية. فالكتابة، على سبيل المثال، وإن حصلت قديماً على امتياز خاص ومتفرد بوصفها أفضل صورة لروح اللغة، إلا أنها اليوم لم تعد كذلك؛ إذ لا يمكن الكتابة في نظر اللسانيين أن تنجح بشكل كامل إلا إذا بدأت تتغير بشكل مستمر لتتوافق مع الكلام المنطوق.

ولهذا يجب على ممارسي الكتابة أن يُبدوا استعداداً دائماً لاختبار صلاحيتها وتطويرها على أكمل وجه؛ لتقوم بما نظن أنه دورها الأساس. ولو افترضنا حصول ذلك الأمر، وهو هدف لساني بحث، فإن الكتابة ستفقد كثيراً من وظائفها التي وجدت من أجلها، وخصوصاً أن بداية وضعها لم تكن مرتبطة بصدق ووضوح تمثيل الكلام المنطوق بدرجة أولى، بقدر ما كان مرتبطاً بحفظ تراث مهدد بالنسيان، وحفظ هذا التراث واستحضاره يفي به أدنى نظام مقتصد من الرموز المتعارف عليها. ولهذا فإن إجراءات تعديلات مستمرة على نظام الكتابة ليوافق الكلام المنطوق يتنافى مع الغاية الثقافية من وجوده، ويُسهّم في إبعاده عن أشكاله الأولى التي لا تعود قابلة للقراءة من قبل الأجيال اللاحقة، وهو ما يؤدي إلى إحداث قطيعة مع تراث الأمة القديم.

والكتابة هي أداة ناقصة بالنظر إلى الكيفية التي تُحدّد بها الكلام المنطوق، وإن صح المبدأ الذي يقول: (أن يكون الشيء هو أن يكون قيمة لتغير) فإن نجاح الكتابة، وهي غير قادرة على تحديد قيم المتغيرات التي يحملها الكلام المنطوق، يُعدّ نسبياً بالنظر إلى ما يجب عليها أن تقوم به، فالكتابة لا يمكنها أن تُمثّل الكلام المنطوق بأشكال توافق طبيعته المتغيرة والمتعددة، ومتى تمّ الاحتياج إلى تأويل لبعد الكتابة عن شكلها المنطوق، فإنها بذلك تفقد كثيراً من قيمتها الوظيفية.

ويبدو أن الكتابة قد وُجدت لتكون دائماً بعيدة من شكلها المنطوق، ومحاولة سدّ الفجوة بينهما لا يجعل منها نظاماً، بل مجرد نسخ فردي لحالات غير متناهية من اختلافات النطق. ولهذا فإنه لا يوجد طريقة واحدة تجعل من الكتابة أداة كاملة

لتحديد الكلام المنطوق بدقّة وموضوعية، وبالنسبة إلى أي عدد من حروف لغة ما، يُفترض فيه أن يكون مُثلاً دقيقاً لجميع فروق أصواتها، لا توجد أيضاً كيفية واحدة موضوعية تمثّل اللغة بعدد مُعيّن من الحروف يمكنه أن يُعيدها شكلاً يوافق هيئة شكلها المنطوق.

واللسانيات اليوم تنظر إلى الكلام المنطوق على أنه الشكل الوحيد الذي تنبني عليه دراسات علمية دقيقة؛ لكونه يُظهر التعدد والاختلاف، وترفض هذه اللسانيات أن تُقيم بحثها على السند المكتوب لكونه يُظهر اللغة كما لو كانت تنطوي على ديمومة ووحدة. وفي الحقيقة إن الكتابة لا تُشوّه الكلام على النحو الذي يُعتقد، بل إن ما نفعله بشهادتها هو ما يضع التشويه في داخلها، مثل مقولة الوحدة ومقولة الشيئية ومقولة الديمومة.

فالكتابة هي الشاهد الوحيد على تغير اللغة واختلافها قبل أن تظهر التقنيات الحديثة، والعقل هو السبب في تزيف شهادة الكتابة على الكلام المنطوق، وإن الكتابة ولكونها تحفظ لنا أقدم أشكال اللغة، تُعدُّ أصلاً يُظهر حجم الاختلاف والتعدد الذي يحمله شكل اللغة المنطوق كلما ابتعد عن هذا الأصل. فالبُعد شرط أساسي؛ لأنه يصعب أن نلاحظ اختلافاً في مَنْ كان يسكن قرب الأصل، ومن هذه الناحية يكون الفارق بين شكل اللغة المكتوب وشكلها المنطوق هو المُحدّد لسيرورة اللغة وحجم تغيرها.

وإنَّ علاقة الشكل المكتوب بالشكل المنطوق تُلخّص لنا الكيفية التي ننظر بها إلى مسألة ثبات اللغة وتغيرها، ففي ما مضى كان يُنظر إلى مسائل التعدد والتغير والسيرورة بشكل عام على أنها دليل على ظاهرية الكلام، وعلامة على أنه لا بد أن هنالك شيئاً ما يقودنا إلى الخطأ. واليوم فإننا على العكس من ذلك نرى أبعد ما يمكن إلى الحد الذي نرفض فيه مسائل وحدة اللغة وثباتها، فالخطأ يكمن في هذه النظرات الموزعة بالتحديد، فهناك النظرة الثقافية التي ترى جوهر اللغة في ثباتها المُعلن عنه في شكلها المكتوب، وهنالك طبيعة اللغة التي تتولى مهمة الدفاع عن تغير الكلام وسيروته، وهو ما يُشكّل هويتها الأساسية.

وإنَّ اللسانيات الحديثة اليوم وهي تنقّد الكتابة تعلم أن لا جدوى من محاولة

إصلاحها؛ ذلك أنه من باب المفارقات الكبيرة أن يُطلب من الكتابة تمثيل صور متغيرة وهي بحد ذاتها شكل ثابت قلماً يتغير. فالكتابة، وهي آلة، لا يمكنها أن تكون دائمة الحركة، ولا يمكن لكفايتها أن تكون ١٠٠٪، فشأنها في ذلك شأن أي آلة من صُنع الإنسان.

فمهما يتم من ابتكار رموز مميزة وعلامات فارقة، فإن الكتابة مع ذلك تعدم كل وسيلة من شأنها أن تجعل تدفق سيرورة الكلام يسري فيها، فالتكلسات التي تفرضها على الشكل المنطوق لا يمكن مواجهتها، وكل دعوة لإصلاحها عليها أن لا تُغفل هذا العيب الذي لا يمكن تداركه.

ومع ذلك يستوجب الأمر أن يُصار على أي حال إلى المواظبة على الكتابة دون انقطاع، ومن غير هذا الوعي فما من نظام للكتابة يكون ممكناً، فاستعمال الكتابة قائم على الرغم من نجاحها النسبي في أداء وظيفتها، وإن قُدِّر اليوم للسانيات الحديثة أن تهزم الكتابة إلا أن ذلك لن يدفعها لأن تتخلى عنها تماماً، وكأن شعار اللسانيين هو: ينبغي أن نهزم الكتابة، لكن من دون إلغائها.

هوامش الدراسة:

١. ١. يُنظر: موان، جورج: علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة: نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٢م، ص٢٤٨.
٢. يُنظر: دورانت، ألسندرو: الأنثروبولوجيا الألسنية، ترجمة: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٣م، ص١٣٧.
٣. يُنظر: أورو سيلفان وديشان جاك وكولوغي جمال: فلسفة اللغة، ترجمة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢م، ص٩٧.
٤. يُنظر: جادامر، هانز جيورج: تجلّي الجميل ومقالات أخرى، ترجمة: سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٣٧.
٥. يُنظر: حجاج، كلود: إنسان الكلام (مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية)، ترجمة: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١١٠.
٦. يُنظر: يُنظر: دي سوسير، فردينان: دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرماضي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٥م، ص٥١.
٧. يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص٩١.
٨. يُنظر: إتشسن، جين: اللسانيات (مقدمة إلى المقدمات)، ترجمة: عبد الكريم محمد جبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٣٦. غادامير، هانز جورج: الحقيقة والمنهج (الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية)، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا، طرابلس، ٢٠٠٧م، ص٦٩٨.
٩. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص٤٥، ٢١٣.
١٠. يُنظر: كولماس، فلوريان: اللغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض، الكويت، سلسلة عالم المعرفة (٢٦٣)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠م، ص٢٤٢، ٢٤٣.
١١. يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص٩٥.

١٢. يُنظر: شتراوس، كلود ليفي: مداريات حزينه، ترجمة: محمد صبح، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٣م، ص ٣٨٢، ٣٨٣.
١٣. يُنظر: أورو وديشان وكولوغلي: فلسفة اللغة، ص ٩٧. حجاج: إنسان الكلام، ص ٩٣.
١٤. يُنظر: كولماس: اللغة والاقتصاد، ص ٢٤٢.
١٥. يُنظر: مارتينه، أندريه: وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٧٠.
١٦. يُنظر: كلر، جوناثان: «التفكيك»، ترجمة: حسام نايل، مجلة النقد الأدبي فصول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٦، ٢٠٠٥م، ص ٩٩.
١٧. يُنظر: غادامير: الحقيقة والمنهج، ص ٦٩٨. بارت، رولان: نقد وحقيقة، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٨٣.
١٨. يُنظر: مانغويل، ألبرتو: الفضول، ترجمة: إبراهيم قعدوني، بيروت، دار الساقى، ٢٠١٧م، ص ٩٤.
١٩. يُنظر: إليس، جون: ضد التفكيك، ترجمة: حسام نايل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٣٧.
٢٠. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٠، ٥١.
٢١. يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص ١٢٤.
٢٢. يُنظر: كالفلي، لويس جان: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٥٤.
٢٣. يُنظر: فوكو، ميشيل: الكلمات والأشياء، ترجمة: مطاع صفدي وآخرين، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٤.
٢٤. يُنظر: ديكرو، أوزوالد وسشايفر، جان ماري: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٢٧٢. كولماس: اللغة والاقتصاد، ص ٣٠١.

٢٥. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥١.
٢٦. يُنظر: مالبرج، برتيل: مدخل إلى اللسانيات، ترجمة: السيد عبد الظاهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٩٥.
٢٧. يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص ١٠٢.
٢٨. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥١.
٢٩. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٦، ٥٧.
٣٠. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥١، ٥٢.
٣١. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٦.
٣٢. يُنظر: ليونز، جون: اللغة واللغويات، ترجمة: محمد إسحاق العناني، مؤسسة رلي للنشر، عمان، ١٩٩١م، ص ٢٣٨.
٣٣. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٨.
٣٤. يُنظر: أفلاطون، محاورة كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ترجمة: عزمي طه السيد أحمد، عمان، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٥م، ص ١٩٠.
٣٥. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٩.
٣٦. يُنظر: مانغويل، ألبرتو: يوميات القراءة (تأملات قارئ شغوف في عام من القراءة)، ترجمة: عباس المفرجي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ٧٢.
٣٧. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٨، ٥٩.
٣٨. يُنظر: ليونز: اللغة واللغويات، ص ١١٤.
٣٩. يُنظر: ياكوبسون، رومان: ست محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة: علي حاكم صالح وحسن ناظم، دار الرافدين، بغداد، ٢٠١٨م، ص ١٠٦.
٤٠. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٢٤، ١٦٢.

٤١. يُنظر: جاكسون، ليونارد: بؤس البنيوية (الأدب والنظرية البنيوية)، ترجمة: ثائر ديب، دار الفرقد، دمشق، ط٢، ٢٠٠٨م، ص ٨٧.
٤٢. يُنظر: بنكر، ستيفن: الغريزة اللغوية (كيف يبدع العقل اللغة)، تعريب: حمزة قبلان المزيني، دار المريح للنشر، الرياض، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٣.
٤٣. يُنظر: أتكيسن، جين: اللغة والعقل (اللغويات النفسية)، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، ضمن كتاب: (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثاني (مجال اللغة الأوسع)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ٣٣٦، ٣٥٤.
٤٤. يُنظر: أورو وديشان وكولوغلي: فلسفة اللغة، ص ٤٤٤.
٤٥. يُنظر: دورانتى: الأنثروبولوجيا الألسنية، ص ١٩٤، ٢٢١.
٤٦. يُنظر: جادامر، هانز جيورج: تحليّ الجميل ومقالات أخرى، ص ١٣٧.
٤٧. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٤٨، ٤٩.
٤٨. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٤٤، ٤٥.
٤٩. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٤٥ - ٤٧، ص ٢٢٣ - ٢٢٩. بافو، ماري آن وسرفاتي، جورج إلينا: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢م، ص ١١١. بارتشت، بريجيت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٩٩.
٥٠. يُنظر: مالبرج: مدخل إلى اللسانيات، ص ٩٥.
٥١. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٢٢٧، ٢٢٨.
٥٢. يُنظر: دورانتى: الأنثروبولوجيا الألسنية، ص ٢٣٧.
٥٣. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٤٩.

٥٤. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٠.
٥٥. دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٧.
٥٦. يُنظر: دوبيكير، لويك: فهم فرديناند دو سوسور وفقاً لمخطوطاته (مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات)، ترجمة: ريبا بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٥م، ص ١٣٤.
٥٧. يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص ١٠٢. ريتشاردز، آيفور آرمسترونغ: فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، أفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٧٤.
٥٨. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٢ - ٥٤.
٥٩. يُنظر: ليونز: اللغة واللغويات، ص ٣٩.
٦٠. يُنظر: كلر: «التفكيك»، ص ٩٩.
٦١. يُنظر: إليس: ضد التفكيك، ص ٤٠.
٦٢. يُنظر: دورانت: الأنثروبولوجيا الألسنية، ص ٢٣٨.
٦٣. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة (٢٢٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧م، ص ٢٩١.
٦٤. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٤٩.
٦٥. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٨.
٦٦. يُنظر: مارتينه: وظيفة الألسن وديناميتها، ص ١٧٠.
٦٧. يُنظر: دورانت: الأنثروبولوجيا الألسنية، ص ٢١٦.
٦٨. يُنظر: مارتينه: وظيفة الألسن وديناميتها، ص ٨٩.
٦٩. يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٣١. حجاج: إنسان الكلام، ص ١١٠.

٧٠. يُنظر: كلر: «التفكيك»، ص ٩٩.

٧١. يُنظر: أورو وديشان وكولوغي: فلسفة اللغة، ص ١٣٩.

٧٢. يُنظر: مارتيني، أندري: مبادئ في اللسانيات العامة، ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ترجمة: عز الدين المجدوب، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس، ٢٠١٢م، ص ٣٦، ٣٧.

٧٣. يُنظر: ليونز: اللغة واللغويات، ص ٣٠.

٧٤. يُنظر: جاكسون: بؤس البنيوية، ص ٩٠.

قائمة المصادر والمراجع:

١. إتشسن، جين: اللسانيات (مقدمة إلى المقدمات)، ترجمة: عبد الكريم محمد جبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٢. أتكيسن، جين: اللغة والعقل (اللغويات النفسية)، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، ضمن كتاب: (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثاني (مجال اللغة الأوسع)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ.
٣. أفلاطون، محاوره كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ترجمة: عزمي طه السيد أحمد، عمان، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٥م.
٤. إليس، جون: ضد التفكيك، ترجمة: حسام نايل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م.
٥. أورو سيلفان وديشان جاك وكولوغي جمال: فلسفة اللغة، ترجمة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢م.
٦. بارت، رولان: نقد وحقيقة، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنهاء الحضاري، بيروت، ١٩٩٤م.

٧. بارتشت، بريحيته: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٨. بافو، ماري آن وسرفاتي، جورج إليا: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢م.
٩. بنكر، ستيفن: الغريزة اللغوية (كيف يبدع العقل اللغة؟)، تعريب: حمزة قبلان المزيني، دار المريخ للنشر، الرياض، ٢٠٠٠م.
١٠. جادامر، هانز جيورج: تجلّي الجميل ومقالات أخرى، ترجمة: سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م.
١١. جاكسون، ليونارد: بؤس البنيوية (الأدب والنظرية البنيوية)، ترجمة: ثائر ديب، دار الفرقد، دمشق، ط٢، ٢٠٠٨م.
١٢. حجاج، كلود: إنسان الكلام (مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية)، ترجمة: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٣. دويكير، لويك: فهم فرديناند دو سوسور وفقاً لمخطوطاته (مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات)، ترجمة: ريماء بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٥م.
١٤. دورانت، ألسندرو: الأنثروبولوجيا الألسنية، ترجمة: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٣م.
١٥. دي سوسير، فردينان: دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرماضي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٥م.
١٦. ديكرو، أوزوالد وسشايفر، جان ماري: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٧. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة (٢٢٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧م.
١٨. ريتشاردز، آيفور آرمسترونغ: فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر

- حلاوي، أفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٩. شتراوس، كلود ليفي: مداريات حزينة، ترجمة: محمد صبح، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٣م.
٢٠. غدامير، هانز جورج: الحقيقة والمنهج (الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية)، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا، طرابلس، ٢٠٠٧م.
٢١. فوكو، ميشيل: الكلمات والأشياء، ترجمة: مطاع صفدي وآخرين، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠م.
٢٢. كالفي، لويس جان: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م.
٢٣. كلر، جوناثان: «التفكيك»، ترجمة: حسام نايل، مجلة النقد الأدبي فصول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٦، ٢٠٠٥م.
٢٤. كولماس، فلوريان: اللغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض، الكويت، سلسلة عالم المعرفة (٢٦٣)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠م.
٢٥. ليونز، جون: اللغة واللغويات، ترجمة: محمد إسحاق العناني، مؤسسة رلي للنشر، عمان، ١٩٩١م.
٢٦. مارتيني، أندري: مبادئ في اللسانيات العامة، ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ترجمة: عز الدين المجذوب، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس، ٢٠١٢م.
٢٧. مارتينه، أندريه: وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٨. مالبرج، برتيل: مدخل إلى اللسانيات، ترجمة: السيد عبد الظاهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢٩. مانغويل، ألبرتو: الفضول، ترجمة: إبراهيم قعدوني، بيروت، دار الساقى،

٢٠١٧م.

٣٠. مانغويل، ألبرتو: يوميات القراءة (تأملات قارئ شغوف في عام من القراءة)، ترجمة: عباس المفرجي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م.

٣١. موان، جورج: علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة: نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٢م.

٣٢. ياكوبسون، رومان: ست محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة: علي حاكم صالح وحسن ناظم، دار الرافدين، بغداد، ٢٠١٨م.

مشكلات المصطلح والترجمة في معجم "اللغويات الاجتماعية"

د. منتصر أمين عبد الرحيم^{*}

١ - صدرت عن مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية ترجمة عربية لـ "معجم اللسانيات الاجتماعية A Dictionary of Sociolinguistics" الذي قامت بتحريره كل من Ana Deumert و Joan Swann و Theresa Lillis و Rajend Mesthrie سنة ٢٠٠٤ وصدر ضمن منشورات جامعة Edinburgh في ٣٦٨ صفحة، وقد تكفل بهذه الترجمة الدكتور فواز محمد الراشد العبد الحق أستاذ اللغويات الاجتماعية بجامعة اليرموك، والدكتور عبد الرحمن حسني أحمد أبو ملحم أستاذ اللغويات والأدب الإنجليزي بجامعة البلقاء التطبيقية، وقد نشرت هذه الترجمة بعنوان -معجم اللغويات الاجتماعية- ضمن المجلد الرابع من سلسلة المعاجم التي يصدرها المركز سنة ٢٠١٩ في ٥٨٤ صفحة.

يبدأ المجلد بمقدمة للمترجمين (ص ١١: ١٤)، ثم مقدمة المؤلفين (ص ١٥: ١٦) بعدها ترجمة لمتن المعجم (ص ١٧: ٤١٧)، تلتها قائمة مصادر المعجم (ص ٤١٨: ٤٦٧)، ثم فهرس المصطلحات الواردة في المعجم مرتبة وفق الألفبائية الإنجليزية (ص ٤٦٩: ٥١٤) ففهرس المصطلحات وفق الألفبائية العربية (ص ٥١٥: ٥٨٣)، ثم صفحة أخيرة للتعريف بالأساتذة المترجمين.

بدأت المقدمة بالتأكيد على استشعار المترجمين أهمية هذا العلم "علم اللغة الاجتماعي" نظرا لدراساتها المتعددة في هذا الاختصاص وعلم التخطيط اللغوي وأهمية وجود معجم يخدم القارئ العربي والمختصين بعلم اللغة وعلم اللغة الاجتماعي أو "السوسiolساني"^(١)؛ ومن ثم اختاروا أن يترجما هذا المعجم "معجم

*١ - مدرس اللغة العربية بالتعليم الأساسي (ج. م. ع).

اللغويات الاجتماعية“ لأهميته لعلم اللغة بشكل عام وعلم اللغة الاجتماعي بشكل خاص^(٢) ثم تحدثنا عن المنحى التطبيقي في علم اللغة الاجتماعي وفرعا مجالات هذا العلم وفقا لما أورده Coulmas 1997 “في كتابه (دليل السوسiolسانيات)^(٣) وقد ذكرنا أن علم اللغة الاجتماعي هو “المصطلح الشائع في بلاد المشرق العربي أو علم السوسiolساني الشائع في بلاد المغرب العربي^(٤) ثم بينا “الفرضيات الأربع” التي أشار إليها Wardhaugh 1996 للعلاقة بين اللغة والمجتمع^(٥)، وأهمية ظهور علم التخطيط اللغوي حيث “قدم نماذج في التنقية اللغوية ... والجندرية اللغوية وأبجدة اللغة^(٦)”، ونظرا لأهمية حقل علم اللغة الاجتماعي وتطوير معجم تعريفى بالمصطلحات الخاصة به، قام المترجمان بهذا المشروع “الطموح الذي يهدف إلى تقديم دليل لغوي اجتماعي بمسارد للمصطلحات والمفاهيم التي تعين القارئ العربي والدارسين والباحثين في أقسام اللغات في العالم العربي ومجامع اللغة العربية لندرة توفر مثل هذا المعجم في المكتبات العربية^(٧).”

نحن إذن أمام عدة من ترجمات المصطلح Sociolinguistics وردت في مقدمة هذه الترجمة هي: “علم اللغة الاجتماعي”، و”اللغويات الاجتماعية”، و”السوسiolسانيات”، و”علم السوسiolساني”، ويبدو أن المترجمين يستثنيان “اللسانيات الاجتماعية” من بين الترجمات العربية المقترحة إزاء هذا المصطلح. فإذا أضفنا إلى هذا مجموعة المصطلحات الأخرى التي وردت بالمقدمة ذاتها مثل “التنقية اللغوية” و”الجندرية اللغوية” و”أبجدة اللغة” التي تنتمي بحسب المترجمين إلى علم التخطيط اللغوي بصفته فرعا من علم اللغة الاجتماعي ولا تجد لها أثرا في الوقت نفسه ضمن مداخل المعجم المترجم أو فهرسة مصطلحاته، فالتساؤل الذي يجب طرحه هنا يخص مشروعية وجدوى رؤية المترجمين لـ”تطوير معجم تعريفى” يمكن أن تساهم فيه هذه الترجمة.

انتهت مقدمة المترجمين دون تعريف واف بالعمل موضوع الترجمة يبين أهميته؛

فالأمر لا يتعلق هنا فقط بما ذكر من أهمية الاختصاص ولا حتى بعدم وجود ما يماثله في المكتبة العربية، إنما يتعلق بطبيعة العمل والمصطلحات التي تضمنها وخارطة توزيعها على مباحث وموضوعات الاختصاص والمصطلحات المتصلة به من خارجه وطريقة عرض المداخل بالصورة التي تسمح بفهم هذه المصطلحات وشبكة تداخلاتها.

وحتى تتضح أهمية هذا المعجم في ذهن القارئ أعود إلى وصفه الذي قدمته تارا سانشيز Tara Sanchez من جامعة ولاية "ميتشجن"^(٨) إذ أحصت حوالي ٨٨٥ مدخلا يتضمنها المعجم، في كل مدخل عدة إحالات إلى مصطلحات أخرى يتراوح عددها من ثلاثة إلى أربعة على الأقل، وببليوجرافيا تتضمن حوالي ٥٧٨ مرجعا، و٦ ستة رسوم توضيحية^(٩)، وحوالي ١, ٥٠ ٪ من المداخل الخاصة بمجالات اللسانيات الاجتماعية ونظرياتها، وعددا من المصطلحات اللسانية (الصوتية والفونولوجية وتحليل الخطاب والتداولية) التي يستعملها اللسانيون الاجتماعيون بلغت نسبتها ٣٢ ٪، وحوالي ١١ ٪ من المداخل التي تتعلق بعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا وغيرها، و٣ ٪ من مصطلحات اكتساب اللغة الثانية SLA، و١, ٥ ٪ تتعلق بالإحصاء ومناهجه، وأسماء ٢٢ من أعلام اللسانيات الاجتماعية بنسبة ٢, ٤ ٪ من المداخل (مع ملاحظة أن هذه النسب تقريبية وفق طبيعة المصطلحات التي قد ينتمي بعضها إلى أكثر من مجال متصل). وهذه كما ترى المعلومات التي كان من الأجدى تفصيلها أو حتى التلميح إليها في مقدمة المترجمين. أما عن طريقة عرض المداخل وتعريفاتها وإحالاتها فقد ذكرت "سانشيز" أن طريقة أصحاب المعجم تسمح للقارئ بفهم الروابط بين النظريات والمفاهيم بصورة مثالية دون حاجة إلى الرجوع إلى أدبيات هذا الاختصاص. كذا امتدحت جانيت كوتريل Janet Cotterill من جامعة "كارديف" هذا المعجم قائلة: إن وضع معجم يعالج تلك المنطقة الدقيقة بين الإيجاز وشمولية التغطية، وبين التفصيل والتلخيص يعد

مشروعاً صعباً، ولكنه مشروع نجحت "يان سوان" وأصحابها في إنجازه بصورة لافتة^(١٠).

على أية حال انتقل المترجمان بعد مقدمتهما إلى ترجمة مقدمة المؤلفين أصحاب العمل التي جاءت كما رأينا في الوصف السابق للترجمة في صفتين (١٥ - ١٦). أما المقدمة في نصها الإنجليزي فتقع في أربع صفحات (x: vii)، وهو أمر لافت لأننا نتفق جميعاً على أن الترجمات العربية تكون أطول عادة من نصوصها الأصلية، وحينما تقارن مقدمة مؤلفي المعجم بترجمتها العربية ترى أن هذه الترجمة تصرف في نصها اختزالاً وحذفاً لفقرات ليست بالقليلة.

ولكن قبل الحديث عن هذا دعنا ننظر في بنية المقدمة الأصلية إذ حملت عنوان "تمهيد: ملحوظة للقراء" (p. vii) وشملت قسمين آخرين بعنوان "التغطية الأكاديمية" (p. vii)، و"كيف تم ترتيب المداخل" (p. ix) لحق بالآخر منهما جدول (p. x) يبين كيفية قراءة المعجم والتعرف على المصطلحات التي تشكل مداخله الرئيسة، والمصطلحات المستعملة في التعريف ولها مداخل خاصة بها، والأمثلة الواردة ضمن التعريف، وكيفية تعريف المفاهيم ذات التسميات المختلفة وطريقة ترتيب هذه التعريفات، وكيفية تمثيل الأصوات والرموز الصوتية، ودلالة استعمال العلامة النجمية قبل بعض الجمل والعبارات.

أما صورة هذه المقدمة في الترجمة فقد اشتملت على مقدمة المؤلفين (ص ١٥) والمحتوى الأكاديمي للمعجم (ص ١٥: ١٦)، ثم ختمت بذكر أسماء المؤلفين.

وهذا معناه أن الجزء المتعلق بطريقة ترتيب مداخل العمل، والجدول الخاص بالرموز والإرشادات تم حذفهما بالإضافة إلى حذف بعض فقرات وعبارات من المقدمة الأصلية أضاع وسطها خطأ فيما يلي:

Preliminaries: A Note to Readers

A Dictionary of Sociolinguistics is intended as a useful resource for students, teachers and researchers in sociolinguistics, or any area of language study that takes a socially-oriented approach (e.g. communication studies, language and gender, language and power, critical discourse analysis). The dictionary is also relevant to the study of related areas that sometimes focus on language, texts or discourse, such as anthropology, psychology and sociology. We hope that, in addition, it will interest people with an 'applied' interest in language, such as educationists and policy-makers.

Sociolinguistics is an exciting and academically vibrant area, marked by increasing diversity. A glance through the programme of any contemporary conference in the subject will reveal a wide range of topics and analytical approaches, informed by divergent, and sometimes conflicting, paradigms and perspectives. This is reflected in dictionary entries, where ~~celar rubs shoulders with ventriloquation, post-vocalic (r) with poststructuralism and substrate with subjectivity. This is not just a matter of discrete research traditions: the same researcher may be engaged with technical linguistic description whilst grappling with contemporary theories about the nature of language, personhood and the self. On a practical level, this means that students of sociolinguistics are faced with a proliferation of terms and concepts – sometimes a minefield, with the same term used to different effect or different terms used to characterise broadly similar phenomena within different fields of enquiry. In explaining sociolinguistic terminology, the dictionary will also map out the traditions and approaches that comprise sociolinguistics and thus help to locate and contextualise terms and concepts.~~

Academic Coverage

The dictionary covers contemporary sociolinguistics as this has developed since the 1960s. It also covers some earlier work in areas such as

dialectology and anthropological linguistics/linguistic anthropology that are relevant to contemporary sociolinguistics. In terms of contemporary approaches, the dictionary adopts a broad coverage. It includes various approaches to the study of language variation and change; language contact phenomena, including bilingual language use; language-in-inter-action; the socially oriented analysis of text and discourse; critical language study; specific topics such as language and gender, literacy, intercultural communication and international/global languages; applied areas such as language policy and planning, and language in education.

Where appropriate, entries indicate changes and differences in the use of terms, and locate these within particular traditions of enquiry. Entries try to provide an 'insider' perspective whilst also adopting a broadly critical approach to the discussion of linguistic ideas and concepts – an overall aim of the dictionary is to support critical engagement and dialogue with the discipline.

The dictionary includes technical terms that we think have some currency in sociolinguistics, and that readers are likely to encounter in academic texts. It does not include terms that are highly specific (i.e. that have limited currency) or that seem unlikely to 'bed down' within the discipline. Nor does it include terms that are also found with the same meanings in everyday language use (e.g. *alphabet*). But it does include terms that are given a particular inflection within sociolinguistics, or that are used differently from their more everyday sense (e.g. *accent, dialect, style*). We have paid particular attention to terms that are used differently within different traditions (e.g. *discourse, text, voice*).

We include a small number of names of people who might be regarded as foundational within sociolinguistics (e.g. Labov, Hymes) or whose theories are increasingly being drawn on in sociolinguistic study (e.g. Bakhtin, Foucault). These are restricted to people who have more or less 'adjectival' status within the discipline, and who might be referred to in sociolinguistic texts with limited explanation, on the assumption that their main ideas are known. Because of the way this (and other) academic disciplines have developed, the names include a preponderance of white Anglophone (or European) male academics: a situation likely to change over the next few years. For a fuller list of key sociolinguistic figures, see Rajend Mesthrie's (2001) *Concise Encyclopedia of Sociolinguistics*.

We faced a problem in deciding which terms to include from linguistic description and analysis. Since, in principle, sociolinguists may study any aspect of language, we ran the risk of reproducing other excellent reference works such as David Crystal's (2002) *Dictionary of Linguistics*

PRELIMINARIES: A NOTE TO READERS ix

and Phonetica. We decided eventually not to include terms students of sociolinguistics might be expected to have as part of their general knowledge about language (e.g. *noun*, *verb*, *adjective*); nor have we included more specialist terms unlikely to occur in the sociolinguistics literature (e.g. *adjective*). This gives us a bias towards certain types of language description: e.g. common descriptors for sounds, which frequently occur as variables in sociolinguistic analyses of language variation and change; to a lesser extent, some grammatical terms found in variationist research; descriptive terms likely to occur in sociolinguistic analyses of text, discourse or conversation. Crystal probably remains the most comprehensive and concise source for general linguistic terminology.

How entries are organised

Entries may contain minimal information with a reference to other more relevant entries. However, we have tried to make most entries complete in themselves. This produces occasional overlaps in entries for related terms: we have preferred this to extensive reliance on cross-referencing, which would make individual entries harder to read. Nevertheless, entries do include cross-referencing, which should help readers track related terms and perhaps gain a fuller understanding of a set of concepts. Where relevant, entries include examples; many entries include references to further reading (examples of studies, discussion of a topic etc.) for those who wish to follow up a particular idea. Within entries, we have tried to describe terms in a non-technical way.

On specific conventions adopted in entries, see below.

8 PRELIMINARIES: A NOTE TO READERS

Entries adopt the following conventions:

- **bold type** is used for terms explained in the entry that have no separate entry of their own;
- **SMALL CAPITALS** are used for terms explained in separate entries, but we adopt this convention only where it may be useful to cross-refer to such entries;
- *italics* are used for examples of linguistic items, where these are explained (the gloss may be in quotation marks (e.g. *lune de miel*, meaning 'honeymoon'));
- where a term has quite different uses, or where it is helpful to separate out related uses, each definition is separately numbered; however, where uses are closely related we have sometimes found it easier to deal with these together;
- for the representation of speech sounds, we have sometimes used **INTERNATIONAL PHONETIC ALPHABET** symbols. **PHONETIC** symbols are enclosed within square brackets (e.g. [b]); **PHONEMES** are enclosed within slashes (e.g. /b/); **LINGUISTIC VARIABLES** used in sociolinguistic studies are enclosed within curved brackets (e.g. (ng) for the final sound in *running*). We have given examples of speech sounds, usually from English (RP) as a commonly-used reference point likely to be familiar to many readers. The International Phonetic Association web site includes a full set of phonetic symbols: see <http://www.arts.gla.ac.uk/IPA/ipachart.html> (last accessed October 2003).
- the asterisk * is used as a syntactic convention to mark a sentence or utterance regarded as ungrammatical (i.e. not used in a particular dialect).

ولا شك في أن ما تتضمنه هذه الفقرات المحذوفة من طرق ترتيب المداخل وما يحتويه المعجم من مصطلحات ومجالات هذه المصطلحات واختصاصاتها وطريقة عرضها داخل التعريف وعلاقة المعجم بالمعاجم اللسانية العامة، وكيفية تعامله مع أسماء الأعلام، والمنهج المتبع في تنظيم المداخل، وإرشادات استعماله، كل هذه المعلومات تعد أمراً أساسياً في التعريف بمنهج المعجم ولا يجوز حذفها من الترجمة؛ لأن هذا الحذف يوحى للقارئ بعدم وفاء المترجم للنص ولا أقصد بالوفاء هنا "حرفية الترجمة" بل دقتها وموضوعيتها.

٢- لقد امتد هذا الحذف ليشمل أيضاً بعض أجزاء من تعريفات عدد غير قليل من المصطلحات إذ تمّ الاكتفاء فقط بترجمة بعض فقرات التعريف رغم ما يتضمنه المحذوف من تفاصيل مهمة توضح حدود هذا المصطلح وعلاقاته وفي بعض الأحيان تطوره عبر الزمن والإشارة إلى بعض الدراسات التي قامت على ما يمثله من مفاهيم، وهي أمور كما سنرى في الأمثلة التالية لا يجوز حذفها، والمثال الأول من أمثلة هذا الحذف يخص تعريف المدخل Implicational Scale^(١١) الذي وردت ترجمته على النحو التالي: المقياس التطبيقي (Implicational Scale Scaling)

وهو أسلوب يستخدم لتمثيل البيانات، كما يعرف أيضاً بمقياس Guttman التحليلي Guttman Scalogram Analysis، وقد استخدمه لأول مرة David DeCamp عام (١٩٧١) في تحليله للغة الكريول في جامايكا.

على ضوء هذه الترجمة يمكن لي أن أشير إلى المحذوف من تعريف هذا المصطلح بالصورة التالية:

implicational scale (- scaling) A method for data representation. Also called Guttman scalogram analysis (Guttman, 1944). Implicational scaling was first used in linguistics by David DeCamp (1971) in his analysis of the Jamaican CREOLE CONTINUUM to show the ordered transitions from basilect to acrolect (see BASILECT, MISOLECT, ACRELECT). Among other forms DeCamp looked at lexical co-occurrence rules. In the Jamaican acrolect, for example, speakers use the English words *eat*, *granny*, *child* and the verb form *didn't*; in the basilect these would be *nyam*, *nana*, *pikni* and *na bin*. DeCamp noticed that use of these words by individual speakers was not random but followed a well-structured pattern. Figure 4 represents this pattern as an implicational scale (also termed panlectal grid). It demonstrates that, if a speaker used a basilectal form to the left of the implicational scale, he or she would also use all the basilectal forms to right of that form: use of form B (*nana*) implies use of C and D but not A; use of form C (*na bin*) implies use of D but not A and B, and so on.

	A	B	C	D
speaker 1	cat	granny	didn't	child
speaker 2	eat	granny	didn't	pikni
speaker 3	eat	granny	na bin	pikni
speaker 4	eat	nana	na bin	pikni
speaker 5	nyam	nana	na bin	pikni

Figure 4 Implicational scale showing lexical co-occurrence rules in Jamaican Creole (based on the more complex scale given in DeCamp, 1971: 355)

وبغض النظر عن كم المحذوف فإن من الأشياء التي لم يكن ليتم حذفها إشارة التعريف إلى الترادف الحاصل بين المصطلح ومصطلح Panlectal Grid الذي تمت الإحالة إليه في موضع لاحق ضمن تعريف المدخل Panlectal ولم يتضمنه التعريف السابق بسبب هذا الحذف، وسأعود إلى هذا المصطلح في موضع تال من هذه الورقة. والحقيقة أن حذف أجزاء من التعريفات لم يقتصر على هذه المصطلحات فقط بل امتد إلى تعريفات كثيرة أذكر بعضها في مواضع لاحقة.

٣- نعرف جميعاً أن من الممكن أن ينتقل المصطلح من مجال معرفي إلى مجال آخر عن طريق ما يسمى بالاقتراض عبر التخصصي، والاقتراض هنا يشبه الاستعارة ولا يكون إلا لمناسبة، وفي بعض حالات التقارض يمكن أن يحتفظ المصطلح بصورته اللفظية وأن يسمى في الوقت نفسه مفاهيم مختلفة ينتمي كل منها إلى مجال مختلف، وفي

حال وضع معجم لمثل هذه المصطلحات فالمتبع هو تدوين المصطلح وتعدد تعريفاته (١، ٢، ... أو أ، ب، ...) مصحوبة بذكر مجالاتها بصورة صريحة حتى يتبين تمايزها، وقد يشار إلى هذه المجالات عن طريق التلميح إلى بعض الأعمال أو أسماء الأعلام التي تتطلب من مستعملي المعجم معرفة مسبقة تساعد في تحقيق هذا التمايز. أما في حال الترجمة فقد تكون هناك ضرورة لأن يترجم هذا المصطلح بألفاظ مختلفة تمثل مفاهيم تلك الحقول، وقد يكون من الخطأ مساواة هذه المفاهيم وتسميتها بمصطلح واحد. فعلى سبيل المثال ورد للمصطلح Argument في النسخة الإنجليزية من معجم اللسانيات الاجتماعية (وسأشير إليها بقية هذه الورقة بالاختصار (DS ثلاثة تعريفات؛ أولها تعريف عام، والثاني خاص بالمجالات الأكاديمية، والثالث خاص باللسانيات، والتعريف الأخير كما نعلم مرتبط باللسانيات التوليدية على وجه الخصوص، وإذا نظرنا إلى ترجمة المعجم وجدنا أن ترجمة واحدة لهذا المصطلح وهي "الجدل" تصدرت جميع هذه التعريفات، وفيما يخص اللسانيات ورد تعريفه على النحو التالي: "الجدل" يستخدم أيضاً في علم اللغة بطريقة غير مألوفة كثيراً، حيث يشير إلى عناصر معينة يتطلبها الفعل في الجملة" (١٢). والمعروف أن "الجدل" ليس من المصطلحات اللسانية وأن الترجمة العربية المختارة له هي الـ "موضوع" (١٣)، وكان من الضروري أن يوضع أمام كل تعريف المصطلح الذي يناسبه. وإن كان المعجم DS قد جمعها تحت مصطلح وحيد فقد قام بترقيم كل تعريف للتأكيد على انفصالها وعدم ترادفها (١٤) مع ملاحظة أن أصحاب المعجم أشاروا بداية التعريف إلى ما يدل على أن معنى Argument في اللغة الإنجليزية لا يتناسب مع تعريفه في اللسانيات وهو حدس يدعو إلى انتقاء ترجمة مختلفة إزاء هذا المفهوم ضمن مجال اللسانيات.

المثال الثاني هو المصطلح Assimilation الذي ورد في المعجم DS متبوعاً بتعريفين لكل منهما رقمه الخاص، الأول [١] يتحدث عن علاقته بالأصوات، والثاني [٢] عن علاقته باللغات كونه من المصطلحات المستعملة في مجال احتكاك اللغات، فالأول مصطلح صوتي، والثاني ينتمي إلى اللسانيات الاجتماعية، ورغم هذا الاختلاف اختار المترجم "الإدغام" مقابلاً عربياً يعنون تعريف المصطلح، وقد أورد تعريفه دون ترقيم (أنقل هنا النص كما ورد في الترجمة):

الإدغام Assimilation

فيما يتعلق بالأصوات، هي عملية تتأثر فيها الأصوات المجاورة في الكلام ببعضها البعض، وتصبح أكثر تشابهاً من حيث نطقها، على سبيل المثال: السنخية الأنفية /n/ في (Banbury) يمكن أن تلفظ على أنها ثنائية الشكل [m]، يتأثر الصوت من الشفاه [b].

فيما يتعلق باللغات، يشير مصطلح Language Assimilation إلى الحالات التي يتبنى فيها المتحدثون بلغة من لغات الأقليات لغة الأكثرية. يبحث على الاستيعاب اللغوي في بعض أشكال التخطيط اللغوي Language Planning، انظر تنوع اللغة Language Diversity^(١٥).

وفي غير هذا الموضع استعمل "الإدغام" ترجمة للمصطلح Diphthong الذي ترجم مرة ثانية بـ "حروف العلة المزدوجة"^(١٦)، لذا أرحح أن الترجمة التي تصلح للجمع بين هذين التعريفين هي "المماثلة" التي يمكن تخصيصها فتكون "مماثلة صوتية" فيما يتعلق بالأصوات في التعريف الأول، و"مماثلة لغوية" فيما يتعلق باللغات في التعريف الثاني.

وربما تستوقفنا في التعريف الأول عبارة "تلفظ على أنها ثنائية الشكل [m]، يتأثر الصوت من الشفاه [b]" وهي عبارة غير مفهومة وغير مترابطة إذ كيف يلفظ الصوت بطريقة يكون فيها ثنائي الشكل؟ وما معنى أن يتأثر بذلك الصوت من الشفاه؟ هذه العبارة تجعلك مضطراً إلى الرجوع إلى المعجم الأصلي DS فتجد ما يمكن أن ترجمه بـ "ينطق [يقصد الصوت /n/ على أنه صوت شفهي [m] متأثراً في هذا بالصوت الشفهي اللاحق [b]".

بالطبع هناك إمكانية لأن نستعمل ترجمة واحدة في تسمية مفهومين كما قد نرى في بعض المعاجم، ولكن هذا الاستعمال مشروط بكونهما مترادفين (أولاً) أو ينتميان إلى مجالين مختلفين (ثانياً)، وعلى الرغم من إمكانية استعمال ترجمة واحدة لمصطلحين مختلفين يحفظ تمايزهما النص على اختلاف مجاليهما، فإن (صحة الترجمة ودقتها) هي الأساس الذي تقوم عليه هذه الإمكانية؛ بمعنى أن مصطلح "الإدغام" في المثال

السابق لم يكن دقيقاً في تمثيل المفهوم الصوتي الذي نص عليه التعريف الأول، ولم يكن دقيقاً أيضاً في تمثيل المفهوم الآخر، ومن ناحية أخرى استعمل هذا المصطلح في تسمية مفهوم ثالث، وهذا ما يجعل دقته موضع تساؤل. كذلك المصطلح "لهجة جديدة" الذي تخيره المترجمان لترجمة كل من Interdialect و New Dialect لا يحقق شروط استعمال الترجمة الواحدة مقابل مفاهيم متمايزة، فالمصطلحان غير مترادفين ويتتمان إلى مجال واحد.

٤- إن ترجمة معجم مصطلحات مجال معين مثلها مثل وضع معجم مصطلحي لا بد أن تخضع لما يسمى في علم المصطلح بعمليات الفحص، ومن بين هذه العمليات فحص المداخل المكررة، وهو تدقيق يجريه أصحاب العمل للتأكد من عدم تكرار المداخل، والحاجة إلى مثل هذا الفحص أشد في ترجمة هذه المصطلحات منعاً (ليس كما يتوقع القارئ الكريم لترادف المصطلحات بل) للخلط الذي قد نجده في مثل المصطلحات التالية:

فعل الكلام (الفعل، القوة) Illocutionary (Act, Force)

فعل الكلام (الفعل، القوة) Locutionary (Act, Force)

فعل الكلام (الفعل، القوة) Perlocutionary (Act, Force)

إن أي باحث مختص أو غير مختص لا يحتاج إلى مجهود كبير في ملاحظة الخلط الحاصل في ترجمة هذه المصطلحات، فهي مصطلحات متمايزة مختلفة المفاهيم؛ ومن ثمّ وجب أن يسمى كل منها بالمصطلح الذي يمثله في الموضع الذي تتخذه ضمن النظام المتبع في ترتيبها، وقد وردت هذه المصطلحات في ترتيبها الألفبائي دون تعريف وأحيل القارئ إلى المدخل Speech Act حيث قدم المترجمان لهذه المصطلحات ترجمة مختلفة تماماً عن الترجمات السابقة وذلك على النحو التالي^(١٧): الفعل الدلالي Illocutionary Act، الفعل التعبيري Locutionary Act، الفعل التأثيري Perlocutionary Act. وإذا كان المترجمان قد قدما فيما سبق مصطلح "القوة" ترجمة للمصطلح Force، فقد وردت له هنا ترجمة مختلفة أيضاً هي "الإلزام"^(١٨). وبغض النظر عما إذا كنا نتفق أو نختلف مع هذه الترجمة، فالحاصل أن المترجمين قدما ترجمات مختلفة للمفهوم الواحد وفي الوقت عينه قدما ترجمة واحدة لعدة من المفاهيم المتمايزة.

ومن أمثلة وضع المصطلح الواحد تسمية لأكثر من مفهوم استعمال المصطلح "مراحل اكتساب اللغة" مقابل كل من Basilang, Mesolang, Acrolang رغم أن هذه المصطلحات لا تربطها أي علاقة بمراحل هذا الاكتساب، ومنها أيضاً استعمال مصطلح "اللهجة الرسمية" مقابل ثلاثة مصطلحات هي Basilect, Mesolect, Acrolect، واللافت أن هذه المصطلحات وضعت في مواضعها من المعجم بترجمات أخرى مخالفة لما تقدم:

Acrolang	مراحل اكتساب اللغة	Acrolect	اللهجة الفردية المتقدمة
Basilang	اللهجة المستقرة الأولى	Basilect	اللهجة المستقرة الأولى
Mesolang	اللغة المتوسطة	Mesolect	اللهجة المتوسطة

٥- ومن التداولية واللسانيات الاجتماعية إلى علم الأصوات حيث لم يستقر المترجمان على مصطلح يشير إليه فتارة يترجم بـ "علم الأصوات" (١٩) وتارة أخرى يشار إليه بـ "علم الصوتيات" (٢٠)، والمتأمل في ترجمة المصطلحات الخاصة بهذا المجال يلحظ أن هناك خلطاً بين مفهومي "الصوت" و "الحرف"، وتجاوبه أسئلة كثيرة منها على سبيل المثال:

- ما الفرق بين مصطلح "صوت الحرف الساكن Affricate" و "الصوت الساكن Alveolar"؟
- هل يتحول "الصوت" إلى "مخرج" كما يمكن أن نفهم من المصطلح "الأصوات السادة لتيار الهواء Plosive"؟
- هل يمكن أن يمكن أن تتساوى صفة الصوت بمخرجه كما يمكن أن نفهم من مصطلح "اللهة Uvular" بدلا من "لهوي"؟
- هل يمكن أن يشار إلى "الأصوات الساكنة Consonants" بـ "الثوابت" (٢١) كما في الرياضيات والفيزياء؟ وما علاقة هذه الأصوات بالمصطلح "الصوت الساكن Alveolar"؟
- هل "مكان النطق" (٢٢) هو نفسه "مكان التعبير" (٢٣)؟

- هل يتكوّن المصطلح (Rounding (Rounded من مصطلحين اثنين مترادفين أم أنه مصطلح مركب تجوز ترجمته كما فعل المترجمان بـ "التدوير المستدير"؟ وما معنى "أن (u) كما في كلمة boot هو حرف غير مستدير"؟^(٢٤) وإذا كان (u) هو حرف غير مستدير وليس صوتاً مستديراً؛ فلماذا كتب في المعجم DS على هذه الصورة [u] بين معقوفين؟ وما جرى للصائت غير المستدير [i] في كلمة beat؟

٦- من بين الطرق التي يستعين بها واضع المعجم للإشارة إلى طريقة استعمال المصطلحات تعيين الفئات والوظائف النحوية للصيغ التي ترد عليها هذه المصطلحات، فيشار إلى الاسم بالرمز n. والفعل بالرمز v. والصفة بالرمز Adj. وقد يجمع المصطلح الواحد بين فئتين أو وظيفتين فيكتب إلى جواره مجموع هذه الفئات على الصورة (n./adj). مثلاً. والحقيقة أن معجم DS لا يستعمل هذه الطريقة كثيراً، بل يستعاض عنها في بعض المصطلحات القليلة بطرق أخرى منها ما ورد في المصطلح Areal الذي كتب على الصورة التالية ليقرأ بها اسماً وصفة (Area(l)، ولكن جاءت ترجمته على الصورة التالية^(٢٥):

المنطقة (l) : Area(l)

بالمعنى "الجغرافي"، انظر الجغرافيا اللغوية. وفيما يخص اللغويات الحقيقية، انظر المنطقة اللغوية Linguistic Area، ومنطقة اللغويات الاجتماعية Sociolinguistic Area

والأصل أن الحرف بين القوسين هو (L) وليس (i) إذ يستعمل المصطلح مرادفاً لكلمة جغرافي ومنه اللسانيات الجغرافية، وكنت قد ترجمت سابقاً مصطلح Pseudolinguistics، وهو جزء من عنوان كتاب Rober A. Hall 1987، بـ "اللسانيات المزيفة"، ولكنني لم أستطيع فهم "اللغويات الحقيقية"^(٢٦) الواردة في التعريف السابق حتى رجعت إلى المعجم DS فوجدتها "اللسانيات الجغرافية" أو كما يفضل المترجمان "اللغويات الجغرافية" وليست "الحقيقية".

٧- وهنا أنتقل إلى مصطلح "Realisation" كي أفهم معنى "اللغويات التجريدية"^(٢٧) وكيف تُصنع (بالتاء المضمومة) حيث ترجم المصطلح بـ "الإدراك" وجاء في تعريفه:

"إدراك كيف تُصنع اللغويات التجريدية حقاً. على سبيل المثال، بعض المقاطع الصوتية Phoneme ممكن تخرج (تصنع) مختلفة باختلاف المتحدثين، أو باختلاف السياق ... إلخ. حيث تتضمن المصطلحات الأخرى لهذا المفهوم التفعيل Actualisation" (٢٨).

أرجح أننا نتفق على أن تعريف هذا المصطلح غامض إلى الدرجة التي يفقد بها إلى أبسط وظائف التعريف، وبالتالي ليس أمامي في سبيل الحصول على مزيد من الفهم غير الرجوع إلى مصطلح "Actualisation التفعيل" بداية الترجمة الذي ورد فيها على الصورة التالية:

"التفعيل: Actualisation.

انظر وضعية خاصة Realisation"

نحن إذن أمام ترجمتين لمصطلح Realisation؛ الأولى هي "الإدراك"، والثانية هي "وضعية خاصة"، وكلتاها تخالف الترجمة الشائعة لهما، فالمعروف أن المصطلحين Actualisation و Realisation متفق على ترجمتهما بـ "التحقيق"، وهما من المصطلحات اللسانية المترادفة؛ إذ يشار بهما إلى كيفية إنتاج الوحدات اللغوية المجردة وتحققها الفعلي، فـ "الفونيم" الواحد يمكن أن ينطق بعدة صور لدى متحدثين مختلفين ضمن سياقات متنوعة.

٨- إن وظيفة الإحالة داخل العمل المعجمي ينظر إليها في الدراسات المعنية بمنظور المستعمل على أنها وسيلة من وسائل تيسير البحث عن المصطلحات وبيان العلاقات التي تربطها بغيرها بمعنى أنها أداة بيان وهدى، والحق أن معجم DS اهتم بالإحالة اهتماماً شديداً كما رأينا ذلك في وصف "سانشيز" له، ولكن الإحالة في هذه الترجمة فأقل ما يقال عنها إنها فقدت وظيفتها الأساسية. وعليه كان أساسياً من بين إجراءات فحص أي عمل مصطلحي مراجعة المداخل المترابطة عبر الإحالة، ولعل الجدول التالي يكشف لنا أن الترجمة لم تهتم بفحص المداخل المترابطة وإحالاتها بأي شكل من الأشكال، وسأكتفي في الجدول التالي ببعض الأمثلة (بغض النظر عن دقة الترجمة)

المصطلح	الترجمة	مصطلح الإحالة	ضمن تعريف المصطلح
Lexeme	الكلمة	الوحدات الصرفية	Lexicon
Diffusion	الانتشار	نشر اللغة	Wave Model
Linguistic Ecology	علم اللغة اللغوي	علم البيئة اللغوية	Language Ecology
a priori Language	اللغة الاستدلالية	لغات مسبقة	Artificial Language
a posteriori Language	اللغة المتأخرة	اللغات الخلفية	Artificial Language
Audience Design	تصميم الجمهور	تصميم الحضور	Accommodation
Mixed Code	الرمز المختلط	الشفرة المختلطة	Bilingual Mixed Language

وللأسف اتسع عدم الاهتمام بالإحالة إلى حد تقديم ترجمة للمصطلح المدخل وعرضه بترجمة مختلفة ضمن التعريف الخاص به، ويمثل لهذه الحال مصطلح Saussurean Paradox الذي ترجم بـ"مفارقة دي ساسور" وقدم في تعريفه بـ"مقارنة دي ساسور"، ولا يخفى على أحد أن الترجمة الصحيحة له يمكن أن تكون "المغالطة السويسرية".

٩- إن ضعف الإحالة في أي عمل مصطلحي يأتي من الإفراط في استعمال المترادفات، فإذا نظرنا على سبيل المثال إلى مصطلح Phoneme الذي ورد ضمن تعريف مصطلح Realisation السابق مترجماً بـ"مقاطع صوتية"^(٢٩) تجد أن المترجمين قدما له عدة من الترجمات المختلفة هي: "مقطع صر في يمثل أصغر وحدة لغوية ذات معنى"^(٣٠) و"مورفيم"^(٣١) و"وحدة صوتية صغرى"^(٣٢) و"وحدات صرفية"^(٣٣) و"مقطع"^(٣٤)، وبالتالي ليست للإحالة في الترجمة أي وظيفة يمكن أن يتكئ عليها باحث المعجم في تعرف منظومة العلاقات المفاهيمية التي تربط بين مصطلحات المعجم.

١٠- والحقيقة أن ترجمة مصطلح Morpheme بعبارة شارحة مثل "مقطع

صرفي يمثل أصغر وحدة لغوية ذات معنى " تأخذنا إلى بعض الأمثلة التي توضح اعتماد المترجمين هذه الطريقة في ترجمة بعض المصطلحات التي ربما يكون قد جرى الاتفاق على تسمياتها مثل: "حرف علة واحد يلفظ بدون حركة أعضاء النطق" في ترجمة Monophthong، و"خصائص مشتركة بين مختلف اللهجات لنفس اللغة" ترجمة لـ Pandialectal و"وصف حروف العلة المركزية" إزاء Central(ise(d) و"الوحدة اللغوية الأصغر من الجملة" للمصطلح Clause، و"مرحلة التعبير عن فكرة كاملة من خلال كلمة واحدة" للمصطلح Holophrasis، والملفت أن هذه الطريقة لم تتخلص من الترادف حيث استعمل المصطلح "التناوب اللغوي داخل الجملة" مقابل Intersentential Code-switching والمصطلح "التناوب اللغوي ضمن الجملة" مقابلاً لـ IntraSentential Code-switching.

أعتقد أن الباحث ربما تستوقفه هنا بعض هذه العبارات لا سيما إذا استعملت في تسمية أكثر من مفهوم، فعبارة «خصائص مشتركة بين مختلف اللهجات لنفس اللغة» استعملت ترجمة لمصطلحين مختلفين: Pandialectal و Panlectal، نافية عن صيغتهما دلالة الوصف، وسأقارن هنا بين الترجمة والأصل لنعرف حقيقة هذه المصطلحات، فقد وردت ترجمتهما على النحو التالي^(٣٥):

خصائص مشتركة بين مختلف اللهجات لنفس اللغة Pandialectal

مصطلح يستخدم في علم اللهجات للإشارة إلى ظاهرة لغوية؛ مثل خصائص لغوية معينة، وجانب من جوانب التغير اللغوي والذي يوجد في جميع اللهجات للغة ما^(٣٦).

خصائص مشتركة بين مختلف اللهجات لنفس اللغة Panlectal

تصنف طريقة للقواعد التي ترى اللغة كوحدة من نظام فرعي (اللهجات)، والتي من الممكن أن ترتب ضمناً في شبكة عريضة Panlectal Grid.

وإذا عدنا إلى تعريفها في المعجم DS نجده كالتالي:

Pandialectal sometimes used in DIALECTOLOGY to refer to linguistic phenomena (e.g. particular linguistic features,

an aspect of language change) that are found across all the DIALECTs of a language

لهجائي: يستعمل المصطلح أحيانا في علم اللهجات ليشير إلى ظواهر لغوية (مثل: سمات لغوية معينة، أو مظهر من مظاهر تغير اللغة) توجد في جميع لهجات لغة معينة.

Describes an approach to grammar which Panlectal sees a LANGUAGE as a union of subsystems (varieties or LECTs) which can be ordered implicationally on a panlectal grid^(٣٧).

ضُرُوبِي: يصف المصطلح مقارنة نحوية تنظر إلى اللغة باعتبارها وحدة مكونة من أنظمة فرعية (أبدال أو ضروب) يمكن ترتيبها ضمنيا على شبكة ضروبية.

وإذا حاولنا أن نعطي أمثلة توضح المراد بهذه المصطلحات فيمكنني أن أفترض بالنسبة إلى المصطلح الأول أنه إذا كانت اللهجات الإنجليزية الحالية أو السابقة تتفق على نطق صوت معين بطريقة معينة فإن هذا النطق تنطبق عليه صفة "لهجائي" نسبة إلى مجموع لهجات هذه اللغة ضمن جغرافية معينة. أما بالنسبة إلى المصطلح الثاني فإذا أمكننا القيام ببحث حول طريقة التعبير عن الملكية في لهجات العربية في أثيوبيا أو الصومال أو حتى السودان ومكونات تلك التراكيب التي تتضمن هذا التعبير وخصائصها على الطريقة التي أدارها David DeCamp 1971 بحثه حول التحليل التوليدي للمتصل الكلامي في المجتمعات الجاماكية متعددة اللغات (الذي وردت بعض تفاصيله في المعجم DS ضمن تعريف المدخل جدول استتباعي Implicational Scale^(٣٨) التي قام المترجمان بحذفها) فلربما يمكن أن نطلق على هذه المقاربة مقارنة نحوية ضروبية يشار إليها في بعض أعمال اللسانيات الاجتماعية الأخرى بالمصطلح Panlectal Grammar أو Polylectal Grammar. والحقيقة أن الترجمة المقترحة هنا لهذين المصطلحين (لهجائي وضروبي) مأخوذة عن ترجمة الدكتور بعلبكي في معجمه الصادر سنة ١٩٩٠ (٣٩) وقد كان ضرورياً بالنسبة إلى المترجمين الرجوع إلى جهود سابقة في نقل المصطلحات اللسانية والإفادة منها حتى لا يتم اللجوء إلى مثل هذه العبارات الشارحة الطويلة.

١١- كنت سأخصص هذه الفقرة للحديث عن غموض عدد غير قليل من

التعريفات التي تضمنتها هذه الترجمة، وأحسب أنني أشرت إلى هذا في أمثلة وردت سابقاً؛ لذا سأحدث هنا عن أمر مختلف يتعلق بضرورة التزام ترجمة ثابتة للمصطلح الواحد ومراعاة هذه الترجمة في كل ما يتعلق به؛ بمعنى أنني إذا ترجمت مصطلحاً ما بـ "التأدب السلبي"^(٤٠) فلا ينبغي أن أترجم ضده بـ "التأدية الإيجابية"^(٤١)، وإذا ترجمت Context بـ "السياق"^(٤٢) فلا ينبغي أن أستعمل هذه الترجمة لمصطلح مثل Lexis ولا أن أشتق منها صفة "سياقي" للمصطلح Syntagmatic، وإذا استعملت "سلسلة" إزاء المصطلح Chain فلا أستعمله إزاء Continuum، ولا يخصص "سلسلة لغوية متصلة" للتعبير عن مصطلح مفرد مختلف مثل Cline، وإذا استعمل مصطلح مثل "عملية تبسيط اللغة" Pidginisation فلا يتم تفكيكه بـ (De) مصطلح بديل "تفكيك اللغات الكريولية Depidginisation"، كل هذا وغيره من أجل الحفاظ على الاتساق والإبقاء على تمايز المفاهيم.

وهناك بالإضافة إلى الملاحظات السابقة بعض التفاصيل الدالة على أن هذه الترجمة لم تلتزم خطة ذات معالم واضحة أو ثابتة في التعامل مع المصطلحات أو تعريفاتها كذا توحى الصورة المجملة التي خرجت بها بأن أعمال المراجعة والفحص والتشذيب لم يكن لها أي نصيب من اهتمام المترجمين، وإذا كان لورانس فينوتي Lawrence Venuti قد نقل عن ددلي فيتس قوله: "إن ترجمة القصيدة يجب أن تكون قصيدة، قابلة للتحقق كقصيدة"^(٤٣)، فيمكنني على النسق ذاته أن أختم هذه الورقة قائلاً: إن ترجمة المعجم لا بد أن تكون معجماً، تلتزم صورته، وتؤدي جميع وظائفه.

الهوامش والتعليقات

١. معجم اللغويات الاجتماعية ص ١١.
٢. السابق ص ١١.
٣. السابق ص ١١. ملحوظة: لم يوثق المترجمان البيانات الخاصة بهذا الكتاب وأرجح أنه كتاب The Handbook of Sociolinguistics الذي أعده فلوريان كلوماس Florian Coulmas بمشاركة مجموعة كبيرة من الباحثين (٣١ باحثاً) ونشرته Blackwell، وما قام به المترجمان هنا هو ترجمة عناوين الفصول (٢٧ فصلاً) التي تضمنها هذا الكتاب على أنها مجالات أساسية تقوم عليها اللسانيات الاجتماعية. وعلى كثرة هذه العناوين ترى سوزان رومين Suzanne Romaine من جامعة "ميرتون كولج" أن هناك غياباً ملحوظاً لدراسات مهمة في اللسانيات الاجتماعية لم يتضمنها هذا الكتاب منها على سبيل المثال الدراسات المتعلقة بعلم النفس الاجتماعي والتداولية وتحليل الخطاب، كذا لم يتضمن الكتاب دراسات حول منهجية اللسانيات الاجتماعية أو علاقتها بالعلوم الأخرى. انظر:
- Suzanne Romaine 1997: FLORIAN COULMAS (ed), The handbook of sociolinguistics. Oxford (UK) & Cambridge (MA) Blackwell, 1997. Language in Society 26: 591-2.
٤. معجم اللغويات الاجتماعية ص ١٢.
٥. السابق ص ١٣. ملحوظة: لم يوثق المترجمان البيانات الخاصة بهذا الكتاب وهو An Interoduction to Sociolinguistics لرونالد واردو Ronald Wardhaugh انظر الطبعة السادسة Wiley and Blackwell ٢٠١٠ ص ١٠. والحقيقة أن "واردو" لم يتحدث عن "فرضيات"، بل عن "علاقات" محتملة تجمع بين اللغة والمجتمع.
٦. معجم اللغويات الاجتماعية ص ١٣.
٧. السابق ص ١٤.
٨. Tara Sanchez 2006: A DICTIONARY OF SOCIOLINGUISTICS. 6-p.155. Studies of Second Language Asquistion 28 (1): 155

٩. ترى «إيما مور» من جامعة «شيفلد» أن هذا العدد قليل وكان من الممكن إدراج كثير من هذه الأشكال بالنظر إلى طبيعة بعض المصطلحات التي تتطلب بعض الأشكال التوضيحية حتى تقترب من ذهن القارئ (مثل: Multidimensional Scaling – Cluster Analysis). انظر:

Emma Moore 2005: A dictionary of sociolinguistics. p.392
394-Journal of English Linguistics 33 (4): 389

Janet Cotterill 2008: A DICTIONARY OF SOCIOLINGUISTICS. ١٠
8-p.368. Journal of Sociolinguistics 12 (3): 366

Joan Swann et al 2004: معجم اللغويات الاجتماعية ص ١٨٠ قارن
١٤٢. A Dictionary of Sociolinguistics. p

١٢. معجم اللغويات الاجتماعية ص ٣٦.

١٣. انظر د. عبد القادر الفاسي ود نادية العمري ٢٠٠٩: معجم المصطلحات اللسانية ص ٢٣. والحقيقة أن المغفور له الدكتور محمد فتوح كان قد ترجم هذا المصطلح بـ «المشارك» ضمن ترجمته لكتاب تشومسكي «المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها» سنة ١٩٩٣ (انظر على سبيل المثال ص ١٦٥) غير أن هذه الترجمة لم تنتشر انتشار الترجمة الأولى.

Joan Swann et al 2004: A Dictionary of Sociolinguistics, ١٤
15-p.14.

١٥. معجم اللغويات الاجتماعية ص ٣٨.

١٦. السابق ص ٤٠٩.

١٧. السابق ص ٣٦٦.

١٨. السابق ص ٣٦٦.

١٩. السابق ص ٤٠٠.

٢٠. السابق ص ٤٠٤.

٢١. السابق ص ٤٠٤.

٢٢. السابق ص ٢٩٩.

٢٣. السابق ص ٤٠٤.

٢٤. السابق ص ٣٣٥.

٢٥. السابق ص ٣٥.

٢٦. السابق ص ٣٥.

٢٧. السابق ص ٣٢٢.

٢٨. السابق ص ٣٢٢.

٢٩. السابق ص ٣٢٢.

٣٠. السابق ص ٢٦٥.

٣١. السابق ص ٢٦٥.

٣٢. السابق ص ٣٩٥.

٣٣. السابق ص ٢٢٨.

٣٤. السابق ص ٢٤٣.

٣٥. السابق ص ٢٨٩.

٣٦. السابق ص ٢٨٩.

Joan Swann et al 2004: A Dictionary of Sociolinguistics, ٣٧
p.231.

٣٨. Ibid., p.142.

٣٩. د. رمزي منير بعلبكي ١٩٩٠: معجم المصطلحات اللغوية، ص ٣٥٦.

٤٠. معجم اللغويات الاجتماعية ص ٣٠٧.

٤١. السابق ص ٢٨٩.

٤٢. السابق ص ٨٣.

٤٣. لورانس فينوتي ٢٠٠٩: اختفاء المترجم تاريخ للترجمة، ص ٢٨٤.

المصادر والمراجع

- جون سوان وآخرون ٢٠١٩: معجم اللغويات الاجتماعية، ترجمة د. فواز العبد الحق ود. عبد الرحمن الملحم، (الرياض: مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى).
- د. رمزي منير بعلبكي ١٩٩٠: معجم المصطلحات اللغوية، (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى).
- د. عبد القادر الفاسي ود. نادية العمري ٢٠٠٩: معجم المصطلحات اللسانية (إنجليزي- فرنسي- عربي)، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى).
- لورانس فينوتي ٢٠٠٩: اختفاء المترجم تاريخ للترجمة، ترجمة سمر طلبة، مراجعة د. محمد عناني، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب: سلسلة الألف كتاب الثاني، الطبعة الأولى).
- نوام تشومسكي ١٩٩٣: المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة وتقديم وتعليق د. محمد فتيح، (القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى).
- Cotterill, Janet 2008: A Dictionary of Sociolinguistics. (Review) Journal of Sociolinguistics 12 (3): 366-8.
- Moore, Emma 2005: A Dictionary of Sociolinguistics. (Review) Journal of English Linguistics 33 (4): 389-394.
- Romaine, Suzanne 1997: The Handbook of Sociolinguistics. (Review) Language in Society 26: 591-2.
- Sanchez, Tara 2006: A Dictionary of Sociolinguistics. (Review)

Studies of Second Language Acquisition 28 (1): 155-6.

- Swann, Joan et al. 2004: A Dictionary of Sociolinguistics. University of Edinburgh Press.
- Wardhaugh, Ronald 2010: An Introduction to Sociolinguistics. 6th Ed. Wiley and Blackwell.

اللسانيات العربية

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد ١١ ذو القعدة ١٤٤١هـ - يوليو ٢٠٢٠ م
Allisaniyat Al Arabiyah

رقم الإيداع ٩٤٦٧-١٤٣٧
ردمـــد ٧٤٢١-١٦٥٨



مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language



ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨
البريد الإلكتروني: nashr@kaica.org.sa